

خلافة الرسول
بين الفاضل والمفضول
السيد الإدريسي الجزائري


بسم الله الرحمن الرحيم

سرشناسه : جزائری، سید ادریسی، ۱۹۸۷ - م.
عنوان و نام پدیدآور : خلافه‌الرسول بین‌الفاضل والمفضول/الادریسی‌الجزایری.
مشخصات نشر : قم: عطر عترت ، ۱۴۴۱ق. = ۱۳۹۹.
مشخصات ظاهری : ۱۶۸ص.
شابک : ۹۷۸-۶۰۰-۲۴۳۲۳۸-۴
وضعیت فهرست نویسی : فیپا
یادداشت : عربی.
موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع) ، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق -- اثبات خلافت
موضوع : Ali ibn Abi-talib, Imam I, ۶۰۰-۶۶۱ -- *Proof of caliphate
موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع) ، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت۴۰-ق -- اثبات خلافت -- جنبه‌های قرآنی
موضوع : Ali ibn Abi-Talib, Imam I, ۶۰۰-۶۶۱ -- *Proof of caliphate -- Qur'anic teaching
موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع) ، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق -- اثبات خلافت -- احادیث
موضوع : Ali ibn Abi-talib, Imam I, ۶۰۰-۶۶۱ -- *Proof of caliphate -- Hadiths
موضوع : امامت
موضوع : Imamate
موضوع : امامت -- جنبه‌های قرآنی
موضوع : Imamate -- Qur'anic teaching
موضوع : خلافت
موضوع : Caliphate
موضوع : خلافت -- احادیث
موضوع : Caliphate-- Hadiths
رده بندی کنگره : BP۲۲۳/۵۲
رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۵۲
شماره کتابشناسی ملی : ۶۱۵۶۶۳۴

هوية الكتاب

اسم الكتاب:	**خلافة الرسول بين الفاضل والمفضول**
المؤلف:	**السيد الإدريسي الجزائري**
الناشر:	**عطر عترت**
الطبعة:	**الاولى**
الكمية:	**۱۱۰۰ نسخه**
تاريخ النشر:	**۱۳۹۹**

خلافة الرسول
بين الفاضل والمفضول



السيّد الإدريسي الجزائري

فهرس الموضوعات



مقدّمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم والصّلاة والسّلام على أشرف الخلق أجمعين وسيّد الأوّلين والآخرين مُحمَّدٍ وعلى آل بيته الطَّيِّبين الطَّاهرين.

اللهمّ أرنا الحقَّ حقّاً وارزُقنا اتّباعَه، وأرنا الباطلَ باطلاً وارزقنا اجتنابَه.

إنّ أوّل خلافٍ عظيم نَجم بين المسلمين بعد ارتحال الرّسول الأكرمﷺ، هو الإختلاف في مسألة الإمامة والخلافة، حتّى صارت الأمّة بذلك فِرقتين، فرقةٌ تُشايع عليّاًعليه السلام، وفرقةٌ تشايع غيره من أصحاب السقيفة.

وبحثُ الإمامة من الأمور التي قد أسالت الحبرَ كثيراً، ويا ليتها توقَّفت عند ذلك، بل تعدّت إلى سيلان الدّم وقتل النّفس المُحترمة، لا لشيء إلاّ لأنّ قائل الحقِّ لابُدّ مِن قتله في منطق الظلمة الذين أصبحوا لا يُفرّقون في قتلهم بين الرَّجُل والمرأة وبين الكبير والصّغير.

والسّببُ في ذلك يعود إلى أهمّيَّة هذا الموضوع وحَساسيّته، حيث كان ولا يزال محلَّ خلافٍ بين المسلمين في تحديد هويّة خليفة رسول اللهﷺ الشرعي، ومن عيَّنه الشارعُ لقيادة الأُمّة بعد النّبيّﷺ. ولذلك نرى المسلمين اليوم قد انقسموا إلى مذاهبَ وطوائفَ، كلٌّ منها يدّعي الحقّ ويرى غيرَه على باطل.

وليس العيب في كون الرجل مُعتقداً أنّه على حقّ، إنمّا العيب في اعتقادِه أنّ غيره كافرٌ ويجب قتلُه، وهذا ما ينتهجه الفكرُ التكفيري اليوم في غياب الوعي والفكر ومنطق تقبّل الآخر.

علينا أن نعلم دائماً أنّ هناك الكثير مِن النّاس مَن هم قاصرون ومستضعَفون، أي لم يصلوا إلى الدليل، بالتّالي لا يحقّ لأحدٍ رميُهم بالضّلالة والكفر....الخ.

واجبنا اليوم أن نُعَلِّمَ النّاس ونبيّن لهم ما يجهلون، لكن بالتي هي أحسن وبمنطق الفكر والدليل لا منطق القوّة والسيف. قال تعالى: ﴿أُدعُ إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾[1].

ولأهميّة هذا الموضوع ومدى تأثيره على حياة المسلم الدينيّة والدنيويّة وددتُ كتابة بعض الحقائق المغيّبة عن الناس ونشر تعاليم الإسلام المحمّدي الذي لطالما أمرنا باتباع الدليل والأخذ به ولو كان مُرّاً.

ولحساسيّة موضوع الإمامة وأثره في عقيدة المسلم قرّرتُ وبالتوكّل على الله الخوض في هذا البحث القيّم سائلاً المولى عزّوجلّ التوفيق والرحمة.

ونَعدُ القارئ الكريم أن تكون كلُّ أدلّتنا في هذا البحث إن شاء اللهُ تعالى منَ القرآن وكتب السُّنّة، وسنتطرّقُ إلى تشخيص مَن نصَّ عليه الشارعُ ليكونَ خليفةَ رسول الله ﷺ ووصيَّه وإمامَ المسلمين ووليَّ المؤمنين، ومِن الله نسألُ التّوفيق والتّسديد، إنّه وليٌّ قدير.

قال تعالى: ﴿قُل لا أسأَلُكُم عليه أجراً إلاّ المَودّةَ في القُربى﴾[2].

فأرجو من الله تعالى أن يجعل عملي هذا تقرّباً إليه ومودّةً في أهل بيت رسوله ﷺ.

***

١. النحل: ١٢٥.

٢. سورة الشورى

بعض التعريفات اللازمة للبحث

وقبل الخوض في الأدلّة، علينا أوّلاً التَّطرّقُ لمفهوم الخلافة والإمامة والولاية وبيان الفرق بين هذه التصوّرات الثلاثة.

معنى الخلافة

الخلافة لغةً: تُشتَق من (خَلَفَ)، وخَلَفَ رفيقَه: أيْ صار خلْفَهُ ونابَ مكانَه، والخلافة هي ما يجيء مِن بعد، يُقال: خلفَهُ خِلافةً.

أمّا اصطلاحاً: فقد عرّفها التَّفتازاني صاحب «المقاصد» بأنّها: رياسةٌ عامّة في الدّين والدُّنيا، خلافةً عن النّبيّ ﷺ.

قال تعالى: ﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلُفني في قومي﴾[1].

إذاً فالخلافةُ لغة هي مجيء شخص بعد شخص، وهنا يجب التّنبيه على نقطتين أساسيّتين:

الأولى: أنّه قد يخلُفُ شَخصٌ شخصاً ما لكن بطريقةٍ غير شرعيّة، لأنّ مُجرّد مجيئه بعده فهذا يَصدُقُ عليه أنّه خليفةٌ لُغةً، سواءٌ كان ذلك عن طريق التّنصيص والتّعيين مِن قِبَلِ مَن كان قبله، أو عن طريق القُوّة وإجبار الآخرين على قَبوله، (وهذا بالضّبط ما حصل بعد وفاة النّبيّ ﷺ).

وبالتّالي لا يحِقُّ لقائلٍ أن يقول إنّ فُلاناً هو خليفةُ رسول الله ﷺ بمجرّد أنّه قد جلس على كُرسيّ الخِلافة، ولو كان ذلك عن طريق القوّة والإجبار وقتل المُعارضين له، لأن هذا دين الغابة وليس دين الإسلام.

---

١. الأعراف: ١٤٨.

الثانية: الخلافة لا تكون إلاّ مِن تعيين الله عزّ وجلّ وجَعلِه، قال تعالى: ﴿إنّي جاعلٌ في الأرض خليفةً﴾[1].

بالتّالي لا يحقُّ لأيّ شخص أن يدّعي أنّه خليفة رسول الله إلاّ إذا كانت خلافتُه من جعل الله أو جعل رسولهﷺ.

معنى الإمامة

عرّف الإيجي الشافعي الإمامةَ بأنّها رئاسة عامّة في أمور الدّين والدُّنيا[2].

وقال إنها خلافة الرسول في إقامة الدين، بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة[3].

أمّا ابن خلدون فقال إنها نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا[4].

أمّا الماوردي فقد قال: الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا[5].

جاء في لسان العرب: يُقال إمامُ القوم، معناه هو المُتَقَدِّمُ لهُم، ويكون الإمامُ رئيساً، كقولك: إمام المسلمين[6].

والإمامة أيضاً لا تكون إلاّ من جعل الله تعالى، فكما أنّ النّبوّة من الله، كذلك الإمامة. قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[7].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[8].

وبالتّالي، فإنّه لا يحقُّ لأيِّ شخصٍ أن يعتبر نفسَه إماماً للمسلمين إلاّ أن يكون جعلُه من الله أو من رسولهﷺ.

---

١. البقرة: ٣٠.
٢. المواقف للإيجي ص٣٤٥.
٣. نفس المصدر السابق.
٤. مقدّمة ابن خلدون، ص١٩١.
٥. الأحكام السلطانية للماوردي ص١٥.
٦. لسان العرب ج١٢/ ص٢٦.

٧. سورة البقرة: ١٢٤.
٨. سورة الأنبياء: ٧٣.

معنى الوِلاية والوَلاية

أمّا الوِلايةُ لغةً[1] فلها عدّةُ معان، من بينها: القرابة والإمارة والسلطة وولاية الإمامة أي: تولّي أمرها ومهامّها، والحكم والنصرة والمحبّة.

ووليّ اليتيم: الذي يلي أمره، ويقوم بكفايته.

أمّا الوَلاية لغةً: القرابة، هم على وَلاية: أي يدٌ واحدة.

أمّا اصطلاحاً فقد وردت عدّةُ تعاريف للولاية، نذكر بعضها:

الوِلاية: تنفيذ القول على الغير شاء أو أبى[2].

الولاية: هي سلطةٌ تُجعَل لمن تَثبتُ له القدرةُ على إنشاء التّصرّفات والعقود وتنفيذها.

الولاية: سلطة شرعية.

الولاية: سلطة يُثبتُها الشّرعُ لإنسانٍ مُعيّن، تُمكّن من رعاية المولى عليه من نفس ومال، وحفظه وتنميته بالطّرق المشروعة[3].

وولاية أمر المسلمين لا تكون إلاّ بجعلٍ من الله ورسوله، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[4]. فالله هو من أمرنا بطاعة أولي الأمر وبذلك لزِم كونُهُم مُعيّنين بأسمائهم، لأنّه ليس من العدل أن يأمرنا اللهُ بطاعة أشخاص لا نعرفهم بأسمائهم، واللهُ هو العادل الرّحمن، الرّحيم بعباده.

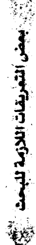
فإذاً لا يحقّ لأي شخص تسميةُ نفسه بوليّ الله أو وليّ رسوله، إلاّ إذا كان ذلك بجعلٍ من الله ورسوله ﷺ.

والآن وبعدما بيّنّا الفرق بين هذه التعريفات الثلاثة يمكننا قول مايلي:

أنّ النّسبة بين الخلافة لغةً والإمامة هي العموم والخصوص من وجه، فليس كلُّ خليفة إماماً، وليس كُلُّ إمامٍ خليفةً(بالمعنى اللغوي طبعاً)، وقد يكون الشّخصُ الواحدُ إماماً وخليفةً في نفس الوقت.

فأبو بكر كان خليفةً (بالمعنى اللُّغوي، أي أنّه جلس على كرسيّ الخلافة بعد وفاة النّبيّ ﷺ)، لكنّه لم يكن إماماً.

وعليٌّ عليه السلام لم يكن خليفةً (بالمعنى اللُّغوي. أي أنّه لم يحكُم سياسيّاً ولم يجلس على كرسي الخلافة مُباشرة بعد رحيل النّبيّ ﷺ)، لكنّه كان إماماً لأنّه مجعولٌ من الله ورسوله ﷺ.



---

١. لسان العرب لابن منظور ٨/ ٤٩٢٠.

٢. التعريفات لعلي بن محمّد بن علي الجرجاني، ص٣١٠.

٣. الولاية على النفس، الدكتور حسن الشاذلي ص٥، القاهرة، دار الطّباعة المحمّدية بالأزهر، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ.

٤. سورة النساء: ٥٩.

ونفس الأمر يُمكنُ قولُه بين الخلافة والولاية، فإنّه ليس كلُّ خليفة (بالمعنى اللُّغوي) وَليّاً، وليس كلُّ وَلِيٍّ خليفةً (بالمعنى اللغوي) بالضرورة.

أمّا النّسبة بين الإمامة والولاية فهي نسبة التّساوي، أي أنّ كلَّ إمامٍ وَلِيٌّ، وكلّ وليٍّ إمامٌ.

ولأهمية الولاية والإمامة نرى ابن تيمية يقول: «ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا تمام للدين والدنيا إلا بها»[1].

شروط الخلافة الإسلاميّة

إنّ للخلافة الإسلاميّة شروطاً يجب توفُّرها في خليفة المسلمين حتّى يصحّ كونُه حاكماً وإماماً لهم،لأنّ منصب الخليفة أو أمير المؤمنين أو رئيس الدولة، من أهمّ المناصب على الإطلاق، فبه تقوم حراسة الدِّين وسياسة الدُّنيا[2].

وقد اختلف اتباع مدرسة الصحابة في تحديد هذه الشروط، واختلافهم هذا لخير دليل على بطلان ما ذهبوا اليه من القول بخلافة فلان وفلان، حيث إن قولهم هذا يلزم منه كون النبيﷺ ظالماً وحاشاه طبعاً إذ كيف يُعقَل لسيّد الخلق ومن بُعِث رحمةً للعالمين أن يرحل من هذه الدنيا بدون أن يستخلف أحداً، بل حتى أنه لا يبيّن للناس شروط وصفات الخليفة من بعده وهذا ما سوف يجعل الأمة ضالةً ضائعة.

هذا وقد قال رسول اللهﷺ:» لا يزال هذا الدينُ عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفةً..»[3].

فهل يُعقل أن النبيﷺ يأمرنا باتّباع أناس غير معيَّنين؟

وهل يُعقل أنه لم يقُم أحدٌ من الصحابة ليسأل النبيّﷺ حينها: من هم هؤلاء الخلفاء الإثنا عشر الذين يكون الإسلام بهم عزيزا منيعاً حتى نتمسّك بهم؟

أما بالنسبة لأتباع مدرسة الصحابة فقد وقعوا في حيص بيص حينما أرادوا تعيين هؤلاء الخلفاء الإثني عشر، فقد حاول ابنُ تيميّة تعيينهم حينما قال:

فكان الخلفاء: أبو بكر وعمر، وعثمان، وعليّ، ثم تولّى من اجتمع الناس عليه وصار له عزٌّ ومنعة: معاوية، وابنه يزيد، ثم عبد الملك بن مروان وأولاده الأربعة، وبينهم عمر بن عبد العزيز[4].

أما السؤال الأول الذي يُطرح على ابن تيمية: هل كان تعيينك لأسماء هؤلاء الخلفاء الإثني عشر إستناداً إلى آية أو حديث نبويّ، أو أنك قد جئت بها من كيسك الخاص؟

١. السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعيّة لابن تيمية،تحقيق علي بن محمد العمران ص٢٣٢.دار عالم الفوائد.

٢. الأحكام السلطانية للماوردي، ص٣.

٣. صحيح مسلم، ج٣، ص١٤٥٣.

٤. منهاج السنة النبوية لابن تيمية بتحقيق محمد رشاد سالم ج٨/ ص٢٣٨ طبعة ١٤٠٦.

ثم كيف يجرأ على القول بأن معاوية صار له عزٌّ ومنعة؟ وهل يكون العزّ والمنعة بسبّ رسول الله أم بقتال أمير المؤمنين ووصيّ رسول رب العالمين وخليفة المسلمين عليّ عليه السلام؟

وكيف يكون يزيدُ شاربُ الخمر وقاتل الصحابة ومُحرق الكعبة وهاتك أعراض الصحابيات وبناتهنّ في المدينة خليفةَ المسلمين؟ وهل يكون الإسلام عزيزاً بقتل أهل البيت عليهم السلام، أم بسبي نسائهنّ؟

ثم كيف أدخل يزيدَ بن معاوية في هؤلاء الخلفاء وأخرج سيّدَيْ شباب أهل الجنة، الحسن والحسين؟ إنه لعَمرُ الله النصبُ والعداء لأهل البيت ليس إلا. وهذا خير دليل على أن ابن تيمية يعتقد بأفضليّة يزيد بن معاوية على سبطَيْ رسول الله، وهذا ما لا يعتقده مسلم.

ومن الملفت للنظر أن كل علماء المسلمين عجزوا عن تحديد أسماء هؤلاء الخلفاء الإثني عشر إلا أتباع أهل البيت وهم الذين تمسّكوا بالثقلين.

وتحديدهم ليس صعباً على من اتّبع الحق وترك التعصّب. فالطريق الوحيد لمعرفة أسماء هؤلاء الخلفاء هو الجمع بين حديث الثقلين وبين هذا الحديث.

أما شروط الخلافة والإمامة، فقد ذكرها أبو الحسن عليُّ بن محمّد الشهير بالماوردي (المتوفّى: ٤٥٠هـ) حيث قال:

وأمّا أهل الإمامة فالشّروط المعتبرة فيهم سبعةٌ:

أحدها: العدالة على شروطها الجامعة.

والثّاني: العلم المؤدّي إلى الإجتهاد في النّوازل والأحكام.

والثّالث: سلامة الحواسّ من السَمع والبصر واللِّسان، ليصحَّ معها مباشرة ما يُدرَك بها.

والرّابع: سلامة الأَعضاءِ من نقص يمنع عنِ استيفاءِ الحركة وسرعة النّهوض.

والخامس: الرّأي المفضي إلى سياسة الرَّعيّة وتدبير المصالح.

والسّادس: الشّجاعة والنّجدة المؤدّية إلى حماية البيضة وجهاد العدوّ.

والسّابع: النّسبُ، وهو أن يكون من قريش، لِورود النّصِّ فيه وانعقاد الإجماع عليه، ولا اعتبار بضرار حين شذّ فجَوَّزها في جميع النّاسِ، لأنّ أَبا بكر (الصِّدّيق رضي اللّه عنه) إحتجَّ يوم السّقيفة على الأنصار في دفعهم عن الخلافة لمّا بايعوا سعدَ بن عُبادة عليها، بقول النّبي صلّى اللّه عليه وسلّم: «الأئمةُ مِن قُريش»[1]، فأقلعوا عن التّفرّد بها ورجعوا عنِ المشاركة فيها حين قالوا: منّا أميرٌ ومنكم أمير، تسليمًا لروايته وتصديقًا لخبره ورَضوا بقوله: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، وقال النبيّ صلّى اللّهُ عليه وسلّم:»قَدِّمُوا

١. صحيح، رواه أحمد بن حنبل [١١٨٩٨]، وصحَّحه الشيخ الألباني في صحيح الجامع [٢٧٥٨].

قريشًا ولا تَقَدَّموهَا»[1] أي ولا تتقدّموها. وليس مع هذا النّصّ المسلّم شُبهة لمنازعٍ فيه، ولا قول لمخالف له.

ثمّ أخذ الماوردي بشرح هذه الشروط والتعليق عليها حيث قال:

أمّا العدالة: فالمراد بها أن يكون صاحبَ استقامة في السِّيرة، وأن يكون متجنّباً الأفعالَ والأحوالَ الموجبة للفسق والفجور، فكما لا يكون الظالمُ والغادرُ مُستحقّاً للخلافة، لا يكون المُتَّصِفُ بالتآمر والتحايل كمثل تسليم قطيعٍ من الغنم للذئب وجعله راعيًا لها. وأقوى برهان على ذلك قوله تعالى لإبراهيمعليه السلام عندما سأله أن يجعل الإمامةَ في ذُرّيّته: ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[2]، أي: لا يستحقّونها ولا يصلون إليها، والقصد الأساسي من تنصيب الخليفة هو دفع الظلم عن النّاس لا تسليط الظلم عليهم، فلذا لا يجوز عند علماء الإسلام كافّةً إنتخابُ من هو بالظلم والبغي خليفة، كما أنَّ الخليفة الذي ارتكب الظلم والطغيان أثناء خلافته يستحقّ العزل، بل إنّه عند قدماء الشافعية وعلى رأسهم الشافعيُّ نفسُه: ينعزل ولو لم تعزله الأُمّة[3].

ويستلزم أغلبيّة الفقهاء أن يكون الخليفة على درجة كبيرة من العلم، فلا يكفي أن يكون عالمًا، بل يجب أن يبلغ مرتبة الإجتهاد في الأصول والفروع على السّواء، لكي يكون قادرًا على تنفيذ شريعة الإسلام، ودفع الشّبهات عن العقائد، وإعطاء فتاوى في المسائل التي تقتضيها، وإصدار الأحكام استنادًا إلى النّصوص أو إلى الإستنباط، لأنّ الغرض الأساسي للخلافة هو صيانة العقائد وحلّ المشاكل والفصل في المنازعات[4].

وقال: وينبغي أن يكون الإمام إلى جانب علمه بأحكام الإسلام مثقّفًا ثقافة عالية، مُلِمًّا بأطرافٍ من علوم عصره، وياحبّذا لو كان متخصّصًا في بعضها، ويكون على علمٍ بتاريخ الدّول وأخبارها، وبالقوانين والمعاهدات الدولية، والعلاقات السياسيّة والتّجاريّة والتّاريخيّة.

وقد فرّق ابنُ خلدون في مقدّمته بين العيوب الجسميّة المطلقة التي تمنع الخليفة من أداء وظيفته، كأن يكون أعمى أو أخرس، أو أصمّ، أو مقطوع اليدين، أو الرجلين، ففي هذه الحالة لا يكون المرشّح أهلاً للخلافة. أمّا إن كان أعور أو أصمَّ بإحدى أذنيه، أو مقطوعةً إحدى يديه، ففي هذه الحالة يبقى المرشّح أهلاً للرئاسة.

---

١. ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح، وقال: أخرجه عبد الرزّاق بإسناد صحيح، لكنّه مرسل وله شواهد، وصحّحه الشيخ الألباني في صحيح الجامع [٢٩٦٦].

٢. البقرة: ١٢٤.

٣. فقه الخلافة وتطوّرها، ص٩١.

٤. فقه الخلافة وتطوّرها، ص٩٢.





ثمّ قال: ويعبِّر بعضُ الفقهاء عن هذا الشرط بالحكمة، والحقّ أنَّ هذه الحكمة غالبًا ما تُكْتَسَب بالخبرة والتجربة، لكن غاية ما ينبغي أن يتوفَّر في المرشَّحِ لمنصب الخليفة أن يكون قادرًا على سياسة الأمور سياسةً دقيقة ناتجة عن حِنْكَة وتجربة وفهمٍ للواقع.

وقال في موضوع الشجاعة: ذلك أنَّ الخليفة هو قائد الجيوش الإسلاميّة، ولا يتَّسق أن يكون قائدُ جيوش المسلمين جبانًا أو متخاذلاً عن الدفاع عن قضايا الإسلام الكبرى.

أما أبو يعلى الفراء فقد ذكر[1] أربعة شروط وهي:

الأول: النسب القرشي.

الثاني: إحراز كل شروط القاضي مثل الحرية والبلوغ والعقل والعلم والعدالة.

الثالث: القدرة في إدارة الأمور من حرب وإجراء الحدود.

الرابع: أن تكون له الأفضلية والأعلمية في الدين.

فهذه الشروطُ جامعةً يجب توفُّرها في خليفة المُسلمين، فلو نقص منها شَرطٌ واحدٌ لأَخَلَّ ذلك في صحّة خلافته، لأنّ الموجَبَة الكُلِّيَّة تَنقضُها السّالبةُ الجزئية.

ومن هنا سوف نتطرّق إلى هذه الشروط، ونرى فيمن توفّرت وفيمن لم تتوفّر حتى يتسنّى لنا معرفةُ خليفة رسول الله الشرعي.

أما فيما يخصّ النسب القرشي، فالسؤال المطروح هنا: ما هي الميزة التي اتّصفت بها قريش دون غيرها من القبائل والمناطق الأخرى حتى تصحّ فيها الخلافة؟ ولماذا لا يحقّ لرجل غير قرشيّ أن يكون خليفة للمسلمين؟

فإن قال قائل: لكون النبيﷺ من قريش وجب كون خليفته من قريش أيضاً.

نقول: إذا كان الأمر كذلك فصار الأَولى أن نقول إن خليفة المسلمين يجب كونه من أهل بيت الرسولﷺ لأنهم الأقرب إليه روحاً وجسدا. ولأنهم مطهّرون من كل رجس ودنس.

ثم إن كان هناك من يقول بوجوب كون الخليفة من قريش لانتساب النبي إليها، فلماذا لا يقول بوجوب كون خليفة النبيﷺ من أهل بيته وعترته، مادام أنه ينتسب إلى النبيﷺ؟

ولو استدلّ هذا القرشي على صحّة خلافته بكونه من قريش، كان الأَولى لغيره من بني هاشم أن يستدلّ على ذلك لأنه أضيق دائرة من قريش، ولحقّ لأهل البيت عليهم السلام الإستدلال على ذلك بطريق أولى. لأن أهل بيت النبيﷺ أخصّ وأضيق دائرة من قريش بل ومن بني هاشم.

أما فيما يخص القدرة في إدارة الأمور من حرب وإجراء الحدود، فإن فاقد الشيء لا

---

١. الأحكام السلطانية للماوردي، ص٢٤.

يعطيه، ومن كان معروفاً بانهزامه وفراره من أرض المعركة كان أحوج لغيره في هذه الأمور على أقلّ التقادير.

وإن الخليفة الذي يجبّن أصحابَه ويجبّنونه في ساحات القتال لغيرُ صالح لأن يكون واحداً من الجنود فضلاً عن كونه قائداً لهم أو خليفة عليهم، وذلك لوجوب اتّصاف الجندي بصفات الشجاعة وبثّ العزيمة وروح القتال في أصحابه لا العكس. وسيأتي الحديث مفصّلاً في محلّه.

أما شرط الأعلمية والأفضلية في الدين، فليت شعري هل يُقاس أحدٌ بمن وُلد في الكعبة موحّداً ولم يسجد لصنم قطّ، وأوّل من صلّى مع النبيﷺ، ومن تربّى في حجر سيّد الخلق وأخذ من علومه ومعارفه، وتزوّج سيدةَ نساء العالمين...؟

وإن العاقل يكفيه قراءة ما رواه الحاكم في مستدركه حيث قال:

سمعت القاضي أبا الحسن علي بن الحسن الجراحي وأبا الحسين محمد بن المظفر يقولان سمعنا أبا حامد محمد بن هارون الحضرمي يقول: سمعت محمد بن منصور الطوسي يقول سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما جاء لأحد من أصحاب رسول اللهﷺ ما جاء لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه[1].

أما الأعلمية في الدين، فمن ذا الذي يقدّم نفسه على باب مدينة علم الرسولﷺ؟ ومن ذا الذي يسمح له ضميره أن يتقدم على قوم فيهم من كان عالماً بكلّ آية في القرآن أين ومتى وعلى من نزلت؟ ومن ذا الذي يقايس نفسه برجلٍ كان كبارُ الصحابة يرجعون إليه في حلّ معضلاتهم ومشاكلهم الدينية والدنيوية، حتى قال قائلهم قولته المشهورة: «لولا عليّ لهلك عمر».

وسيأتي الكلام مفصّلاً في محلّه إن شاء الله تعالى.

***

١. المستدرك على الصحيحين ج٣، ص١٢٣. والإستيعاب لابن عبد البر ٣/ ١١١٥ والإصابة لابن حجر العسقلاني ٤/ ٤٦٥ وفتح الباري ٧/ ٧١.

عدالة أبي بكر

أمّا فيما يخُصّ عدالةَ أبي بكر فيكفي في الحقيقة ذكرُ ما صنعَهُ معَ قبيلة تميم أو ما يُعرَف بحروب الرِّدَّةِ التي قام فيها جيشُ خالدِ بن الوليد بقتل الصّحابة وعلى رأسهم الصَّحابيُّ الجليل مالكُ بنُ نويرة سيِّد قبيلة تميم وكان هذا بأمرٍ مِن أبي بكر. ويا ليت القصّةَ توقّفت عند قتل الرّجال المسلمين وإنّما قام خالدُ بنُ الوليد أيضاً بالنّزو على زوجةِ مالكٍ بالقُوَّة، ذلك بعدما قطع رأسَهُ ووضعَه في قِدر وأكل منه هو وأصحابُه. كلّ ذلك كان في ظِلِّ خِلافة أبي بكر.

روى الطّبري في تاريخه:

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثنا محمّد بن إسحاق، عن طلحة بن عبد اللهِ بن عبد الرّحمنِ بن أبي بكر الصِّدّيق، أنّ أبا بكر كان من عهده إلى جيوشه: أن إذا غَشيتم دارًا من دور النّاس فسمعتُم فيها أذانًا للصّلاة، فأمسكوا عن أهلها حتّى تسألوهم ما الذي نقموا! وإن لم تسمعوا أذاناً، فشنّوا الغارة، فاقتلوا، وحرّقوا. وكان ممّن شهد لمالك بالإسلام أبو قَتادة الحارث بن ربعيٍّ أخو بني سلمة، وقد كان عاهد اللّهَ ألا يشهد مع خالد بن الوليد حربًا أبدًا بعدها، وكان يُحدِّثُ أنّهم لمّا غشوا القوم راعوهم تحت اللّيل، فأخذ القوم السّلاح قال: فقلنا: إنّا المسلمون، فقالوا: ونحن المسلمون، قلنا: فما بال السِّلاح معكم؟! قالوا لنا: فما بال السِّلاح معكم؟! قلنا: فإن كنتم كما تقولون فضعوا السِّلاح، قال: فوضعوها، ثمّ صلَّينا وصلّوا، وكان خالد يعتذر في قتله أنّه قال له وهو يراجعه: ما أخال صاحبكم إلاّ وقد كان يقول كذا وكذا، قال: أو ما تعدُّه لك صاحبًا؟! ثمّ قدَّمه فضرب عنقَه وأعناق أصحابه، فلمّا بلغ قتله عمر بن الخطّاب، تكلّم

فيه عند أبي بكر فأكثر، وقال: عدوُّ الله (يقصد خالدَ بن الوليد) عدا على امرئ مسلم فقتله، ثمّ نزا[1] على امرأته! وأقبل خالد بن الوليد قافلًا حتّى دخل المسجد وعليه قباء له عليه صدَأ الحديد، معتجِرًا بعمامة له، قد غرز في عمامته أسهمًا، فلمّا أن دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطّمها، ثمّ قال: أرئاء! قتلت امرأً مسلمًا، ثمّ نزوت على امرأته؟! واللّه لأرجمنَّك بأحجارك- ولا يكلّمه خالد بن الوليد، ولا يظنّ إلاّ أنّ رأي أبي بكر على مثل رأي عمر فيه- حتّى دخل على أبي بكر، فلمّا أن دخل عليه أخبره الخبر، واعتذر إليه فعذره أبو بكر، وتجاوز عنه ما كان في حربه تلك، قال: فخرج خالد حين رضي عنه أبو بكر، وعمرُ جالس في المسجد، فقال هلمّ إليَّ يا بن أمّ شملة. قال: فعرف عمرُ أنّ أبا بكر قد رضي عنه فلم يكلّمه، ودخل بيته[2].

روى ابن حجر في «الإصابة:

فقدم أخوه مُتَمِّمُ بنُ نُويرة على أبي بكر، فأنشده مرثيّةَ أخيه، وناشده في دمه وفي سبيهم، فردّ أبو بكر السَّبي. وذكر الزّبير بن بكّار أن أبا بكر أمر خالداً أن يُفارق امرأة مالك المذكورة، وأغلظ عمرُ لخالدٍ في أمر مالك، وأمّا أبو بكرٍ فعذَره[3].



أمّا سبب قتله للصّحابي مالك بن نويرة رضي الله عنه فَيلخّصها لنا ابن حجر في سطرين حيث قال:

وروى ثابتُ بن قاسم في «الدلائل» أنّ خالداً رأى امرأة مالك - وكانت فائقةً في الجمال فقال مالكٌ بعد ذلك لامرأته: قتَلتني! يعني: سأُقتَلُ من أجلِك[4].



فخالد بن الوليد كان يريد زوجة مالك لا غير، ولأجل هذا قام بقتله.

وخيرُ دليل على إسلام مالكٍ رضي الله عنه هو ما ذكره ابن الأثير في « أُسد الغابة»[5] حيث قال:

فقدم مُتمّم(أخو مالك بن نويرة) على أبي بكر يطلب بدم أخيه، وأن يردّ عليهم سبيَهم، فأمر أبو بكر بردّ السّبي، ووَدَى[6] مالكاً من بيت المال.

ثمّ قال:

---

١. نزا الثور: وثب أُنثاه للسِّفاد.

٢. تاريخ الطّبري، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ج٣/ ص٢٨٠. ومحمّد بنُ جرير الطّبري تُوفّي سنة ٣١٠. وانظر البداية والنهاية لابن كثير ج٩/ ص٤٦٤ وأُسْد الغابة لابن الأثير ج٤/ ص٢٩٥ والكامل في التاريخ ج٢/ ص٣٥٨.

٣. الإصابة لابن حجر العسقلاني ج٥، ص٧٥٥.

٤. الإصابة لابن حجر ج٥، ص٧٥٥.

٥. أُسد الغابة لابن الأثير ج٥، ص٤٩.

٦. وَدَى:أي أعطى الدّية.

فهذا جميعُه ذكره الطّبري وغيرُه من الأئمّة، ويدلُّ على أنّه لم يرتدّ، وقد ذكروا في الصحابة أبعدَ من هذا، فَتركُهم هذا عجب. وقد اختُلف في ردّته، وعمرُ يقول لخالد: قتلت امرأً مسلماً. وأبو قتادة يشهدُ أنّهم أذّنوا وصلّوا، وأبو بكر يردّ السّبي ويعطي ديّةَ مالك في بيت المال. فهذا جميعه يدلّ على أنّه مسلم.

فلو كان مالك بن نويرة مرتدّاً لمَا أعطاهم أبو بكر ديَّتَه، لأنّ المرتدّ لا ديّة له.

والسّؤال المطروح هنا: لماذا لم يُقم أبو بكر الحدَّ على خالد؟ ولماذا رضي بفعلته؟ بل دافع عنه بقوله: تأوّل فأخطأ.

وللعلم، فإنّ أوّل من أسّس لقاعدة: «أُقتُل تُؤجَر» هو أبو بكر بن أبي قحافة. حيث يقول أنّ من قتل نفساً مؤمنة بغير حقٍ ثمّ بان خطأُه فإنّ له أجراً واحداً، ولو أصاب فله أجران.

إذن من يقتل المؤمنين يؤجَر على ذلك عند أبي بكر. وهذا مخالفٌ لصريح القرآن الكريم الذي يقول: ﴿وَمَنْ يَقتُل مؤمناً مُتعمِّداً فجزاءُه جهنَّمُ خالداً فيها وغضِب اللهُ عليه ولعنَهُ وأعدَّ لهُ عذاباً عظيما﴾[1].

جاء في كنز العمال:

عن ابن أبي عون وغيره: أنّ خالد بن الوليد إدّعى أنّ مالك بن نويرة ارتدَّ بكلامٍ بلغَه عنه، فأنكرَ مالكٌ ذلك، وقال: أنا على الإسلام، ما غيّرتُ ولابَدّلتُ وشهد له بذلك أبو قتادة وعبد الله بن عمر، فقدَّمه خالدٌ وأمر ضرارَ بنَ الأزور الأسدي فضرب عنقَه، وقبض خالدٌ امرأتَه، فقال عمرُ لأبي بكر: إنّه قد زنى فأرجمه، فقال أبوبكر: ما كنت لأرجمَه، تأوّل فأخطأ، قال: فإنّه قد قتل مسلماً فاقتله، قال: ما كنت لأقتله تأوّل فأخطأ، قال: فاعزله، قال: ما كنتُ لأشيم[2]سيفاً سلَّه الله عليهم أبداً[3].

إذن، من قتل صحابيّاً مُسلماً وزنى بامرأته، يُعتبر سيفاً من سيوف الله في منطق أبي بكر.

هذا وبِغَضِّ النظر عن جريمته بحقِ صحابيٍّ كبيرٍ مثلِ مالك، فكيف يحقُّ له اغتصاب زوجةٍ لم تنته عدّتها بعد؟ والكلّ يعلم أنّ عدّة المتوفّى عنها زوجها أربعةُ أشهر وعشر؟!! فكيف يدخل بها خالدٌ من دون استبراء؟

ولو سلّمنا جدلاً أنّ مالكاً قد ارتدّ، فما ذنب زوجته حتّى يُصنع بها هذا؟ فلا ملازمة بين ارتداد خالد وارتداد زوجته. ومع التسليم أيضا بارتداد زوجته فلا يحقّ له اغتصابها.

---

١. النساء: ٩٣..

٢. أشيمَ: أغمِدَ.

٣. كنز العمال للمتقي الهندي ج٥، ص٦١٩.

قال تعالى: ﴿ولا تزرُ وازرةٌ وِزْرَ أخرى﴾. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.

جاء في تاريخ الإسلام:

قال خالدٌ لضرار بن الأزوَر: إِضرِب عنقَه، فالتفتَ مالكٌ إلى زوجته وقال: هذه التي قتلتني، وكانت في غاية الجمال، قال خالد: بل اللهُ قتلك برجوعك عن الإسلام، فقال: أنا على الإسلام، فقال: إضرب عنقه، فضرب عنقه وجعل رأسَه أحدَ أثافي[1] قدرٍ طبخ فيها طعام، ثمّ تزوّج خالدٌ بالمرأة، فقال أبو زُهير السّعدي من أبيات:

قضى خالدٌ بغياً عليه لعُرسه وكان له فيها هوىً قبل ذلكا[2].

فهذا أبو زهير السّعدي يصرّح أنّ خالداً قتل مالكاً فقط لأجل زوجته.

وهذا هو مالكٌ الصحابيّ الجليل يقرّ أنّه على الإسلام وأنّه لم يرتد.

ثمّ كيف يحقّ لخالد بن الوليد أن يُمَثِّل بصحابيٍّ مسلم بعد قتله؟ وقد نهى النبيُّ الأكرمﷺ عن المُثلة ولو بالكلب العقور!

ثمّ حتّى لو نزّلنا مالكاً منزلة الكلب العقور وحاشاه طبعاً هذا الصحابيُّ الجليل فإنّه لا يجوز التمثيل به.

لكن هذا الكلام لا يفهمه سوى العقلاء من البشر الذين يستحون بإنسانيّتهم أن يعذبوا حيواناً، فضلاً عن تعذيب البشر، وأيّ بشر هو، إنّه صاحب رسول اللهﷺ.

ولو قال قائلٌ: إنّ خالداً هو من ارتكب هذا الخطأ وليس أبو بكر.

نقول: صحيح أنّ خالداً هو من ارتكب هذه الجريمةَ الشنعاء، لكنَّهُ كان مأموراً مِن قِبل أبي بكر بمحاربة مانعي الزكاة (على زعمهم). وأبو بكر كان حاكماً على رقاب المسلمين، فهو الآمر والناهي.

ومثاله اليوم، أنّا لو رأينا منكَراً في بلدٍ ما أو جريمةً بحقّ شخص أو جماعة معيّنة، فإنّ كلّ العقلاء يوبّخون ويذمّون حاكمَ ورئيسَ ذلك البلد، ولا يذمّون نفسَ الشرطي المباشر لتلك الجريمة، مع أنّه هو أيضاً محاسَبٌ على فعله ومسؤولٌ عنه ويستحقّ العقاب على ذلك عقلاً وشرعاً.

ولو سألنا أبا بكر لِمَ فعلت كلَّ هذا، وأَمرْتَ خالداً بقتل أولئك الأخيار من الصحابة؟ يقول وبكلّ بساطة: لأنّهم امتنعوا عن دفع الزكاة.

فليت شِعري، متى كان القتلُ من نصيب مانعي الزكاة (هذا إذا كان أبو بكر خليفة رسول الله الشرعي طبعاً)؟! والحديثُ الصحيحُ يقول إنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله أُمِر

---

١. أثافي: جمع أُثفية وهي أحجار ثلاثة يوضع القدرُ عليها فوق الموقد.

٢. تاريخ الإسلام للذهبي، حوادث ووفيات سنة (١١ ـ ٤٠ هجرية) ص٣٤.

بقتال النّاس حتّى ينطقوا بالشهادتين.

وهذا ما إعترف به عمر لأبي بكر حينما أراد قتالهم. لكنّ أبا بكر أصرّ على قتالهم، فيكون قد خالف صريحَ قول النبيّﷺ.

روى مسلم في صحيحه:

قال عمر بن الخطّاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله: «أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتّى يقولوا: لا إله إلا الله. فمن قال: لا إله إلاّ الله فقد عصم منّي مالَه ونفسَه إلاّ بحقّه، وحسابُه على الله؟». فقال أبو بكر: والله لأُقاتلنَّ من فرقَّ بين الصلاة والزّكاة، فإنّ الزّكاة حقُّ المال، والله لو منعوني عِقالاً كانوا يؤدّونه إلى رسول الله لقاتلتُهم على منعه[1].

وروى أيضاً:

عن سعيد بن المسيّب أنّ أبا هريرة أخبره، أنّ رسول الله قال: «أُمِرْتُ أن أُقاتل النَّاسَ حتَّى يقولوا: لا إله إلا اللهُ، فمَن قال: لا إله إلا اللهُ، عصمَ مِّنِي مالَه ونفسَه إلاَّ بحقّه، وحسابُهَ على الله»[2].





وجاء في صحيح سُنن النسائي:

عن أنس بن مالك، عن النبيّ قال: «أُمِرتُ أن أُقاتِل المُشركين حتّى يشهدوا أن لا إله إلاّ اللهُ، وأنَّ مُحمداً عبدُهُ ورسولُهُ، فإذا شهِدوا أن لا إله إلاّ اللهُ، وأنّ مُحمّداً عبدُهُ ورسولُه، وصَلَّوا صلاتَنا، واستقبلوا قِبلتَنا، وأَكلوا ذَبائِحَنا، فقَد حرُمَتْ علَينا دِماؤُهُم وأموالُهُم، إلاّ بحَقِّها»[3].

والسؤال هنا: كيف أراد أبو بكر منهم دفع الزّكاة وهم لم يُبايعوه؟ بل بايعوا عليّاًعليه السلام في غدير خم.

وكيف يدفعون الزّكاة لمن ليس خليفتَهم وإمامَهم؟

هذا كلّه فيما يخص قتاله للصحابة الأخيار. أمّا الفاجعة الكبرى التي قام بها أبو بكر فهي هجومُه على دار فاطمةَ الزهراءِ بنتِ الرَّسول المصطفىﷺ، هذه الدار التي كانت مهبطاً للوحي الإلهي، وكان النبي لا يدخلها حتى يستأذن ابنته فاطمة الزهراءعليها السلام.

قد يقول قائل: إنّ هذا لَبُهتانٌ عظيمٌ وكذبٌ على صحابيٍّ كبير مثلِ أبي بكر.

فنقول: يا ليته كان بُهتاناً وكذباً.

---

١. صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ص٣١.

٢. صحيح مسلم. كتاب الإيمان. ص٣١.

٣. ()صحيح سُنن النِّسائي، المجلَّد الثالث، ص٦٧. قال الألباني: صحيح.

هناك العديد من كتب السّنّة التي ذكرت قصّة الهجوم على دار السَّيدة فاطمةَ الزهراء عليها السلام، وبعض هذه المصادر صحيحة السّند كما سيأتي.

جاء في العقد الفريد:

وبعث إليهم أبو بكر عمرَ بن الخطّاب وقال لهم: فإن أبوا فقاتلهُم.وأقبلَ عمرُ بقبس من نار على أن يضرمَ عليهم النّارَ فلقيَتهُ فاطمةُ فقالت: يا ابن الخطّاب أَجئتَ لتُحرِقَ دارَنا؟ قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأُمَّة[1].

روى الطبري في تاريخه:

فدعا بالحطب وقال: والله لنحرقنّ عليكم أو لتخرجُنَّ إلى البيعة. أو لأُحرقَنَّها على من فيها. فيُقال للرجُل: إنّ فيها فاطمةَ فيقول: وإِنْ![2].

نعم، وإن كانت فيها فاطمةُ سيّدة نساء العالمين، لايهُمّ. المهمّ هو الحصول على السلطة والحكم وبأيّ طريقة كان.

روى ابن أبي شَيبة بسند صحيح:

حدّثنا محمد بن بشر حدّثنا عُبَيد الله بن عمر حدّثنا زيد بن أسلم عن أبيه أسلمَ أنّه حين بويع لأَبي بكر بعد رسول الله وكان عليٌّ والزّبيرُ يدخلان على فاطمة بنت رسول الله فيُشاورونها ويرتجعون في أَمرهم، فلمّا بلغ ذلك عمرَ بن الخطاب خرج حتّى دخل على فاطمة فقال: يا بنتَ رسول الله، والله ما من أحدٍ أحبُّ إلينا من أبيك، وما من أحد أحبُّ إلينا بعد أبيك منك، وأيمُ اللهِ ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك، أن أمرتُهم أن يُحَرَّقَ عليهم البيت، قال: فلمّا خرج عمرُ جاؤوها فقالت: تعلمون أنّ عمر قد جاءني وقد حلف بالله لئِن عُدتُم ليُحرّقنَّ عليكم البيتَ وأيمُ الله ليمضيّنَّ لما حلف عليه، فانصرفوا راشدين، فَرُوا رأيكم ولا ترجعوا إليّ. فانصَرفوا عنها فلم يرجعوا إليها حتّى بايعوا لأبي بكر[3].



---

١. العقد الفريد لابن عَبْد ربّه الأندلسي ج٢/ ص٢٥٠. وتاريخ أبي الفداء ج١/ ص١٥٦ وأعلام النساء ج٣/ ص١٢٠٧.

٢. تاريخ الطّبري ج٣/ ص١٩٨. والإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١/ ص١٣. وشرح ابن أبي الحديد ج١/ ص١٣٤. وأنساب الأشراف للبلاذري ج١/ ص٤٠٤.

٣. مُصَّنف ابن أبي شيبة ٢١/ ١٣٤ قال المحقق الدكتور سعد بن ناصر الشثري: صحيح خرّجه أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة [٥٣٢] وابن عبد البر في الإستذكار ٣/ ٩٥٧ وابن أبي عاصم في الآحاد [٩٢٥٢]. والمذكّر والتذكير والذكر لابن أبي عاصم الشيباني ص٩١ قال أبو ياسر الردادي: إسناده صحيح، وأنساب الأشراف للبلاذري١/ ٥٨٦ بسند رجاله ثقات، وتاريخ الطبري ٣/ ٢٠٢ بسند رجاله ثقات، والإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ٣٠ والوافي بالوفيات ٦/ ١٢ والمختصر في أخبار البشر ١/ ١٥٦ ونهاية الأرب في فنون الأدب ١٩/ ٤٠ وأعلام النساء ٤/ ١١٤ وإزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء ٤/ ٩٧ والإستعاب لابن عبد البَّر ج١/

أمّا سند الرّواية:

محمّد بن بشر: قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء: الحافظ الإمام الثّبت. وقال عنه أبو عبيد الآجري: هو أحفظ من كان بالكوفة. وقد وثّقه يحيى بنُ معين وغيره. وهو من رجال الكتب الستة.

عُبيد الله بن عمر: إبن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، فهو تابعي. قال عنه الذهبي: المجوّد الحافظ. ووثّقه أحمدُ بن حنبل ويحيى بنُ معين.

أمّا زيد بن أسلم وأبوه فمن رجال البخاري ولا يحتاجان إلى توثيق. وبالتّالي فالسندُ صحيحٌ لا غبار عليه.

وقد أخرج هذه الروايةَ عليُّ محمّدُ محمّد الصّلابيّ في كتابه «أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب».

لكنّه حذف عبارة عمر حينما أقسم أن يحرق دار فاطمة الزهراء حين قال: «وأيم الله، ماذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفرُ عندك أن آمر بهم أن يُحَرَّقَ عليهم البيت». فاستبدلها بكلمة: «وكلّمها»[1].

لكنّه قال: أخرجه ابنُ أبي شيبة في المصنّف وإسناده صحيح.

بالتالي فرواية ابن أبي شيبة صحيحة السند.

والجديرُ بالذِّكر أنّ نفس ابنِ تيميّة قد اعترف في مِنهاجه بذلك حيث قال:

وغاية ما يقال إنَّه كَبَسَ البيتَ ليَنظُر هل فيه شيءٌ من مال الله الذي يُقَسِّمه وأن يعطيه لمستحقِّه ثُمّ رأى أنَه لو تركه لهم لجاز فإنَهُ يجوز أن يعطيهم من مال الفيء[2].

لاحظ عبارة: (كَبَسَ البيتَ). وأيُّ باب كبسه يا ابن تيميّة؟، ألم تقرأوا قوله تعالى: ﴿ يا أَيُّها الذين آمنوا لا تَدخُلوا بُيوتاً غَيرَ بُيوتكُم حتّى تَستأْنِسوا وتُسلّموا على أهلها ذلكُم خَيرٌ لكُم لعلَّكُم تَذَكَّرون* فإن لم تَجِدوا فيها أحداً فَلا تَدخلُوها حتّى يُؤذَنَ لكُم وإن قيلَ لكُم ارجعوا فارجعوا هو أَزكى لكُم واللهُ بما تَعملون عليم﴾ [3].

وهل كنت تقبل أن يُهجم على دار أمك يا ابن تيمية وأن يُكبس بيتها. فإن قلت: نعم. فاذهب وراجع أصلك ونسبك. وإن قلت لا فلعنة الله على من يقبل الهجوم على دار سيدة النساء ولا يقبل ذلك على أمه.

وهذا أبو بكر نفسُه يعترف بذلك، كما جاء في الأحاديث المختارة: عن صالح بن

ص٢٩٨. والعقد الفريد لابن عبد ربّه ٥/ ١٣ وكنز العُمّال ج٥/ ص٦٥١.

١. كتاب أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب لعليّ محمّد محمّد الصّلابيّ ج١/ ص٢٠٢.

٢. منهاج السنّة ج٨، ص٢٩١.

٣. النور: ٢٧.

كيسان، عن حميد بن عبد الرّحمن بن عوف، عن أبيه، قال: دخلت على أبي بكر رضي اللّه عنه، أعوده في مرضه الّذي توُفّي فيه، فسلّمت عليه وسألته كيف أصبحت؟ فاستوى جالسًا، فقلتُ: أصبحت بحمد اللّه بارئًا، فقال:أما إنّي على ما ترى وجعٌ، وجعلتم لي شُغلا مع وجعي، جعلت لكم عهدًا من بعدي، واخترت لكم خيركم في نفسي فكلّكم ورمَ لذلك أنفه رجاء أن يكون الأمر له، ورأيت الدّنيا قد أقبلت ولمّا تقبل وهي جائيةٌ، وستنجّدون بيوتكم بسور الحرير، ونضائد الدّيباجِ، وتأملون ضجائع الصّوف الأذريّ، كأنّ أحدكم على حسك السّعدان، وواللّه لأن يَقدم أحدُكم فيُضربَ عنقه في غير حدٍّ خيرٌ له من أن يسيح في غمرة الدّنيا، ثمّ قال: أما إنّي لا آسى على شيءٍ، إلاّ على ثلاثٍ فعلتُهنّ، ووددتُ أنّي لم أفعلهُنّ، وثلاثٍ لم أفعلهُنّ وددتُ أنّي فعلتُهنّ، وثلاثٍ وددتُ أنّي سألتُ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم عنهنّ، فأمّا الثّلاث اللاّتي وددتُ أنّي لم أفعلهُنّ: فوددت أنّي لم أكن كشفت بيت فاطمةَ وتركتهُ وإن أغلقَ عليّ الحرب، ووددت أنّي يوم سقيفة بني ساعدة كنتُ قذفتُ الأمرَ في عنق أحد الرّجُلين: أبي عُبيدة أو عمر، فكان أميرَ المؤمنين، وكنتُ وزيرًا[1].

هذا وقد قال رسولُ اللهﷺ:»إنّما فاطمة بضعةٌ منّي يؤذيني ما آذاها«[2].

وروى مسلم في صحيحه أن النبيﷺ قال:» من حمَلَ علينا السّلاحَ فليس منّا«[3].

والمعلوم تاريخيا أن عمر وجماعته قدموا إلى دار فاطمة الزهراءعليها السلام مصلتين سيوفهم لإخراج عليّعليه السلام والزبير ومن كان معهما مِن الدار بالقوّة.

وجاء في صحيح البخاري:

عن المسور بن مَخرمة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال:»فاطمة بضعةٌ منّي فمَن أغضبَها أغضبني«[4].

فلا ندري ما سيقوله أبو بكر وعمر لرسول الله يوم القيامة إذا سألهما: كيف حفظتُما أهلَ بيتي مِن بعدي؟

---

١. الأحاديث المختارة لضياء الدين المقدسي الحنبلي ج١/ ص٨٩، قال: هذا حديث حسن. وقد قال ابن تيمية إنّ هذا الكتاب أصحّ من مستدرك الحاكم كما جاء في مجموع الفتاوى ج٣/ ص٤٣. وانظر المعجم الكبير للطبراني ج١/ ص١٧. وتاريخ الطبري ج٢/ ص٦١٩. وتاريخ دمشق لابن عساكر ج٣٠/ ص٤١٨. وتاريخ الإسلام للذهبي ج١/ ص٣٨٥. ومجمع الزّوائد ومنبع الفوائد للهيثمي ج٢/ ص٣٥٣. ولسان الميزان لابن حجر ٤/ ١٨٩.

٢. صحيح مسلم ج٤/ ص١٩٠٣.

٣. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبيﷺ: من حمل علينا السلاح فليس منا [٩٨].

٤. صحيح البخاري ج٤، ص٢١٠.

قال تعالى على لسان النّبيّ المُصطفى: ﴿قُل لا أَسئلُكُم عليهِ أجراً إلاّ المودَّةَ في القُربى﴾[1].

هذه هي قربى رسول الله ﷺ بين محرّقة داره وبين مضروب بالسيف على رأسه وهو في محرابه يصلي، وبين مكابد سمّاً نقيعا، وبين ممنوع ماءً تشرب منه وحوش الفلاة، مقطوع الرأس محمول على القنا، وبين سبي صحابية جليلة القدر ابنة سيدة النساء من كربلاء إلى الشام أمام أنظار القاصي والداني، وبين مغيّب في قعر السجون لم ير النور إلى حين المنون. فلا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

فإذا كان المسلم العادي يمنعه ضميره من اقتحام بيوت الكفار فكيف الحال ببيت أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا، وكان جبريل عليه السلام لا يدخله إلا باستئذان. إنه بيت الأنبياء، بل هو من أفاضلها كما أخبر بذلك الصادق الأمين.

ومن يتّصف بهذه الخصال فإنّه جزماً لا يكونُ عادلاً فضلاً عن كونه أعدلَ الناس، بينما خليفةُ المسلمين يجبُ كونُه أعدلَ أهلِ زمانه وإلاّ لانتفى الغرضُ من وجود إمامٍ يُقيم العدل بين الرّعيّة ويرجعُ إليه المظلومُ لاسترداد حقّه.





وليتَ شِعري، إذا كان خليفةُ المسلمين يصنع هذا ببنت رسول الله وسيّدة نساء العالمين وريحانةِ المُصطفى وأُمِّ أبيها[2] وزوجةِ أمير المُؤمنين وأُمِّ الحَسنِ والحُسَين، فكيف لا يصنعُ أكثرَ مِن ذلكَ معَ غَيرِها؟

هذه هي عدالة أبي بكر، وهذا الذي ذكرناه غيضٌ من فيض.

ومن هنا فإنه يحقّ لكل مسلم أن يطرح على نفسه السؤال التالي:

إذا كان في زماننا الحاضر رجلٌ بهذه الصفات، هل كان يستحقّ الخلافة؟ وهل كان أهلاً لتولّي أمور المسلمين؟ وهل كان المسلمون يرضون برجل هكذا صفاته؟

***

---

١. الشورى: ٢٣.

٢. تُكنَّى السيدّةُ فاطمةُ الزهراءُ عليها السلام بأُمِّ أبيها، أنظر «أُسْد الغابة» لابن الأثيرج٧/ ص٢١٦.

شجاعة أبي بكر

من أهمّ شرائط خليفة المسلمين كونه شجاعاً لا يهاب الموت، بل يجب كونه أشجع أهل زمانه حتّى يستطيع قيادة الأمّة والحفاظ على كيانها ووجودها، وليبعث روح الأمن والعزّة والسلام والاستقرار في نفوس الرعيّة. ومن هنا سنقدّم للقارئ الكريم بعض ما جاء في شجاعة أبي بكر فنقول:

أمّا بالنّسبة لشجاعته فقد روت كتب السّنّة انهزامَه في بعض المعارك وفراره في بعضها فقد ذكر الحاكمُ في مستدركه:

أخبرنا أبو قتيبة سالمُ بن الفصل الآدمي بمكّة، ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، ثنا عليّ بن هاشم عن محمد بن عبد الرحمن بنِ أبي ليلى عن الحكم وعيسى عن عبد الرحمن عن أبي ليلى عن عليٍّ أنّه قال: يا أبا ليلى، أما كنتَ معنا بخيبر؟ قال: بلى والله كُنتُ معكم، قال: فإنّ رسول الله صلّى اللهُ عليه وسلّم بعث أبا بكر إلى خيبر فسار بالنّاس وانهزمَ حتّى رجع[1].

وأخرج ابن عساكر في تاريخه:

أخبرنا عبد الله بن حكيم عن أبيه عن حكيم بن جُبير عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: بعث رسول الله أبا بكر إلى خيبر فهُزِمَ فرَجع فبعث عمرَ فَهُزِمَ فرجعَ يُجَبِّنُ

١. المستدرك على الصّحيحين ج٣/ ص٣٩ قال: هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص. وانظر فضائل الصحابة ٢/ ٥٨٣ قال وصيّ الله بن محمد عباس: إسناده حسن، وقد جاء في الرواية كلمة (فلان) و(رجُل) بدل أبي بكر وعمر وهذا من تدليسات القوم. و انظر أيضاً مجمع الزوائد ٩/ ١٢٤.

أصحابَهُ ويجَبّنهُ أصحابُه، فقال رسول اللهِ: لأدفعنّ الراية إلى رجُل يُحِبُّ اللهَ ورَسولَهُ ويُحِبُّهُ اللهُ ورَسولُهُ، يفتح اللهُ عليه، فدعا علياً فقيلَ له إنّهُ أرمد، قال: أُدعوه، فدعوهُ فجاءهُ فدفع إليه الرّاية ففتح اللهُ عليه[1].

وجاء في مُسند أحمد:

حدّثنا زيد بن الحباب، حدّثني الحسين بن واقد، حدّثني عبد اللهِ بن بريدة، حدّثني أبي بريدة، قال: حاصرنا خَيبر، فأخذ اللِّواءَ أبو بكر، فانصرف ولم يُفتح له، ثمّ أخذه من الغد عمرُ، فخرج، فرجع ولم يُفتح له، وأصاب النّاس يومئذٍ شِدَّةٌ وجهدٌ، فقال رسولُ الله(): «إنّي دافعٌ اللّواء غداً إلى رجُل يُحِبُّهُ اللهُ ورسولُهُ، ويُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ، لا يرجع حتّى يُفتحَ له، فبِتنا طيّبةٌ أنفسُنا أنّ الفتح غداً، فلمّا أن أَصبح رسولُ الله، صلّى الغداة ثمّ قام قائماً، فدعا باللّواء والنّاس على مصافِّهم، فدعا علياً وهو أرمد، فتفل في عينيه، ودفع إليه اللِّواء، وفُتِحَ لَهُ[2].

إنّه الإمام الذي لا يُهزم، بل لا وجود للهزيمة في قاموسه، إنّه سيف الله المسلول الذي سَلَّه على أعداء الله، من مشركين ومنافقين، إنّه الصِدّيق الأكبر.

روى ابن ماجة في سننه:

عن عبّاد بن عبد الله قال: قال عليٌّ: أنا عبد الله، وأخو رسوله، وأنا الصِدّيق الأكبر، لا يقولها بعدي إلاّ كذّاب، صلَّيتُ قبل الناس سبعَ سنين[3].

وعن معاذة العدويّة قالت: سمعت عليَّ بن أبي طالب يقول على منبر البصرة: أنا الصدّيق الأكبر، آمنتُ قبل أن يؤمن أبو بكر، وأسلمتُ قبل أن يُسلم[4].

---

١. تاريخ دمشق لابن عساكر ج٤٢/ ص٩٦. ونحوه في صحيح مسلم ١٥/ ١٧٧.

٢. مُسند أحمد بنِ حَنبل بتحقيق شُعيْب الأَرنؤوط ج٣٨/ ص٩٧، قال: هذا حديثٌ صحيح.

٣. سنن ابن ماجة بتحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا.المجلّد الأول ص٨٥ قال: هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات. ورواه الحاكم في المستدرك ج٣/ ص١١١ وقال: على شرط الشيخين. وانظر مصنّف ابن أبي شيبة ج١٢/ ص٩٥. وفضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج٢/ ص٥٨٦. وخصائص الإمام عليّ عليه السلام للنسائي ص٢٤ ٢٥. ومعرفة الصحابة لأبي نعيم ج١/ ص٣٠١. قال البوصيري في الزوائد: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. وقد رواه خمسة من التابعين.

٤. ذخائر العقبى ص١١١. وأنساب الأشراف للبلاذري ٢/ ١٤٦. ونحوه في الآحاد و المثاني لابن أبي عاصم مج١ ص١٤٨. ومصنف ابن ابي شيبة ١٢/ ٩٥. وأحمد في فضائل الصحابة٢/ ٥٨٦. والحاكم في المستدرك٣/ ١١١ قال: صحيح على شرط الشيخين. وقال البوصيري في الزوائد: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. والرياض النضرة ص ١٠٧.

وروى ابن أبي شيبة في مصنّفه:

أنّ رسول الله بعث أبا بكر بالنّاس فانهزم حتى رجع إليه وبعث عمرَ فانهزم بالنّاس حتّى انتهى إليه، فقال رسولُ الله: لأُعطيَنَّ الرايةَ رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ ويُحِبُّه اللهُ ورسولُهُ، يفتح اللهُ له، ليس بفَرَّار[1].

وقول النّبيّ: ليس بفرَّار، هذا يعني أنّ الّذين بعثهما قبله كانا قد فرّا.

ثمّ يجب أن لا ننسى أنّ الفرار من الزّحف هو من الكبائر في الإسلام وأنّ الصحابة قد بايعوا النّبيّ ﷺ على أن لا يفرّوا.

روى التّرمذي في سُننه:

حدّثنا أحمد بن منيع حدَّثنا سفيان بن عيينة عن أبي الزّبير عن جابرِ بنِ عبد الله قال: «لم نُبايع رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم على الموت إنَّما بايعناه على أن لا نَفِرَّ»[2].

وروى مسلم في صحيحه:

حدَّثنا قتيبة بن سعيد حدَّثنا لَيث بن سعد حدَّثنا محمّد بن رمح أخبرنا اللَّيث عن أبي الزّبير عن جابرٍ قال: كنّا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائةٍ فبايعناه وعمرُ آخذٌ بيده تحت الشّجرة وهي سَمُرَةٌ، وقال: بايعناه على أن لا نفرَّ ولم نبايعه على الموت[3].



ولا ننسى غزوة الخندق حينما برز عَمرو بن عبد ودٍّ العامري مخاطباً المُسلمين وطالباً مبارزتَهم. وكان عمرو فارساً شجاعاً ورجلاً قوياً، وهناك قام الرسولُ ﷺ ينادي في المسلمين: هل فيكم من مبارز له؟ فسكت المسلمون جميعُهم وكأنّ على رؤوسهم الطّير، إلا علياً عليه السلام فإنّه قام وقال للنبيّ: أنا له يا رسول الله، فبرز إليه حتّى إذا دنا منه عمرو ضربه الإمامُ عليٌّ عليه السلام على رأسه ففلق هامتَه وصاح المسلمون بالتكبير فرَحاً بهذا النَّصر الإلهي العظيم.

فأين كان أبو بكرٍ حينما طلب عمرو بن عبد وُدٍّ مبارزتَهم؟ وأين كان حينما ناداهم النّبيُّ الأكرم بقتال عمرو؟ بعدما كان ﷺ قد ضمن الجنّة للقتيل منهم؟

ولو كان خليفةُ المسلمين في مثل هذه المواقف غيرَ قادر على إبراز شجاعته وإظهار قوّته وبسالته، فمتى يا ترى يمكنه إبرازها؟

---

١. مُصَنَّف ابنِ أبي شَيبةَ ج٨/ ص٥٢٢. ومجمع الزوائد كتاب المغازي والسير ص١٦٠ قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله ثقات. وانظر تهذيب الخصائص للنسائي ص٢٠-٢١. والإستيعاب لابن عبد البر، باب حرف العين ص٥٢٧ قال ابن عبد البر: وهذه كلها آثار ثابتة. ونحوه في صحيح البخاري باب غزوة خيبر. وصحيح مسلم ١٥/ ١٧٧. و فضائل الصحابة ص٧٦٥ قال: إسناده صحيح. وفي مسند أحمد ١٦/ ٤٩١ قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح

٢. صحيح سنن التّرمذي، باب ما جاء في بيعة النبيّ، ص٣٧٦، قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح.

٣. صحيح مسلم، كتاب الإمارة، ص٩٠٠.

ولسنا هنا في مقام ذكرِ الهزائم والعصيان والفرار الذي صدرَ من كثيرٍ من الصّحابة في أرض المعركة، ومن يريد معرفة المزيد ما عليه إلاّ مراجعة كتب التّاريخ ليعلم ما صدر من كبار الصحابة من فرار وتولية دبر وعصيانٍ لأوامر رسول الله ﷺ في أحنك الظروف.

وهذه بعض الآيات القرآنية التّي ذمَّت الفارّين والمولّين أدبارَهم في أرض القتال.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ* وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاّ مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرِ﴾[2].

وقد يقول قائل: ماذنب أبي بكر إذا كان قد حاول فتح قلعة خيبر لكنّه لم يُوفَّق لذلك؟

نقول: إنّ المشكلة والعصيان ليس في كونه لم يقدر على فتح باب خيبر بل المشكلةُ في أنّه رجع خائباً منهزماً فلم يحظَ بإحدى الحُسنَيين، في حين كان تكليفُه الشَّرعيُّ إمّا أن يفتح قلعة خيبر ويعود منتصراً، وإمّا أن يحظى بالشّهادة في سبيل الله. لأنّ الجهاد في الإسلام يكون مقدّمةً إمّا للنّصر أو الشّهادة وليس مقدّمةً للفرار والإنهزام والرجوع بالخيبة.

وعلى كلِّ حال فقد تبيّن لنا أنّ صاحب هكذا صفات لا يكون شُجاعاً فضلاً عن كونه أشجعَ النّاس، بينما اشترط علماء السّنة كون خليفة المسلمين شجاعاً ومجاهداً للعدوّ، في حين لم تذكر لنا كتب السِّير والتاريخِ إسم مشرك واحد قُتِلَ بسيف أبي بكر أوعمر.

***

١. آل عمران: ١٥٢.

٢. الأنفال: ١٥ ١٦.

علمُ أبي بكر

من الواضح وجوب كون خليفة المسلمين أعلم أهل زمانه حتى يتسنّى للأمة الرجوع إليه في مسائلهم العقدية والفقهية وتفسير القرآن والحديث. لا العكس، بأن يرجع هو إليهم.

ومن المعلوم والمسلّم به أن أبا بكر لم يكن كذلك، إذ أن الناس كانوا يسألونه فلا يجيبهم بعلم. بل هو الذي كان دائمَ الرُّجوع إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في أمور الدِّين والفقه والمسائل العِضال.

جاء في كتاب المُنتظم:

«وكان أبو بكرٍ وعمرُ يُشاوِرانِه (يعني علياً عليه السلام) ويرجَعان إلى رأيِه، وكان كلُّ الصَّحابة مُفتَقِراً إلى علمه»[1].

وأخرج أبو عبيد في فضائله وعبد بن حميد، عن إبراهيم التيمي قال: سُئِل أبوبكر الصديق عن قوله: ﴿أَبًّا﴾ فقال: أيُّ سماءٍ تُظِلُّني وأيُّ أرضٍ تَقُلُّني إذا قُلتُ في كتاب الله ما لا أعلم[2] (٢).

وروى ابن أبي شيبة:

حدَّثنا محمّد بن عبيد، عن العوّام بنِ حوشب، عن إبراهيم التيمي:أنّ أبابكر سُئِلَ

---

١. المُنتظم في تاريخ الأُمَم و المُلوك لأبي الفرج عبدِ الرَّحمنِ بنِ علي بنِ مُحَمَّدٍ الجوزي المُتوفّى:٥٩٧، تحقيق مُحَمَّد عبد القادر عطا،ج٥/ ص٨٦، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢ هجري.

٢. الدُّرُ المنثور للسُّيوطي ج٦/ ص٣١٧. وانظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج٦/ ص٢١٢.

عن: ﴿فاكهةً وأبّا﴾، فقال: أيُّ سَماءٍ تُظِلُّني وأيُّ أرضٍ تُقِلُّني إذا قُلْتُ في كتاب الله ما لا أعلم[1].

وأخرج السُّيوطي في الدُّر المَنثور:

أخرج عبد الرّزاق وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة والدارمي وابن جرير وابن المُنذر والبيهقي في سُننه، عنِ الشّعبي قال: سُئِل أبوبكر عن الكلالة، فقال: «إنّي سأقولُ فيها برأيي، فإذا كان صَواباً فَمِنَ الله وحدَه لا شريك له، وإن كان خطأً فَمِنّي ومِنَ الشّيطان، واللهُ مِنه بريء، أراه ما خلا الولد والوالد» فلمّا استخلف عمرَ قال: «الكَلالةُ ما عدا الوَلد»، فَلمّا طُعِنَ عُمَرُ قال: «إنّي لأَستحي مِنَ اللهِ أن أُخالفَ أبابكر»[2].

لاحظ أوّلاً عدم علم أبي بكر بالقرآن، ثمّ إنّه يقول برأيه في وقت يحتاج فيه المسلمون رأيَ الله عزّ وجلّ وليس رأيه، ثمّ يأتي عمرُ فيخالف أبا بكر، فمن كان مُحقّاً ومن كان مُخطأً فيهما؟ وهل يتّبع المسلمون أبا بكر أم يتّبعون عمر في هكذا مسألة؟

هكذا يحصل حينما يتلبّس شخصٌ بما ليس له.



ثمّ كيف يجهل خليفةُ المسلمين معنى كلمة (الأَبّ) و(الكَلالَة) وغيرها من أمور الدِّين التي تهمّ المسلمين؟ وما كان صانعاً لو سأله المسلمون عن أحكام القرآن وتفسيره وبيان مُحكمِه من مُتشابِه أو ناسِخِه مِن منسوخه و...؟؟؟



وكما يقول المثل: فاقدُ الشّيء لا يعطيه.

والمعروف أنّ تعليم النّاس أمورَ دينهم وهدايَتهم والسَّير بهم إلى طريق النّجاة هو من مسؤوليات خليفة المسلمين، وإلاّ لو كان الخليفة جاهلاً بهذه التَّعاليم والأحكام لأدّى ذلك إلى انتفاء الغرض من كونه خليفةً لهم، لأنّه يصبح بهذا أحوجَ إلى غيره في هذه المسائل. وبدل أن يرجع إليه الناس يرجع هو إليهم.

وبعدما رأينا اختلال هذه الشروط في أبي بكر إتّضح عدم كونه أهلاً ومُستحقّاً للخلافة بالتالي بطَل كونه إمام المسلمين.

***

١. مُصنَّف ابن أبي شيبةَ ج٧/ ص٩.

٢. الدُّر المَنثور للسُّيوطي ج٢/ ص٢٥٠.

السُّنة تُعارض خِلافة أبي بكر

إنّه حديث الثقلين، الصحيح والمتواتر في كتب المسلمين، حيث جاء فيه أنّ النبيّ ﷺ أمرنا بالتمسّك بالقرآن وعترته أهل بيته، ووعدنا أنّنا لن نضلّ أبداً إن نحن تمسّكنا بهما. ومفهومه الوقوع في الضلالة إن نحن لم نتمسّك بهما، وهذا ما وقعت فيه أمة رسول الله ﷺ للأسف.

روى مسلم في صحيحه:

عن زيد بنِ أرقم عن النَّبي [صلى الله عليه وآله] أنّه قام خطيباً بماءٍ يُدعى خُمّاً بين مكّةَ والمدينةِ فحمد اللهَ وأثنى عليه ووعظ وذكَّر، ثمّ قال: "أمّا بعد: ألا يا أيُّها النّاسُ إنَّما أنا بَشرٌ يوشك أن يأتي رسولُ ربّي فأُجيب، وأنا تارِكٌ فيكُم ثَقلَيْن، أَولُهُما: كتابُ اللهِ فيه الهُدى والنّور، فَخُذوا بكتاب اللهِ واستمسكوا به، فحثَّ على كتاب الله ورغَّب فيه، ثمّ قال: وأهلُ بيتي، أُذَكِّرُكُم اللهَ في أَهلِ بَيتي، أُذَكِّركُم اللهَ في أهل بيتي، أُذَكِّرُكُم اللهَ في أهل بيتي..." [١].

وقد ذُكر حديثُ الثَّقلين بألفاظ مختلفة في كُتب السنّة نذكر منها:

قال رسول الله ﷺ: «إنّي تاركٌ فيكُم خَليفتَين، كتابَ الله حبلٌ ممدودٌ ما بين السّماء والأرض، أو ما بين السَّماء إلى الأرض، وعترّتي أهلَ بيتي، وإنَّهما لن يفتَرقا حتّى يَردا عَلَيَّ الحَوض» [٢].

---

١. صحيح مسلم. كتاب فضائل الصحابة. باب فضائل الإمام عليٍّ عليه السلام ج٢/ ص٢٣٨.

٢. مسند أحمد ج٥/ ص١٨١ صحيح، وانظر المُعجم الكبير للطّبراني ج٥/ ص١٦٦. وكنز العُمّال ج١٤/ ص٧٧. وسُنن النَّسائي ج٥/ ص١٣٠ ورجال سنده ثقات. ومجمع الزّوائد ومنبع الفوائد ج٩/ ص١٦٢

ومنها: ما أخرجه التّرمذي بإسناده عن جابر بن عبد الله قال:

رأيتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم في حِجَّته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعته يقول: «يا أيُّها النّاس، قد تركتُ فيكم ما إن أخذتُم به لن تضِلّوا: كتابَ اللهِ وعترتي أهلَ بيتي» [1].

وروى الحاكم النّيسابوري في مستدركه:

عن أبي الطُّفيل عن زيد بن أرقم قال: نزل رسولُ اللهﷺ بين مكّة والمدينة عند شجرات خمس ودوحات عظام، فكنَس النّاسُ ما تحت الشّجرات، ثمّ راح رسولُ الله ' عشيّةً فصَلّى ثمّ قام خطيباً، فحمد اللهَ وأثنى عليه وذكَّر ووعظ فقال ما شاء الله أن يقول، ثمّ قال: «أيُّها النّاس إنّي تاركٌ فيكم أمرين لن تضِلّوا إن اتّبعتموهما، وهما كتابُ الله وأهلُ بيتي عترتي، ثمّ قال: «أتعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ ثلاث مرات قالوا: نعم. فقال رسولُ اللهﷺ: «مَن كنتُ مَولاهُ فَعَلِيٌّ مَولاه»[2].

قال ابن حجر الهيتمي في صواعقه:

إعلم أنّ لحديث التَّمسّك بذلك طُرقاً كثيرةً وردت عن نيِّفٍ وعشرين صحابيّاً، ومرَّ له طرقٌ مبسوطةٌ في حادي عشر الشُبه، وفي بعض تلك الطّرق أنّه قال ذلك بحجَّة الوداع بعرفة، وفي أخرى أنّه قاله بالمدينة في مرضه، وقد امتلأت الحُجرةُ بأصحابه، وفي أخرى أنّه قال ذلك بغدير خُمّ، وفي أخرى أنّه قاله لمّا قام خطيباً بعد انصرافه من الطّائف كما مرّ، ولا تنافي، إذ لا مانع من أنّه كرَّر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماماً بشأن الكتاب والعترة الطّاهرة[3].



فإذاً حديث الثقلين صحيحٌ ومتواتر وقد رواه جمعٌ كثيرٌ من الصحابة وذكره كثير من علماء السنة في كتبهم ومصنّفاتهم وإليك بعضٌ منها:

السلسلة الصحيحة للألباني ج٤/ص٣٥٦ و[١٧٦١] صحيح، وصحيح الجامع الصغير للألباني [٢٧٤٨] صحيح، وكتاب السنة لأبي بكر ابن أبي عاصم [٧٥٤] صحيح، وشرح مشكل الآثار للطحاوي ج٥/ص١٨ صحيح، وعارضة الآحوذي ج٧/ص١٥٩ صحيح، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٩/ص١٦٥ إسناده جيد.

فإذا علمنا أنّ الثّقلين هما القرآن وأهل البيت يأتي السّؤال التّالي وهو: هل كان أبو

بسند جيّد. وفضائل الصّحابة ج٢/ ص٧٠٧ بسند صحيح.

١. سنن الترمذي. باب مناقب أهل البيتعليهم السلام ص٨٥٥ [٣٧٨٦].

٢. المستدرك على الصحيحين ج٣/ ص١١٠. قال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد.

٣. الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي المتوفّى سنة ٩٧٣. تحقيق عبد الرحمن بن عبد الله التركي وكامل محمد الخرّاط. ص٤٤٠.

بكر من أهل البيت حتّى يحقّ للمسلمين التّمسّك به؟

والجواب هو أنّه لا يختلف اثنان في أنّ أبا بكر ليس من أهل البيت، بالتّالي يحقّ لكلِّ مسلم أن لا يتمسّك بأبي بكر وأن لا يتّبعه. بل هو الواجب والمطلوب، وخاصّة إذا قرأنا حديث الثّقلين الذي جاءت فيه كلمة (خليفتين) بدل (ثقلين) وهذا نصُّه:

قال رسولُ اللهﷺ: «إنّي تاركٌ فيكم خليفتَين: كتابَ اللهِ حبلٌ مَمدودٌ ما بين السَّماء والأرض، وعترتي أهلَ بيتي، وإنّهما لن يتفرّقا حتّى يردا عليَّ الحوضَ"[1].

وهذا يعني أنّ النّبيَّ الأكرمَﷺ قد ترك لنا خليفتين وهما القرآن وأهل البيت عترة النّبيّﷺ، بالتّالي يحقُّ لكلِّ مسلم على وجه الأرض التمسُّك بالقرآن وأهل البيت(عليهم السلام) فقط، ويأتي يوم القيامة مبرأ الذِّمّة أمام رسول اللهﷺ.

فإن سأله رسول اللهﷺ يوم القيامة: لماذا لم تتمسّك بأبي بكر وعمر وعثمان؟

يقول بكل بساطة: إنّك يا رسول الله أمرتنا بالتمسّك بالثقلين، كتاب الله وأهل بيتك. وأبو بكر وعمر وعثمان لم يكونوا من أهل بيتك فلم نتمسّك بهم.



وفي الحقيقة فإنّ هذا الحديث لوحده كافٍ في إبطال خلافة أبي بكر وعمر وعثمان بالإضافة إلى خلفاء بني أميّة وبني العباس.

ومن هنا فلا يحقّ لأحد أن يكذب على رسول اللهﷺ ويقول إنّه لم يستخلف من بعده، وإنّه رحل ولم يعيّن لنا الخلفاء بعده.

فإن لفظ (إني تارك فيكم خليفتين) يدلّ وبوضوح أنهﷺ استخلف من بعده ولم يترك أمّته ضائعة بلا راع ولا إمام.

فإن قيل: من هم أهل البيت(عليهم السلام) حتّى نعرفهم ونتمسّك بهم؟

نقول: روى مسلم في صحيحه:

قالت عائشة: خرج النبيُّ غداةً وعليه مِرطٌ مُرحَّل من شعر أسود، فجاء الحسنُ بن عليٍّ فأدخله، ثمّ جاء الحسينُ فدخل معه، ثمّ جاءت فاطمةُ فأدخلها، ثمّ جاء عليٌّ فأدخله، ثمّ قال: ﴿إنّما يريد اللهُ ليُذهِبَ عنكُم الرِّجسَ أهلَ البيت ويُطهِّركُم تَطهيرا﴾[2].

ولقائلٍ أن يقول: وأين نساء النبيّ من أهل البيت؟

نقول: مسلم في صحيحه يجيب على ذلك، حيث يقول:

حدّثنا محمد بن بكّار بن الريّان، حدّثنا حسّان عن سعيد عن يزيد بن حيّان عن زيد بن أرقم، قال: دخلنا عليه فقلنا له: لقد رأيتَ خيراً، لقد صاحبتَ رسولَ الله وصلَّيتَ

---

١. الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي المتوفّى سنة ٩٧٣. تحقيق عبد الرحمن بن عبد الله التركي وكامل محمد الخرّاط. ص٤٤٠. وصحيح الجامع الصغير ١/ ٤٨٢ قال الألباني: صحيح.

٢. صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل البيت، ص١١٣٦.

خلفَه. وساق الحديث بنحو حديث أبي حيّان، غير أنّه قال: «ألا وإنّي تاركٌ فيكم ثقلين: أحدهما كتابُ الله عزّ وجلّ، هو حبل الله، من اتّبعه كان على الهُدى، ومن تركه كان على ضلالة». وفيه: فقلنا: من أهل بيته؟ نساءُهُ؟ قال: لا وأيمُ الله، إنّ المرأة تكون مع الرّجُل العصرَ من الدَّهر، ثمّ يُطَلِّقها فترجِع إلى أبيها وقومها، أهلُ بيته أصلُهُ، وعَصَبَتُهُ الذين حُرموا الصدقةَ من بَعده... [1].

فهاهو الصحابي زيد بن أرقم يقسم بالله أن نساء النبي لسن من أهل بيته، وقول الصحابة عند القوم حجّة. والحمد لله الذي هدانا وجعلنا من المُتمسّكين بالثقلين.

***

١. صحيح مسلم،كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الإمام علي عليه السلام ص١١٣١.

إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة

روى البخاري في صحيحه، وأحمد في مسنده، والحميدي والموصلي في الجمع بين الصحيحين وابن أبي شيبة في المصنّف، وغيرُهُم، عن ابن عبّاس في حديث طويل أسمَوه بحديث السّقيفة، قال فيه عمر:

«إنّما كانت بيعةُ أبي بكر فلتةً وتمَّت، ألا وإنّها قد كانت كذلك، ولكنّ الله وقى شرَّها... مَن بايع رَجُلاً عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعَه تَغرَّة أن يُقتَلا»[١].

وفي رواية أخرى أنه قال: ألا إنّ بيعة أبي بكرٍ كانت فلتةً، وقى اللهُ المؤمنين شرَّها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه[٢].

وذكر هذا الحديثَ من علماء أهل السّنة: السُّيوطي في تاريخ الخلفاء، وابن كثير في البداية والنّهاية، وابن هشام في السّيرة النّبوية، وابن الأثير في الكامل، والمحبّ الطّبري في الرّياض النَّضرة وغيرُهم.

نعم، إنّ عمر بن الخطّاب يعترف أنّ بيعة أبي بكر كانت فلتةً وقى اللهُ شرَّها، والفلتة في اللُّغة هي الأمر الذي يحدث من غير رَوِيَّة وإحكام، وهي الهفوةُ غيرُ المقصودة وأيضاً هي الفجأة[٣].

---

١. صحيح البخاري ج٨/ ص٢١٠، ومسند أحمد بن حنبل ج١/ ص٣٢٣، والمصّنف لابن أبي شيبةج٧/ ص٤٣١.

٢. تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٥١. والبداية والنّهاية ج٥/ ص٢١٥. والسّيرة النّبوية ج٤/ ص٦٥٧. والكامل في التّاريخ ج٢/ ص٣٢٦.

٣. راجع قاموس المعاني.

قال ابن الأثير في النّهاية:

ومنه حديث عمر: «إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتةً، وقى اللهُ شرَّها»، أراد بالفلتة: الفجأة. ومثل هذه البيعة جديرةٌ بأن تكون مهيّجةً للشّرّ والفتنة، فعصم الله من ذلك ووقى. والفلتة كلُّ شيئ فُعِلَ من غير رويّة، وإنّما بودِر بها خوف انتشار الأمر[1].

فليت شِعري، كيف تكون البيعةُ الواحدةُ فَلتةً وشرّاً، وفي نفس الوقت تكون شَرعيةً؟؟؟

وإنّي أنصح كلَّ مسلم مُنصف عاقل أن يتأمّل في هذه الرّواية جيّداً.لأنّ هذا الإعتراف من عمر يدلّ دلالةً واضحةً على بطلان هذه البيعة وعدم شرعيَّتها.

فلو قتل شخصٌ مسلمٌ رَجلاً كافراً في أرض المعركة، هل كان بإمكانه تبريرُ فعله؟، أو أن يقول مثلاً: أعتذر عن قتلي إيّاه، إنّما قتله كان هَفوةً وغير مقصودٍ؟

ولو صلّى رَجلٌ صلاةَ الصّبح مثلاً وأدّاها بكامل شُروطها، أكان عليه أن يقول مثلاً: إنّ صلاتي هذه كانت فجأةً وغيرَ مقصودة، أو كانت من غير رويّة وإحكام؟؟.

ولو تصدّق شخصٌ بصدقة قربة إلى الله تعالى، هل يفرح بفعله هذا أم أنّه يقول: إنّ الله وقى شرَّ هذه الصّدقة؟

ثمّ هل يُعقل لشخص ما أن يقوم بفعل يُرضي اللهَ ورسولَه ثمّ ينهى النّاس عنه؟ بل يهدِّد بقتل كلِّ من قام بهذا الفعل؟.

وهل يمكن لمسلم أن يقوم بأمر شرعي ثم ينهى النّاسَ عنه؟.

إنّ عمر بن الخطّاب هدّد كلّ من يرجع إلى هكذا بيعة، فقال: "فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه".

والسّؤال الذي نطرحه على عمر هنا هو أنّه لو كانت بيعةُ أبي بكر صحيحةً وشرعيةً فلماذا هدَّدتنا بالقتل إن نحن عدنا لمثلها؟.

ولو اعتبرنا هذه البيعة على الأقلّ أنّها سُنّة حسنة لما حقَّ لعمر أن ينهانا عنها، لأنّ إحياء السُّنّة هي إحياءٌ للشّرع.

وقد روى مسلم في صحيحه:

حدّثني زهير بن حرب، حدّثنا جرير بن عبد الحميد عن الأعمش عن موسى بن عبد الله بن يزيد وأبي الضُّحى عن عبد الرّحمن بن هلال العبسي عن جرير بن عبد الله قال: جاء ناسٌ من الأعراب إلى رسول الله صلّى اللهُ عليه وسلّم، عليهم الصّوف فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجةٌ فحثَّ النّاسَ على الصّدقة، فأَبطأوا عنه حتّى رُئي ذلك في وجهه، قال:



١. النّهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ج٣/ ص٤٦٧، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمّد الطناحي.

ثمّ إنّ رجُلاً من الأنصار جاء بصرّة من ورق ثم جاء آخرُ ثمّ تتابعوا حتّى عُرِفَ السُّرور في وجهه، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: من سنَّ في الإسلام سُنّةً حسنةً فعمِل بها بعده كُتِبَ له مثلُ أجر من عملَ بها ولا ينقص من أجورهم شيءٌ، ومن سنَّ في الإسلام سنّةً سيئةً فعمل بها بعده كُتِبَ عليه مثلُ وزر من عمل بها ولا ينقصُ من أوزارهم شيء[1].

فلو كان عمر يعتقد أنّها(أعني هذه البيعة) سنّةٌ حسنةٌ لكان عليه أن يحثّ المسلمين عليها لا أن يقتلهم إن عادوا لمثلها، ولو كان يعتقد أنّها سُنَّةٌ سيِّئةٌ فهنا والله الطّامةُ الكُبرى، إذ كيف يرضى لنفسه وهو صحابيُّ رسول الله أن يسُنّ سنّةً سيّئةً لا يرضاها اللهُ ورسولُه، وأن يتحمّل وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، وهو الذي بايع أبا بكر هذه البيعة؟

قال تعالى: ﴿أتأمرون الناسَ بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾[2].

هذا كلّه إذا كان عمرُ يؤمن ويعتقد بالسنّة. لأنّ الظاهر هو عكس ذلك تماماً، والدّليل على ذلك رفضُه كتابةَ رسول الله وصيَّتَه في مرضه الذي تُوفّي فيهﷺ.

جاء في صحيح البخاري:

حدّثنا إبراهيم بن موسى، حدّثنا هشام عن معمر، وحدّثني عبد الله بن محمّد، حدّثنا عبد الرّزاق، أخبرنا معمر عن الزّهريّ عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: "لمّا حُضِرَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفي البيت رجالٌ فيهم عمرُ بن الخطّاب، قال النّبيُّ صلّى اللهُ عليه وسلّم: هلُمّ أكتُب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده. فقال عمرُ: إنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآنُ، حَسبُنا كتابُ الله. فاختلف أهلُ البيت فاختصموا، منهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كتاباً لن تضلّوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر. فلمّا أكثروا اللّغوَ والإختلافَ عند النّبيّ صلّى اللهُ عليه وسلّم قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: قوموا. قال عبيد الله: فكان ابن عبّاس يقول: إنّ الرّزيَة كلّ الرّزيّة ما حال بين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولَغَطهم[3].

هذا وقد قال الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي:

فإذا جاء إنسان يقول لك: حسبنا كتاب الله، يكفينا كتاب الله، لا تأتي إلا بكتاب الله،

---

١. صحيح مسلم، كتاب العلم.باب مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئةً ومَنْ دَعا إلى هُدى أو ضلالة. وانظر سنن الترمذي [٢٦٧٧] قال: هذا حديثٌ حسن صحيح.

٢. البقرة: ٤٤.

٣. صحيح البخاري.كتاب المرضى.باب قول المريض قوموا عنّي.ص١٤٣٨. وانظر مسند أحمد بتحقيق شعيب الأرنؤوط ج٥/ ص١٣٥ قال: إسناده صحيحٌ على شرط الشيخين.

كتاب الله بين أيدينا، ما أحلّه أحللناه، وما حرّمه حرّمناه، فاعلم أنه مبتدع أو زنديق. وقد حصل هذا الأمر وخاصة في هذا القرن على أيدي من يسمّون بالقرآنيين، وانتشر هذا الفكر ولا يزال يُنشَر، والعياذ بالله، فهؤلاء زنادقة. وكفّرهم المسلمون والحمد لله، إتّفقوا على تكفيرهم[1].

عن جابر: أن رسول الله ﷺ دعا عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتاباً لا يَضلّون بعده ولا يُضلّون، وكان في البيت لغطٌ فتكلّم عمرُ بن الخطاب فرفضها رسولُ الله ﷺ. قال الهيثمي: رواه أبو يعلى وعند رواية يكتب فيها كتاباً لأمّته، قال: لا يَظلمون ولا يُظلمون. ثم قال الهيثمي: رجال الجميع رجال الصحيح[2].

وهذا ابن تيمية يعترف أن الذي اتّهم النبي ﷺ بالهجر والهذيان هو عمر بن الخطاب.

قال ابن تيمية: «وأما عمر فاشتبه عليه هل كان قول النبي ﷺ من شدّة المرض أو كان من أقواله المعروفة، والمرض جائز على الأنبياء ولهذا قال: ماله أهجر؟ فشكّ في ذلك ولم يجزم بأنه هجر، والشك جائز على عمر»[3].

نقول لابن تيمية:

أوّلاً: كان ينبغي عليك الدفاع عن سيّد الخلق بدل إعطاء التبريرات لصاحب هذه المقولة.

ثانياً: قد جاء في الحديث الصحيح أن عمر هو من خالف قول رسول الله. وقد قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول..﴾[4]. وعمر لم يطع الرسول، بل خالفه وعصاه.

ثالثاً: أنت تقول بأن عمر قد اشتبه عليه هل كان قول الرسول من شدّة المرض أو كان من أقواله المعروفة...

والله تعالى يقول: ﴿وما يتّبعُ أكثرُهم إلا ظنّاً إنّ الظنَّ لا يُغني من الحقّ شيئاً إنّ اللهَ عليمٌ بما يَفعلون﴾[5].

فإن عمر قد شكّ، والشك هو تساوي النسبة، أما الظن فهو ترجيح إحدى النسبتين، إذن هو أقوى من الشك ومع ذلك فقد ذمّه الله وقال إنه لا يغني من الحقّ شيئا. فما بالك بالشك؟

١. عون الباري بيان ما تضمّنه شرح السنة للإمام البربهاري ج٢/ ص٨٢٨.
٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي المصري ج٤/ ص٢١٤ ٢١٥.
٣. منهاج السنّة النبوية ج٦، ص٢٤.
٤. النساء: ٤.
٥. يونس: ٣٦.

رابعاً: لماذا شكّ عمر هنا أن النبيّ قالها من شدّة المرض، ولم يشكّ حينما أمر النبيُّ أبا بكر حسب الزعم أن يصلي بالناس يوم وفاته؟

والقاعدة تقول: حكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز واحد. فالشخص المتَّهَمُ واحدٌ وهو سيّد الخلق. والحالة واحدة وهي حالة المرض. فبما أن عمر قد شكّ هنا في هذيان النبي، فكان ينبغي له أن يشكّ أيضاً حينما أمر النبي أبا بكر أن يصلي بالناس (على حسب الزعم) ويقول: إن النبي يهجر وقد غلبه الوجع فلا تمتثلوا لأمره ولا ينبغي لأبي بكر التقدّم للصلاة.

خامساً: إذا كان النبي يهجر في حالة المرض، فالأولى لغيره أن يهجر في هذه الحالة. وقد ثبت أن أبا بكر أوصى لعمر بن الخطاب حال مرض الموت. فلماذا لم يقل عمر هنا: إن أبا بكر يهجر وقد غلبه الوجع، فلا أمتثل لأمره وعَلَيَّ أن أخالف وصيّتَه وأرفضها كما رفضت وصيّة النبيّ؟

لقد خالف عمر أمر رسول الله وعصاه، وقال: غلبه الوجع، بل وتجرّأ على النّبيّ وقال: «حسبُنا كتابُ الله».



وقولُ عمر هذا يعني أنّه لاحاجة لنا بوصيّتك ولا بسنّتك يا رسول الله.

ولا نستغرب فعلَ عمر هذا، وهو الذي طالما حارب سنَّة الله ورسوله في حياة النّبيّ وبعد وفاته.




روى ابن عساكر في تاريخه:

عن السّائب بنِ يزيد قال: سمعتُ عمر بن الخطّاب يقول لأبي هريرة: لتترُكنّ الحديث عن رسول الله أو لأُلحقنَّكَ بأرض دَوس[1].

وقال لكعب: لتَترُكنّ الحديث أو لأُلحقنَّك بأرض القردة.

وعن محمّد بن عجلان أنّ أبا هريرة كان يقول: إنّي لأُحدِّثُ أحاديث، لو تكلَّمتُ بها في زمان عمر أو عندَ عمر لَشجَّ رأسي[2].

وهنا مقام المثَل القائل: إذا عُرف السّببُ بَطَل العجَب. ونترك التّعليق للقارئ الكريم.

وإنّي أسئل كلّ إنسان منصف: لو كان أبوك على فراش المرض، وأوصى بإحضار ورقة وقلم ليكتب وصيّته، ثمّ يمنعه رجلٌ ويقول له: لقد غلبك الوجع. ماكانت ردّةُ فعلك يا ترى؟

إنّه لغريبٌ أن يتجرّأَ صحابيٌّ على سيّد الخلق أجمعين ومن بُعث رحمةً للعالمين

---

١. دَوْس: منطقة تقع جنوب غرب شِبْه الجَزيرَة العَربيّة.

٢. تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر الشافعي ج٦٧/ ص٣٤٣. ونحوه في تاريخ أبي زرعة ص٥٤٤ بإسناد صحيح. والبداية والنهاية ٨/ ١١٥ قال ابن كثير: وهذا معروف عن عمر وإسناده صحيح.

رسول الله ﷺ، ويرفض وصيَّته وسنَّته. لكنّ الأغرب من ذلك هو حينما يرفض هذا الصّحابيّ سنَّة النَّبيّ وهو يجهل أبسط الأمور في الدّين، ألا وهو التَيَمُّم.

روى البخاري في صحيحه:

حدّثنا آدم قال:حدّثنا شعبة قال:حدّثنا الحكم عن ذر عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه قال: جاء رجل إلى عمر بنِ الخطّاب فقال: إنّي أجنَبتُ فلم أُصِب الماء، فقال عمّارُ بن ياسر لعمر بن الخطّاب: أما تذكرُ أنّا كنّا في سفر أنا وأنت فأمّا أنتَ فلم تصَلّ، وأمّا أنا فتمعَّكتُ فصلَّيتُ، فذكرتُ ذلك للنّبيّ ، فقال النّبيُّ "إنّما كان يكفيك هكذا، فضربَ النّبيُّ بكفّيه الأرضَ ونفخَ فيهما ثمّ مسحَ بهما وجهَه وكَفَّيه[1].

وروى أحمد في مسنده:

حدّثنا عبد الرّحمن بن مهدي، حدّثنا سفيان، عن سلمة يعني ابن كهَيل، عن أبي مالك، وعبد اللهِ بن عبد الرّحمن بن أبزى، عن عبد الرّحمن بن أبزى قال: كنّا عند عمر، فأتاهُ رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إنَا نمكث الشّهر والشّهرين لا نجد الماء، فقال عمرُ: أمّا أنا فلم أكُن لأُصلِّي حتّى أجد الماء، فقال عمّارٌ: يا أمير المؤمنين، تذكُرُ حيثُ كنّا بمكان كذا ونحن نرعى الإبِل، فتعلمُ أنّا أجنَبنا قال: نعم، قال: فإنّي تمرَّغتُ في التّراب، فأتَيتُ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وسلّم، فحدّثتهُ، فضحك وقال: "كان الصّعيد الطّيّبُ كافيكَ"، وضرب بكفَّيه الأرض، ثمّ نفخ فيهما، ثمّ مسح وجهَه، وبعض ذراعيه. قال: إتّق الله يا عمّار. قال: يا أمير المؤمنين، إن شئتَ لم أذكرهُ ما عشتُ أو ما حييتُ، قال: كلا واللهِ ولكن نولّيكَ من ذلك ما تولَّيتَ[2].

إذن، عمر بن الخطاب إذا أجنب شهرين ولم يجد ماءً فإنّه لا يصلّي.

وبما أنّه كان خليفة المسلمين، فإنّه كان يُفتي للناس بنفس الشيء.

والأغرب من هذا كلّه أنه كيف يُعقل لشخص أن يقول: حسبنا كتاب الله. وهو لا يفقه في كتاب الله شيئاً؟ بل ينهى الناس عن التفقُّه فيه ويعتبر كلامَ الله تَكلُّفاً لا ينبغي للمسلم فهمه واستيعابه.

روى الحاكم في مستدركه:

عن ابن شهاب أن أنس بن مالك رضي الله عنه أخبره أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ﴿فأَنبَتنا فيها حبّاً وعنباً وقَضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائقَ غُلباً وفاكهةً وأبّاً﴾[3]

١. صحيح البخاري،كتاب التَّيمُّم،باب المُتَيَمِّم هل يَنفخُ فيها، حديث [٣٢٦]. وانظر سُنن النّسائي،كتاب الطّهارة،باب التّيمُّم في الحضر، ص٥٧.

٢. مسند أحمد بن حنبل بتحقيق شعيب الأرنؤوط ج٣١/ ص١٧٥ – ١٧٦. ونفس المصدر ٣١/ ١٨٣ قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

٣. عبس: ٢٧ـ ٣١.

قال: فكلُّ هذا قد عرفناه فما الأبّ؟ ثمّ نقض عصا كانت في يده فقال: هذا لَعَمرُ الله التكلُّف، إتّبعوا ما تبيّن لكم من هذا الكتاب[١].

نقول: هذا جزاء من تلبَّس بشيء ليس له. وهذا جزاء كلّ من جلس على كرسيّ غيره.

فلا ندري كيف يمكن لمسلم أن يجهل حُكم التّيمّم ومع ذلك يقول لرسول الله: «حسبُنا كتابُ الله»؟. أي لا نحتاج سُنَّة رسول الله.

والنتيجة هي أنّ بيعة أبي بكر باطلةٌ وغيرُ شرعيّة، وهذا باعتراف عمر نفسه.

ومِن الأدلَّة أيضاً على بُطلان خلافة أبي بكرٍ هو أنّه لو كان معيّناً من قِبَلِ رسول الله ﷺ لما قال يومَ السَّقيفة: "إنّي رضيتُ لكُم أحدَ هذين الرّجُلين، فبايِعوا عمر بن الخطّاب أو أبا عبيدة بن الجرّاح"[٢].

فكيف لخليفةٍ معيَّن من قبَل النّبيّ صلّى الله عليه وآله أن يتنازل عن مسؤوليّة ألقاها على عاتقه رسولُ الله ﷺ ؟

وهل يُمكن لخليفة النّبيّ أن يُهدي خلافة الأمّة لغيره؟

أولا يُعدّ هذا الفعل خيانةً للرّسول الأعظم وللأُمّة الإسلاميّة جمعاء؟

أوهل كان من حقّ نبيٍّ من أنبياء الله أن يتنازل عن نبوّته لغيره أو أن يقول للنّاس: إنّي قد اخترتُ لكم فُلاناً وفلاناً فاختاروا أيّهما شئتم يكون نبيّاً لكم وحاكماً عليكم؟.

ولو كان أبو بكرٍ صاحبَ نصٍّ بالخلافة من قِبل رسول الله ﷺ، لكان قد احتجَّ بذلك على الأنصار والمهاجرين يوم السَّقيفة وقال لهم: أيّها النّاس، إنّي خليفةُ رسول الله بنصٍّ منه. لكن هذا كلّه لم يحدث.

أمّا أحداث السَّقيفة وما أدراك ما السَّقيفة، فسنذكر بعضَها إفادةً واختصاراً للقارئ الكريم.

روى البخاري في صحيحه:

حدّثنا اسماعيل بن عبد الله، حدّثنا سليمان بن بلال عن هشام بن عروة قال: أخبرني عروة بن الزّبير، عن عائشة زوج النّبيّ ... فأخذ عُمرُ بيده (بيد أبي بكر) فبايعه وبايعه النّاس، فقال قائل: قَتلتُم سعدَ بن عبادة، فقال عمرُ: قتلهُ الله[٣].

---

١. المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ج٢/ ص٥٥٩. دار الكتب العلمية بيروت. قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي في التلخيص. وانظر مجمع الزوائد ٧/ ١٣٤ قال الهيثمي: رواه البزار والطبراني ورجال البزار رجال الصحيح. وفتح الباري ١٣/ ٢٨٥ وقال ابن حجر: صحيح. والدر المنثور ٨/ ٤٢١ قال: أخرجه ابن جرير وابن سعد وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي والخطيب.

٢. كتاب فضائل الصحابة ج٥/ ص١٤.

٣. صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي: لو كنتُ متّخذاً خليلاً ص١٣٤٢.

وروى ابن حبّان في صحيحه:

قال عمر: فكثُر اللّغط، وارتفعت الأصوات، حتّى أشفقتُ الإختلاف، قلتُ: أبسُط يدك يا أبا بكر، فبسط أبو بكر يده، فبايعتُه وبايعه المهاجرون والأنصار، ونزونا على سعد بن عبادة، فقال قائلٌ من الأنصار: قتَلتم سعداً. قال عمر: فقلتُ، وأنا مغضَب: قتل الله سعداً فإنّه صاحب فتنة وشَرٍّ[1].

لم نكن نعلم أنّ من بين الصحابة من كان صاحبَ فتنةٍ وشرّ.

جاء في كتاب «الإمامة والسياسة»:

وكان سعد بن عبادة من أشدّ المخالفين لأبي بكر وعمر في أمر الخلافة. فلمّا تمّت البيعة لأبي بكر بالصّورة التّي كانت، أرسلوا إلى سعد يطلبونه أن يبايع، فقال لهم: «لا والله، حتّى أرميكم بكلِّ سهم في كِنانتي، وأُخضّب منكم سناني ورمحي، وأضربكم بسيفي ما ملكَتهُ يدي، وأقاتلكم مع من معي من أهلي وعشيرتي»[2].

قال ابن حجر العسقلاني:

إنّ الأنصار قالوا أوّلاً: نختار رجلاً من المهاجرين، وإذا مات اخترنا رجلاً من الأنصار، فإذا مات اخترنا رجلاً من المهاجرين، كذلك أبداً فيكونُ أجدرَ أن يشفق القُرشي إذا زاغ أن ينقض عليه الأنصاري وكذلك الأنصاري، قال، فقال عمر: لا والله لا يخالفنا أحدٌ إلاّ قتلناه. فقام حبّاب بن المنذر فقال كما تقدّم وزاد: وإن شئتم كرّرناها خدعةً أي أعدنا الحرب ـ قال: فكثُر القول حتّى كاد أن يكون بينهم حرب، فوثب عمرُ فأخذ بيد أبي بكر»[3].

إنه من خالف رسول اللهﷺ لا يُقتل. فكيف يُقتَلُ من خالف عمرَ بن الخطاب؟؟؟

جاء في كتاب» السّنة «:

دعا عمرُ صُهيباً فقال له: صلِّ بالنّاس ثلاثاً، وليجتمع هؤلاء القومُ وليخلّوا هؤلاء الرّهط، فإن اجتمعوا على رجلٍ فاضربوا رأسَ من خالفهم[4].

لاحظ قول عمر بشأن الصّحابيّ الكبير سعد بن عبادة: «قَتلَهُ الله».

ثمّ متى وأين أمرنا الإسلام بقتل مخالفينا أو بقتل من لم يوافق على حاكم ما؟

نعم، قتلهُ الله، المهمّ أن لا يشاركنا في أمر الخلافة أحد.

---

١. صحيح ابن حبّان ج٣/ ص١٥٧.

٢. الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١/ ص١٤.

٣. فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، المجلّد الثامن، ص٣٥٦.

٤. كتاب السُّنة لأبي بكر الخَلاّل، ص٢٧٨. قال إسناده صحيح. وتُوفّي أبو بكر الخلاّل سنة ٣١١. قال عنه الذهبي: الإمام العلاّمة الحافظ الفقيه.

قتلهُ الله، المهمّ أن لا يصبح سعدٌ خليفةً علينا.
قتله الله، المُهمّ أن لا يزاحمنا أحد في الإستيلاء على السّلطة.
ثمّ بأي حقٍّ يقتل عمرُ من خالف تلك الجماعة؟ أكتابُ الله أمرنا بذلك أم سنَّتُه؟
إنّها سياسة السّقيفة، القتل لمن خالف.

فلا عجب اليوم حين نسمع هذه الأحاديث القائلة أنّه يحقّ لوليّ الأمر قتل ثُلث شعبه ليسلم الباقي، وهذا ما تطبّقه الحركات التكفيريّة اليوم في شتّى مناطق العالم حيث تقطع رؤوس كلّ من خالفها، سواءٌ كان الخلاف في الأصول أو في الفروع، لا يهمّ، المهمّ هو عدم بقاء أيّ مخالف لهم في المنطقة، بل وفي العالم.

وإلى هنا نسدل السّتار على مسرح أحداث السّقيفة المؤلمة والمؤسفة، والتّي انتهت ببيعة أبي بكر بعد صراعٍ مشهود بين المُهاجرين والأنصار على أمر الخلافة، وقد اصطبغ ذلك النّزاع بصبغة التّعصّبيّة ونزعة الجاهليّة كما يظهر بوضوحٍ من خلال التّمعّن بطبيعة الحوار الذي جرى بين الفريقين.

فنتيجة ما أوردناه، أنّه لو صحّ التّنصيص على أبي بكر من قِبل النّبيّﷺ، لكان أبو بكر قد ذكر هذا النّصّ يوم السّقيفة واجتنب بالتّالي كلَّ ما قد وقع في ذلك اليوم من تهديد بالقتل أو صراعٍ بين كبار الصّحابة أو مشاجرات لسانية بألفاظ جاهلية تعيد المرءَ إلى عصر ما قبل ظهور الإسلام.

لكن، هذا ما لم يحدث، بل لم يدَّعِه أحدٌ من الصّحابة، لأنّه لو كان لَبَان، وهذا دليلٌ آخرُ على بطلان خلافة أبي بكروأنّه لا نصَّ على خلافته.

أمّا بالنّسبة للقائلين بالشورى فإنّهم يستدلّون بهاتين الآيتين الكريمتين:
قال تعالى: ﴿وشاوِرهُم في الأَمر، فإذا عزَمتَ فَتوَكَّل على الله﴾[1].
وقال تعالى: ﴿والذين استَجَابوا لرَبِّهم وأقاموا الصَّلاةَ وأَمرُهُم شُورى بَينهُم ومِمّا رَزَقناهُم يُنفِقون﴾[2].

فبالنّسبة للآية الأولى نقول:
إنّ الخِطاب في الآية متوجّهٌ إلى الحاكم الذي استقرّت حكومته، فيأمرُه سبحانه وتعالى أن ينتفع من آراء رعيَّته، فأقصى ما يمكن التّجاوز به عن الآية هو أنّ من وظائف الحكّام التّشاورَ مع الأُمّة، وأمّا أنّ الخلافة تكون بنفس الشورى، فهذا ما لا يمكن الإستدلال بها عليها.

ثمّ إنّ المتبادَر من الآية هو أنّ التّشاور لا يوجب حكماً للحاكم، ولا يلزمه بشيء، بل



١. سورة آل عمران: ١٥٩.
٢. سورة الشورى: ٣٨.

هو يقلّب وجوهَ الرّأي ويستعرض الأفكار المختلفة، ثمّ يأخذ بما يراه مفيداً في نظره، حيث قال تعالى: ﴿فإذا عَزمتَ فتوَكّل على الله﴾، كلّ ذلك يُعربُ عن أنّ الآية ترجع إلى غير مسألة الخلافة والحكومة، ولأجل ذلك لم نرَ أحداً من الحاضرين في السّقيفة احتجَّ بهذه الآية.

ثمّ إنّه لم يثبُت عن النّبيّ ﷺ أنّه شاورهم في أمر الخلافة، ولو سلّمنا جدلاً أنّه ﷺ قد شاورهم أو أعطى لهم حقّ التّشاور فيما بينهم، فإنّ الله عزّوجلّ قد أمر نبيَّه الكريم أن إذا عزَمتَ فتوكّل على الله.

ورسول الله ﷺ عزم وتوكّل على الله وعيّن لنا خليفتَه من بعده ألا وهو نفسه وأخوه ووصيُّه أمير المؤمنين عليه السلام وسيأتي ذكر ذلك في محلِّه إن شاء الله تعالى.

وأمّا الآيةُ الثانية فنقول:

أوّلاً: إنّ الشورى لغةً هي بمعنى المُشاورة والتَّشاوُر[1]. والتَّشاوُر شيءٌ، والإختيارُ والتنصيبُ شيءٌ آخرُ.

ثانياً: إنّ الآية الكريمة حثَّت على الشورى فيما يمُتُّ إلى شؤون المسلمين بصلة، لا فيما هو خارجٌ عن حوزة أُمورهم، وكونُ تعيين الإمام داخلاً في أمورهم فهو أوّلُ الكلام، وقائلُه يحتاجُ إلى دليل وبيّنة على ذلك. فلا ندري على الفَرض هل الإمامة من شؤونهم أو من شؤون الله سبحانه؟ ولا ندري هل هي إمرةٌ وولايةٌ إلهيّة تتمُّ بتنصيب وتعيين منه سبحانه، أو هي إمرةٌ وولايةٌ شعبيّةٌ يجوز للنّاس التّدخّل فيها؟.

أمّا بالنّسبة للقائلين بالإجماع فإنّا نقول:

أيُّ إجماع هذا الذي غاب عنه كبار الصّحابة أمثال أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام والعبّاس بن عبد المطّلب وسلمان الفارسي والمقداد وأبو ذرٍّ وحذيفة بن اليمان وجابر بن عبد الله الأنصاري و..؟؟؟

وإليك أسماء بعضِ الصّحابة المتخلّفين عن بيعة أبي بكر:

الإمام عليّ بن أبي طالب[2] عليه السلام.

فاطمةُ الزّهراء عليها السلام التي تُوفّيت وهي واجدةٌ (غاضبةٌ) على أبي بكر[3].

سعد بن عبادة[4].

---

١. راجع معنى الشورى في مُعجم المَعاني الجامع. شاورَ بعضُهم بَعضاً أي تَبادلوا الآراءَ والأفكار. (لاحظ: تبادل الآراء والأفكار، وليس تبادل الألفاظ الجاهلية والتّهديد بالقتل والتّشاجُر وإقصاء الآخر و...)

٢. صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ج٣/ ص٥٥. وانظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسّير، باب قول النّبيّ ﷺ: لا نورَثُ ما تركنا فهو صدقة ص٧٨٨.

٣. صحيح البخاري ج٥/ ص١٧٧.

٤. الرّياض النّضرة لمحبّ الدّين الطّبري ج١/ ص١٦٨. وانظر أُسد الغابة لابن الأثير ج٣/ ص٢٢٢. والسّيرة الحلبيّة للحلبي ج٣/ ص٣٩٦ و ص٣٩٧.

العبّاس بن عبد المطلب[1].

الزّبير بن العوّام[2].

طلحة بن عبيد الله[3].

خالد بن سعيد بن العاص[4].

المِقداد بن عمرو[5].

سلمان الفارسي[6].

أبو ذرّ الغفاري[7].

البرّاء بن عازب[8].

فروة بن عمرو[9].

أُبيّ بن كعب[10].

أبو سفيان صخرُ بن حرب[11].

عُبادة بن الصّامت[12].

حذيفة بن اليمان[13].

أبو الهيثم بن التّيهان[14].

وأيضاً عبد الله بن مسعود وبريدة الأسلمي ومالك بن نويرة وخزيمة بن ثابت وسهل بن حنيف وعثمان بن حنيف وأبو أيّوب الأنصاري، بالإضافة للأنصار كلّهم أو بعضهم[15].

---

١. العقد الفريد ج٤/ ص٢٤٩.

٢. كان أحدَ المُتحصّنين بدار فاطمة عليها السّلام مع عليّ عليه السلام. راجع تاريخ الطّبري ج٢/ ص٢١٦. والعقد الفريد ج٤/ ص٢٩٤.

٣. أيضاً كان من المتحصّنين بدار فاطمة عليها السّلام. راجع تاريخ الطبري ج٢/ ص٢١٦.

٤. أُسد الغابة ج٢/ ص٨٢.

٥. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المُعتزلي المجلد الأول ج٢/ ص١٣٢.

٦. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي المجلد الأول ج٢/ ص ١٣٢.

٧. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي المجلد الأول ج٢/ ص١٣٢.

٨. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي المجلد الأول ج٢/ ص١٣٢.

٩. شرح نهج البلاغة المجلد الثاني ج٦/ ص١٢.

١٠. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي المجلد الأول ج٢/ ص١٣٢.

١١. تاريخ الطّبري ج٢/ ص٢١٩. عند ذكره لأحداث السّقيفة.

١٢. شرح نهج البلاغة للمعتزلي المجلد الأول ج٢/ ص١٣٢.

١٣. شرح نهج البلاغة للمعتزلي المجلد الأول ج٢/ ص١٣٢.

١٤. شرح نهج البلاغة للمعتزلي المجلد الأول ج٢/ ص١٣٢.

١٥. تاريخ الطبري ج٢/ ص٢١٦.

بالإضافة إلى بني هاشم كلّهم[1].

جاء في تاريخ الطّبري:

فقالت الأنصار، أو بعضُ الأنصار، لا نبايع إلاّ علياً[2].

فأين هو هذا الإجماع الذي غاب عنه هؤلاء الصحابة؟ وغيرهم كثير.

وسنختم هنا بكلام ابن حزم الأندلسي حينما قال: «ولعنةُ الله على كُلِّ إجماعٍ يخرجُ منه عليُّ بن أبي طالب ومَن بحضرته من الصّحابة[3]».

فلا أتصوّر عاقلاً بعد هذا يدّعي الإجماع على بيعة أبي بكر.

فبما أنه لا شورى ولا إجماع، فقد تعيّن النّص. وهذا ما ذهب إليه أتباع الثقلين من أنه لا بدّ لخليفة المسلمين من نصٍّ دالّ عليه.

روى البخاري في صحيحه:

حدّثنا يحيى بن بكير حدّثنا اللّيث عن عُقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها: «أنّ فاطمةَعليها السلام بنت النّبيّ ' أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثَها من رسول الله ' ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خُمس خيبر، فقال أبو بكر: إنّ رسول الله ' قال: لا نورَثُ، ما تركنا صدقة، إنّما يأكل آلُ محمّدٍصلى الله عليه وآله من هذا المال. وإنّي والله لا أُغيّرُ شيئاً من صدقة رسول اللهصلى الله عليه وآله عن حالها التّي كانت عليها في عهد رسول اللهصلى الله عليه وآله، ولأعملنّ فيها بما عمل به رسولُ اللهصلى الله عليه وآله، فأبى أبو بكرٍ أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً. فَوَجَدَت[4] فاطمةُ على أبي بكرٍ في ذلك فهَجَرَتهُ فلم تُكَلِّمهُ حتّى تُوفِّيت وعاشت بعد النّبيّصلى الله عليه وآله ستّة أشهر. فلمّا تُوفِّيت دفنها زوجُها عليٌّ ليلاً، ولم يُؤذِن بها أبا بكر، وصلّى عليها. وكان لعليٍّ من النّاس وجهٌ حياةَ فاطمة، فلمّا تُوفِّيت إستنكر عليٌّ وجوهَ النّاس، فالتمس مصالحةَ أبي بكر ومبايعتَه، ولم يكن يبايع تلك الأشهر»[5].





أمّا بالنّسبة لما ذكره البخاري من مبايعة عليٍّ لأبي بكرٍ بعد ستّة أشهر، فلوصيّة النّبيّصلى الله عليه وآله لعليٍّعليه السلام أنّ الأمّة ستغدر به من بعده، وأنّه إن لم يجد النّاصر، فعليه بالسّلم إن استطاع.

روى الحاكم في مستدركه:

---

١. تاريخ الطّبري ج٢/ ص٢١٩. قال معمر: فقال رجلٌ للزّهري: أفَلم يُبايعه عليٌّ ستّة أشهر؟! قال: لا، ولا أحد من بني هاشم، حتّى بايعه عليٌّ.

٢. تاريخ الطّبري ج٣/ ص٢٠٢.

٣. المُحلّى لابن حزم الأندلسي ج٩/ ص٣٤٥. وهو من كبار علماء أهل السّنة، تُوُفّي سنة ٤٥٦. قال عنه الذهبي في سير أعلام النّبلاء: الفقيهُ، الحافظ،المتكلّم، الأديب، الوزيرُ الظاهري، صاحبُ التّصانيف.

٤. وَجَدَتْ: غَضِبَتْ.

٥. صحيح البخاري، دار ابن كثير، كتاب المغازي ص١٠٤٠.

عن أبي إدريس الأودي، عن عليٍّ رضي الله عنه قال: «أنّ ممّا عهد إليَّ النّبيُّ ﷺ أنّ الأُمّةَ ستَغدرُ بي بعده»[1].

وروى أحمد بن حنبل في مسنده:

عن عليّ بن أبي طالبٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّه سيكون بعدي اختلافٌ أو أمرٌ، فإن استطعتَ أن تكون السِّلمَ فافعَل»[2].

لكنّ العاقل المنصف عليه الوقوف عند هذا الحديث ليسأل نفسَه:

هل يُعقل لسَيِّدة نساء العالمين أن تجهل حكم الإرث أوالخمس، وهي بنتُ رسول الله ﷺ، والتي تربّت وترعرعت في حِجره الطّاهر؟

وكيف يخبر النبيُّ ﷺ أبا بكر بحكم الإرث ولا يخبر ابنته الزهراء عليها السلام وهي وارثته؟

وهل يرث أبو بكر رسولَ الله ﷺ حتى يخبره الرسولُ بهذا الحديث؟

ومتى كان أبو بكر أعلم من فاطمة الزهراء عليها السلام حتّى يمنعها حقَّها الشّرعي بحجّة ذلك الحديث المزعوم؟

وهل يُعقل لسيّدة نساء أهل الجنّة أن تطلب شيئاً ليس حقّها؟

ولماذا تُوفِّيت سيّدةُ نساء العالمين وهي غاضبةٌ على أبي بكر؟

ولماذا دفنها زوجها أميرُ المؤمنين عليٌّ عليه السلام ليلاً، وأخفى قبرها؟

ولماذالم يسمح عليٌّ عليه السلام لأبي بكر وعمر بحضور جنازتها ودفنها؟

ولماذا لم يبايع عليٌّ عليه السلام أبا بكر في تلك الأشهر السِّتّة؟

وقد جاء في مسند أحمد:

حدّثنا أسود بن عامر، حدّثنا أبو بكر عن عاصم عن أبي صالح عن معاوية قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن ماتَ بغَير إمامٍ ماتَ ميتَةً جاهليّة»[3].

جاء في صحيح ابن حبّان:

عن معاوية قال: قال رسولُ الله ′: «مَن ماتَ وليس لهُ إمامٌ ماتَ ميتةً جاهليّة»[4].

وجاء في صحيح مسلم:

«مَن ماتَ وليسَ في عُنقه بيعةٌ، مات ميتةً جاهليّة»[5].





١. المستدرك على الصّحيحين بتحقيق مُصطفى عبد القادر عطا، ج٣/ ص١٥٠ قال: هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد ولم يخرجاه. قال الذهبي: الإمام الحافظ الناقد العلامة، شيخ المحدّثين، أبو عبد الله بن البيع الضبي الطهماني النيسابوري الشافعي صاحب التصانيف.

٢. مسند أحمد بن حنبل، تحقيق أحمد محمّد شاكر، ج١/ ص٤٦٩. قال: إسناده صحيح.

٣. مسند أحمد بن حنبل، تحقيق حمزة أحمد الزّين، دار الحديث القاهرة، ج١٣/ ص١٨٨. قال: إسناده صحيح.

٤. صحيح ابن حبّان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، المجلّد العاشر، ص٤٣٤. قال: حديثٌ صحيح.

٥. صحيح مسلم ج٣/ ص١٤٧٨. والمستدرك على الصّحيحين ج١/ ص١٥٠، قال: صحيحٌ على شرط

وأهل السّنة يعتقدون بعدالة جميع الصّحابة. ونحن نعلم أنّ الصّحابيّة الجليلة الطّاهرة فاطمةَ الزهراءعليها السلام ماتت ولم تبايع أبا بكر حتى تُوفّيت. فهل ماتت بنتُ رسول الله وسيّدة نساء أهل الجنّة ميتةً جاهليّة؟

والصّحابيُّ الكبير سعد بن عبادة هو الآخر مات ولم يبايع لا أبا بكر ولا عمر إلى أن قُتل بالشّام، فهل يموت الصّحابيُّ العادلُ ميتةً جاهلية؟

نترك الإجابة للقارئ الكريم.

ثمّ هل يتصوّر مسلمٌ أنّ النّبيّصلى الله عليه وآله يقبل بمن لم يرض دينَهُ وخُلُقَهُ أن يكون خليفةً للمسلمين؟.

قد يستغرب القارئ الكريم من هذا الإدّعاء الخطير، لكنّ خطورَتهُ ستزول بمُجرّد معرفة السّبب والدّليل، فهذا ادّعاءٌ ليس من فراغ، إنّما هو من دليلٍ مُثبَت. فكما وعدنا القارئ الكريم في أوّل البحث أن يكون كلّ كلامنا بالدّليل، فنحن أصحابه وحيثُما مال نميل، وهذه كتب السّنة قد ذكرت أنّ أبا بكر وعمر قدما إلى الرّسولصلى الله عليه وآله لخطبة ابنته سيّدة نساء العالمين فاطمة الزّهراءعليها السلام ، فلم يقبل رسولُ اللهصلى الله عليه وآله خِطبَتَهما.

روى الحاكم في مستدركه:

عن عبد الله بن بُريدة عن أبيه قال: خَطَبَ أبو بكر وعمرُ فاطمةَ فقال رسولُ اللهصلى الله عليه وآله: «إنّها صغيرةٌ. فَخَطَبَها عليٌّ فزَوَّجها منهُ»[1].

هذا مع أنّ النّبيّصلى الله عليه وآله هو من أمرنا بتزويج بناتنا لذوي الخُلُق والدّين.

جاء في كتاب تهذيب التّهذيب: «إذا جاءكُم من ترضون دينَهُ وخُلُقَهُ فأنكحوه، إلاّ تفعلوا تكُن فِتنَةٌ في الأرض وفسادٌ كبير»، قالوا: يا رسول الله، وإن كان فيه؟ قال: «إذا جاءكُم من ترضون دينَه وخُلُقَهُ فأَنكِحوه»[2].

وذكروا أنّ رجلاً قال للحسن: « قد خَطَبَ ابنتي جماعةٌ فمَن أُزَوّجُها؟، قال: مِمّن يتّقي اللهَ، فإن أحبَّها أكرَمها، وإن أبغَضَها لم يظلمها»[3].

فها هو رسولُ اللهصلى الله عليه وآله يأمرنا بتزويج من نرضى بدينه وخُلُقه، وفي المُقابل، نراهُصلى الله عليه وآله يرفضُ خِطبةَ أبي بكر وعمر.

الشّيخين.

١. المستدرك على الصّحيحين ج٢/ ص١٦٧، قال: هذا حديثٌ صحيح. وانظر سُنَنَ النّسائي ج٦/ ص٦٢ وانظر صحيح ابن حبان المجلد الخامس عشر ص٣٩٩، قال إسناده صحيح على شرط مسلم.

٢. تهذيب التّهذيب لابن حجر العسقلاني ج٦/ ص٦٢. قال: حديثٌ حسن. وانظر سُنَنَ التّرمذي ج١/ ص٢٠١، قال: حديثٌ حسنٌ غريب. والمستدرك على الصّحيحين ج٢/ ص١٦٤ ١٦٥، قال: حديثٌ صحيحُ الإسناد.

٣. إحياء علوم الدّين لأبي حامد الغزالي ج٢/ ص٤٢. والغزالي توفّي ٥٠٥.

وهنا حصر عقليّ:

فإمّا أن نقول إن النبيﷺ يريد الفتنة والفساد في الأرض(وحاشاه طبعاً فهذا مالا يقوله مسلم).

وإمّا أنه رفض خطبة أبي بكر وعمر بسبب عدم قبوله لدينهما وخلقهما.

وقد يقول قائل: إنّ فاطمة الزّهراءعليها السلام كانت صغيرة السِّن حينها، لذلك لم يُزوِّجها النّبيُّ منهُما.

نقول:

أوّلاً: إنّ رسول اللهﷺ أمرنا بتزويج بناتنا لأصحاب الدّين والخُلُق، ولم يذكُر السِّنّ إطلاقاً، فإنّ المعيار في التّزويج هو الدّين والخُلُقُ لا غير.

ثانياً: جاء في صحيح البخاري أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله تزوّجَ عائشة وهي بنتُ سِتِّ سنين. بالتّالي تبطُلُ دعوى من تحجَّجَ بقضيَّة السِّن.

عن عائشة قالت:»تَزَوَّجَنِي رسولُ اللّه صلّى الله عليه وسلّم لِسِتِّ سنين، وبَنَى بي وأنا بنتُ تسعِ سنين»[1].



فهذا رسول اللهﷺ يتزوّج عائشة وهي بنت ستّ سنين. فلا يتحجّج رجلٌ بصِغَر سنّ فاطمة الزهراءعليها السلام. ثمّ كيف يرفض النبيﷺ خطبة أبي بكر وعمر بحجّة صغر سن فاطمة عليها السلام ثمّ يزوّجها عليّاعليه السلام بعدها مباشرة؟

وهناك دليل آخر على بطلان خلافة أبي بكر، وهو التالي:

روى البخاري في صحيحه:

حدّثنا يحي بن بكير حدّثنا اللّيث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنه أنها قالت:... فوَجَدَت[2] فاطمةُ على أبي بكر في ذلك فهجَرَتهُ فلم تُكلِّمهُ حتّى تُوفِّيت وعاشت بعد النّبيّﷺ ستَّةَ أشهر»[3].

والشاهد هنا هو أن أبا بكر أغضب فاطمة الزهراء عليها السلام.

وروى أيضاً:

عن النبيﷺ قال: «فاطمةُ بِضعةٌ منّي، فمَن أغضَبَها أغضَبَني»[4].

---

١. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصّحابة، باب تزويج النّبيّﷺ عَائِشَةَ وقُدومها المدينة وبنائه بها، ج٥/ ص٥٥، رقم [٣٨٩٤]، ومسلم في صحيحه، كتاب النّكاح، باب تزويج الأب البكر الصّغيرة ج٢/ ص١٠٣٨، رقم [١٤٢٢].

٢. وَجَدَتْ: غَضِبَتْ.

٣. صحيح البخاري، دار ابن كثير، كتاب المغازي ص١٠٤٠.

٤. الجامع الصحيح للبخاري، المكتبة السلفيّة، القاهرة ج٣/ ص٢٥. حديث [٣٧١٤].

روى الحاكم في مستدركه:

قال رسول الله ' لفاطمة الزهراءعليها السلام: «إنّ الله يرضَى لرِضاكِ ويَغضبُ لغضَبكِ»[1].

إذن فمن أغضب فاطمةَ الزهراء عليها السلام فقد أغضب اللهَ تعالى.

هذا وقد قال تعالى: **﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تتَولَّوا قوماً غضِبَ اللهُ عليهم قد يَئِسوا من الآخرة كما يَئِسَ الكُفّارُ من أصحاب القُبور﴾**[2].

فالبخاري يقول إنّ أبا بكر أغضب فاطمةَ الزهراءعليها السلام ، والحاكم النيسابوي يقول إنّ من أغضب فاطمةَ الزهراءعليها السلام فقد أغضب اللهَ تعالى، واللهُ سبحانه يقول: **﴿لا تَتَولَّوا قوماً غَضِبَ اللهُ عليهم﴾**، أي لا تجعلوهم أولياءَ وأئمّةً لكم.

وأبو بكر أغضب فاطمةَ الزهراءعليها السلام ، وبالتالي فقد أغضب اللهَ عزّ وجلّ، واللهُ يأمرنا أن لا نتولّى من غضب اللهُ عليه. إذن فأبو بكر ليس وليَّ المؤمنين ولا إمامهم ولا خليفتهم بصريح هذه الآية الكريمة.

والآن، وبعدما استعرضنا بعض الأدلّة على بطلان خلافة أبي بكر سننتقل بحول الله تعالى إلى الإستدلال على خلافة أمير المؤمنين ونفسِ الرّسول الأمينصلى الله عليه وآله، وقَسيمِ النّار[3]عليّ بن أبي طالب، أبي الحَسَنين عليه وعليهما السّلام، ومن الله أسئلُ العون والتّوفيق.

هذا ماذكره علماء السنة من شروط، غير أن العقل يوجب في خليفة المسلمين شروطا أخرى نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

يجب كون خليفة المسلمين معصوماً عن الخطأ حتّى يكون قدوةً للنّاس في كُلِّ أمر، فلو لم يكن كذلك لجاز منه الخطأُ، بالتّالي فإنَّ المسلمين بطبيعة الحال سيَقتدون به لأنّ الناس على دين ملوكهم، وهذا نقض الغرض الذي من أجله جعل اللهُ لنا أئمّةً نَقتدي بهم للوصول إلى طاعة الله وبَرِّ الأمان.

يجب كونُه معصوماً عن الخطأ حتّى يكون حُجةً على الخلق يومَ القيامة، فلو لم يكن كذلك لجاز لنا الخطأُ أيضاً، ثم حينما نُسأل يومَ الحساب: لماذا أخطأتم؟ نقول وبكل بساطة: إنّ الإمام الذي أرسلتَه لنا قد أخطأ مثلنا بالتالي إمّا أن لا نُحاسَب وإمّا

١. المستدرك على الصحيحين ج٣/ ص١٥٣ ١٥٤ . قال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد.

٢. الممتحنة: ١٣.

٣. حديثُ عليٍّعليه السلام: «أنا قسيمُ النّار». رواه كثير من أهل السنة منهم أبو يعلى الفراء في كتابه طبقات الحنابلة، الطبعة الأولى ص ٢٣٢ حيث قال: قال محمد بن منصور الطوسي: كنا عند أحمد بن حنبل فقال له رجل: يا أبا عبد الله ماتقول في الحديث الذي روي أن عليا قال:»أنا قسيم النار». فقال:وما تنكرون من ذا؟ أليس قد روينا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي: لا يحبّك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق؟ قلنا: بلى. قال: فأين المؤمن؟ قلنا في الجنة. قال: فأين المنافق؟ قلنا في النار. قال: فعليٌّ قسيم النار.

أن يُحاسَب إمامُنا أيضاً، ولا أتصوّر عاقلاً يقول إنّ اللهَ تعالى سيُحاسِبُ رُسُلَه وأنبياءَه وأئمّتَه يوم القيامة. وهو الذي أمرنا باتّباعهم.

يجب كونُه معصوماً حتّى ترجع إليه الرَّعيّةُ في أمور دينها ودُنياها، فلو لم يكن معصوماً لوجب عليه الرجوع إليهم بالتّالي بَطَلَ كونُه خليفةً وإماماً لهم.

يجب كونُه معصوماً حتّى يحفظَ دينَ الله وكتابَه مِن التَّحريف، فلو لم يكن كذلك لجاز أن يصدُر منه تحريفٌ للقُرآن أو زيادةٌ في الدِّين مِمّا ليس منه، ولو مِن غير قصد، وهذا أيضاً نقض الغرض الذي من أجله جعل الله أنبياء وأوصياء وأئمةً يحفظون هذا الدين ويحفظون كتابه من التحريف.

وعدمُ عِصمة أبي بكرٍ أمرٌ لا يختلفُ فيه اثنان، فلا هو ادّعى لنفسه العصمةَ ولا أحدٌ ادَّعاها له، ولا جاءت النُّصوص بذلك، بل أثبتَ التاريخُ والسنّة عكسَ ذلك تَماماً.

روى الطّبري في تاريخه[1]:

قال أبو بكر: ألا وإنّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا أتاني فاجتنبوني.

فإن قال قائل: نحن نُسلِّم بعدم عصمة أبي بكر، لكن أين هي عصمةُ عليٍّ عليه السلام؟

نقول: سوف نُقدّم أدلةَ عصمته عليه السلام من القُرآن والسُّنة الصّحيحة وذلك بعد تقديم الأدلّة العقليّة، وهذا ما سيأتي في محلّه إن شاء اللهُ تعالى.

وقبل الخوض في ذلك لابأس بالتطرّق أوّلا إلى قضيّة صلاة أبي بكر المزعومة وتحليلها بطريقة علمية.

***



١. تاريخ الطّبري ٣/ ٢٢٤. والطّبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ١١٣. ومجمع الزّوائد للهيثمي ٥/ ١٨٣.

قضيّة صلاة أبي بكر

ولو قيل: إنّ صلاة أبي بكر بالناس في مرض الرسول ﷺ لخير دليل على صحّة خلافته.

نقول: العرش ثمّ النقش، وبعد النقش كلام.

ومن هنا نقول:

أوّلاً: إنّ تلك النّصوص مع فرض صحّتها سنداً هي مُتعارضةٌ ومُتباينةٌ فيما بينها، ومُتفاوتةٌ تفاوُتاً لا يدعُ مجالاً للشّكّ في أنّها مِن وضع واضع.

ثانياً: متى كانت إمامةُ النّاس في الصّلاة دليلاً على صحّة الخلافة؟ هذا وقد صلّى أبوبكر وعمرُ خلف سالم مولى أبي حذيفة وكان قد عيّنه النبي ﷺ لذلك. فهل هذا يعني أن سالماً أصبح خليفة المسلمين؟

عن عائشة: أنّ رسول الله ' أمر أبا بكر أن يصلّي بالنّاس قائماً، والنّاس خلفَه[1].

وجاء أيضاً:

عن ابن عبّاس قال: إبعثوا إلى عليٍّ، فادعوه.

فقالت عائشة: لو بعثتَ إلى أبي بكر.

وقالت حفصة: لو بعثت إلى عمر.

فاجتمعوا عنده جميعاً، فقال رسولُ الله ﷺ: إنصرفوا فإن تَكُ لي حاجةٌ أبعث إليكم، فانصرَفوا.

وقال رسول الله ﷺ: آنَ الصّلاة؟!

قيل: نعم.

---

١. مُسند أحمد ج٦/ ص٢٤٩. وشرح صحيح مسلم للنووي ج٤/ ص١٣٣.

قال: فأمّروا أبا بكر ليُصلّي بالنّاس.

فقالت عائشة: إنّه رجلٌ رقيقٌ فمُرْ عمر.

فقال: مُروا عمر.

فقال عمر: ما كنتُ لأَتقدّم وأبو بكر شاهد.

فتقدّم أبو بكر، ووجد رسولُ الله ﷺ خِفَّةً، فخرج، فلمّا سمع أبو بكر حركته تأخَّر[1].

وجاء أيضاً: عن إبراهيم بن الأسود عن عائشة قالت: لمّا ثقُلَ رسولُ الله ﷺ جاء بلالٌ يُؤذنه بالصّلاة، فقال: مروا أبا بكر فليصلِّ بالنّاس.

قالت: فقلتُ: يا رسول الله، إنّ أبا بكر رجلٌ أَسِيف، وإنّه متى يقوم مقامك لا يسمع النّاس (من البكاء)، فلو أمرتَ عمر.

فقال: مُروا أبا بكر فليصَلّ بالنّاس.

قالت: فقلتُ لحفصة: قولي له.

فقالت له حفصة: يا رسول الله، إنّ أبا بكر رجلٌ أَسِيف، وإنّه متى يقوم مقامَك لا يسمع النّاس (من البكاء) فلو أمرْتَ عمر.

فقال: إنّكُنَّ لأَنتُنَّ صواحِبُ يوسُف، مُروا أبا بكر فليُصلِّ بالنّاس.

قالت: فأمروا أبا بكر يصلّي بالنّاس، فلمّا دخل في الصّلاة وجد رسول الله ﷺ من نفسه خِفَّةً، فقام يُهادي بين رجُلين، ورجلاهُ تخُطّان في الأرض حتّى دخل المسجد.

فلمّا سمع أبو بكر حِسَّه ذهب ليتأخرّ، فأومأ إليه رسول الله ﷺ أن قُم كما أنت.

فجاء رسول الله ﷺ حتّى جلس عن يسار أبي بكر، وكان رسولُ الله ﷺ يصلّي بالنّاس قاعداً، وأبو بكر قائماً، يقتدي أبو بكر بصلاة رسول الله ﷺ، والنّاس يقتدون بصلاة أبي بكر[2].

زاد في نصٍّ آخر مرويّ عن عبيد الله بنِ عبد الله بن عتبة، عن عائشة قوله: فدخلتُ على ابن عبّاس، فعرَضتُ حديثَها عليه، فما أنكر منه شيئاً، غير أنّه قال: أَسمَّت لكَ الرّجلَ الذي كان مع العبّاس؟!

قال: لا.

قال: هو عليّ بن أبي طالب[3].

وفي رواية: فكان أبو بكر يصلّي بصلاة رسول الله، والنّاس يصلّون بصلاة أبي بكر[4].

---

١. تاريخ الأمم والملوك ج٢/ ص٤٣٩.

٢. مسند أحمد ج٦/ ص٢٢٤. وعن صحيح البخاري ج١/ ص١٨٢.

٣. صحيح البخاري ج١/ ص١٧٥، و(ط دار الفكر) ج١/ ص١٦٩. وصحيح مسلم ج٢/ ص٢١. وسُنن النّسائي ج٢/ ص١٠٢. والسُّنن الكُبرى للبَيهقي ج٣/ ص٨١ و ج٨/ ص١٥١.

٤. سُبلُ الهُدى والرَّشاد ج ١٢/ ص٢٤٥، والمجموع للنّووي ج٤/ ص٢٦٦، والشّرح الكبير لابن قُدامةَ ج٢/ ص٤٦، وصحيح مسلم ج٢/ ص ٢١ و ٢٤، وسُنن ابن ماجة ج١/ ص٣٩٠.

وعن عائشة قالت: خرج أبو بكر، فوجد رسولُ الله‌ﷺ في نفسه خِفّةً، فخرج يُهادي بين رجلَين كأنّي أنظر إلى رجليه تخُطّان من الوجع، فأراد أبو بكر أن يتأخّر فأومأ إليه النبيُّﷺ أنْ مكانك، فكان النبيُّ ' يصلّي، وأبو بكر يصلّي بصلاته، والنّاس يصلّون بصلاة أبي بكر[1].

فلاحظ هذا التفاوت بين الروايات، وهذا الخلط الظاهر والفرق الشاسع بينها، فمرّةً نرى النبيّﷺ يأمر أبا بكر بالصلاة ثمّ يقوم من فراش مرضه حتّى يصلّي هو بالناس. ومرّة نرى أنّ عائشة هي من أمرت أن يصلّي أبو بكر بالناس وليس النبيّﷺ. وأخرى أن حفصة هي من أمرت بذلك.

ونتيجة هذه الروايات أنّ النبيّﷺ هو من صلّى بالناس وليس أبو بكر.

ثمّ أين كان أبو بكر يوم وفاة الرّسولﷺ ؟

ذكرت كتبُ التّاريخ والصِحاح أنّ أبا بكر لم يكن في المدينة حين وفاة النّبيّﷺ، بل كان في السّنح. فهل يُعقل أنّ أبا بكر كان في مكانين في وقت واحد؟

روى البخاري في صحيحه:

عن عائشة رضي الله عنها زوج النّبي صلّى الله عليه وسلمّ «أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مات وأبو بكر بالسّنح[2]»[3].

وروى مسلم في صحيحه:

عن عائشة قالت: «إشتكى رسولُ الله ' فدخل عليه ناسٌ من أصحابه يعودونه، فصلّى رسولُ الله ' جالساً فصلّوا بصلاته قياماً»[4].

وروى أيضاً:

«وكان النّبيُّ يصلّي بالنّاس، وأبو بكر يُسمعُهُم التّكبير»[5].

فمن هنا تبيّن أنّ الذي صلّى بالنّاس في ذلك اليوم هو النّبيُّﷺ وليس أبو بكر، وهذه الرّواية تقطع بأنّ أبا بكر لم يكن موجوداً في المدينة يوم وفاة النّبيّﷺ، بل كان في السّنح. إلا إذا كان لأبي بكر ولاية تكوينية، أو حصل له طيُّ الأرض. هذا أوّلاً.

وثانياً نقول: إنّ الجواب على هذه النُّصوص هو نفس تعارضها واختلافها وتباينها فيما بينها، فمرّةً نرى النَّبيّﷺ يأمر أبا بكر بإمامة المصلّين ثمّ نراه يقوم مِن مرضه وهو على





١. البداية والنّهاية لابن كثير ج٥/ ص٢٥٣.
٢. السُّنح: مِن عوالي المدينة.
٣. الجامع الصّحيح للبخاري ج٣/ ص١١.
٤. صحيح مسلم بشرح النووي ج٣/ ص٥١.
٥. صحيح مسلم، كتاب الصّلاة، ص١٩٨.

تلك الحال حتّى يصلّي بالنّاس.

ثمّ مافائدة أمر النّبيّ أبا بكر بإمامة النّاس بعدها يقوم متكأً على عليّ عليه السلام والعبّاس لتنحية أبي بكر والصّلاة بالنّاس؟

وما فائدة وجود إمامين اثنين يصلّيان بالنّاس، وهل يجوز ذلك شرعاً؟

ونجد أيضاً في بعض هذه الرّوايات أنّ عائشة هي من أمرت أبا بكر بالصّلاة وليس الرّسول صلى الله عليه وآله، وكذلك حفصة فإنّها هي من أرادت أن يصلّي عمرُ بالنّاس.

وفي الأخير فإنّ كلّ هذه الروايات نتيجتها أنّ النّبي صلى الله عليه وآله هو الذي صلّى بالنّاس وليس أبو بكر.

ثمّ إنّ أهل السُّنّة يقولون بصحّة الصّلاة خلف كلّ بَرٍّ وفاجر، بالتّالي حتّى لو سلّمنا بقضيّة صلاة أبي بكر بالنّاس، فهذا لا فضيلةَ ولا منقبة فيه، بل ولا علاقة له بالخلافة والإمامة، لا من قريب ولا من بعيد.

روى أبو داود في سننه:

«صَلّوا خلفَ كُلِّ بَرٍّ وفاجر»[1].



ثمّ إنّ نفس إمامة الجماعة لا يعني كون هذا الإمام خليفةً للمسلمين أو وليّ أمرهم.

وإذا كان كلُّ من صلّى بالصّحابة في زمن النّبي يُعتبر خليفةً لهم فالأَولى إذاً أن يكون سالمُ مولى أبي حُذيفة خليفةً للمسلمين لأنّه صلّى بكبار الصّحابة وفيهم أبو بكر وعمر.

جاء في صحيح البخاري:

حدّثنا عثمان بن صالح، حدّثنا عبد الله بن وهب، أخبرني ابن جريج أن نافعاً أخبره أن ابن عمر رضي الله عنهما أخبره قال: كان سالمُ مولى أبي حذيفة يؤُمُّ المهاجرين الأوّلين وأصحابَ النبي صلى الله عليه وآله في مسجد قباء فيهم أبو بكر وعمر وأبو سلمة وزيد وعامر بن ربيعة[2].



ولا يخفى على القارئ الكريم أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله كان قد بعث أُسامةَ بن زيد في سريّة إلى الشّام، وأرسل معه جيشاً كبيراً فيهم أبو بكر وعمر وكبارُ الصّحابة. فكيف يُعقلُ أن يكون أبو بكر قد صلّى بالنّاس وقد أمره النّبيُّ بالذّهاب في ذلك الجيش تحت قيادة أسامة بن زيد؟

يقول ابن حجر العسقلاني:

كان تجهيز أسامة قبل موت الرّسول صلى الله عليه وآله بيومين فندب النّاس لغزو الروم في آخر صفر ودعا أسامةَ فقال: سِرْ إلى موضع مَقتل أبيك فأَوطِأهم الخيل فقد ولَّيتُك هذا الجيش...فعقد رسولُ الله لأُسامة لواءاً بيده وكان ممَّن انتُدب مع أسامة كبارُ

---

١. سُنن أبي داود، باب إمامة البرّ والفاجر ج١/ ص١٤٣.

٢. صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب استقضاء الموالي واستعمالهم ج٨/ ص١١٥.

المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمرُ وأبو عبيدة وسعدٌ وسعيدٌ وقتادةُ بن النُّعمان وسلمةُ بن أسلم، ثمّ اشتدّ على الرّسول وجعُه فقال: أنفذوا بعثَ أسامة. فتكلّم في ذلك قومٌ منهم عيّاشُ بن أبي ربيعة المَخزومي[1].

وجاء أيضاً:

وخرج يوم السّبت عاشر المحرّم سنة إحدى عشر وقدْ عصّب رأسَهُ بعصابةٍ وعليه قطيفةٌ ثمّ صعد المنبر فحمد الله، وأثنى عليه ثمّ قال: «أمّا بعد: أيُّها النّاس، فما مقالةٌ قد بلغَتني عن بعضكم في تأميري أُسامة! ولئن طعنتُم في إمارتي أسامة لقد طعنتُم في إمارة أبيه من قبله، وأيْمُ اللهِ إن كان للإمارة لخليقاً، وإنّ ابنه مِن بعده لَخليقٌ للإمارة، وإن كان لَمِن أحبّ النّاس إليّ وإنّهما لمخيّلان لكلّ خير، فاستوصوا به خيراً فإنّه مِن خِياركم»[2].

وهنا حصرٌ عقليٌّ: فإمّا أن نقول بأنّ الصحابة قد امتثلوا أمر الرسولﷺ وذهبوا إلى الشام، وأنّ أبا بكر امتثل أيضاً وذهب معهم، بالتّالي فإنّه لم يكُن حاضراً في المدينة وقت وفاة النّبيﷺ.

وإمّا أن نقول إنّ أبا بكر تخلّف عن جيش أسامة فهنا ثلاثُ نقاط:

الأولى: إذا كان خليفةُ رسول الله (أبو بكر على الفرض المزعوم) قد عصى النّبيَّ في حياته فكيف لا يعصيه بعد مماته؟

الثّانية: كيف لرسول اللهﷺ أن يأمر شخصاً بإمامة الناس نيابةً عنه أو أن يجعله خليفةً مِن بعده وذلك بعد أن عصاه في حياته وفي أشدّ الظروف (وهو عدم ذهابه مع جيش أسامة)؟

الثالثة: أنّ أبا بكر يكون قد خالف صريح النّص الإلهي بوجوب طاعة النّبيّ، حيث قال الله في محكم كتابه الكريم: ﴿ما آتاكم الرَّسولُ فَخُذوهُ وما نَهاكُم عنهُ فانتَهوا﴾[3]، فكلّ من تخلّف عن جيش أسامة يكون قد خالف الآيةَ الكريمة وعصى الله تعالى وظلم اللهَ ورسولَهُ ونَفسَهُ، بالتّالي لا يصحُّ كونهُ إماماً وخليفة للمسلمين، لقوله تعالى: ﴿لا ينالُ عَهدي الظّالِمين﴾[4].

فإن قيل: إنّ عدم ذهاب أبي بكر هو بسبب عدم ذهاب الجيش كلِّه بقيادة أسامة بن زيد.

نقول: إن كان كذلك، فهذا يعني أنّ كلّ أولئك الصحابة الذين كانوا في الجيش قد

١. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب المغازي ج٨/ ص١٥٢.

٢. ذكره البخاري ومسلم مختصراً.. وقد أخرجه بهذا اللفظ إبنُ سعد في الطّبقات ج٢/ ص١٩٠.

٣. سورة الحشر: ٧.

٤. سورة البقرة: ١٢٤.

عصوا أمر النبيّ ﷺ، بالتالي فقد تهدّمت نظرية عدالة جميع الصحابة، حيث أنّهم خالفوا صريح القرآن الذي يدعوا إلى طاعة النبي. كما خالفوا صريح السنّة، ألا وهي قول النبي ﷺ.

وقد يقول قائل: وأين كان الإمامُ عليٌّ عليه السلام في ذلك الوقت، ولماذا لم يذهب هو أيضاً في تلك السَّريَّة؟

نقول: إنّ النّبيّ ﷺ أمرهُ بالبقاء معه في المدينة لتهيئة الأجواء له وتسهيل أمر الخلافة من بعده، بعيداً عن غدر المنافقين وكيد الحاسدين، وسيأتي تفصيلُ ذلك في محلِّه إن شاء الله تعالى.

جاء في كتاب فضائل الصحابة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إنّ رسول الله ' مات وأبو بكر بالسّنح»، قال إسماعيل: تعني بالعالية، فقام عمرُ يقول: والله ما مات رسولُ الله '.

قالت: وقال عمرُ: والله ما كان يقع في نفسي إلاّ ذاك، وليبعثنَّهُ اللهُ فليقطِّعنّ أيدي رجال وأرجُلَهم، فجاءه أبو بكر، فكشف عن رسول الله ﷺ فقبّلهُ، فقال: بأَبي أنت وأمّي، طِبتَ حيّاً وميّتاً، واللهِ الذي نفسي بيده، لا يذيقُك اللهُ الموتتيْن أبداً، ثمّ خرج فقال: «أيُّها الحالفُ على رِسلك»[1].

فهذه الرّواية هي الأُخرى تتعارض مع روايات صلاة أبي بكر بالنّاس يوم وفاة النّبيّ ﷺ.

ثمّ إنّه من العجيب قول عمر: «والله ما مات رسولُ الله».

أوكان صاحبُ رسول الله يجهل أنّ النّبيّ بشرٌ يموت كسائر البشر؟

أولم يقرأ عمرُ الآيةَ الكريمة: ﴿و ما مُحَمَّدٌ إلاّ رسولٌ قدْ خَلَتْ مِن قبله الرُّسُل أَفَإنْ ماتَ أو قُتِلَ انقَلبْتُم على أعقابكم ومَن يَنقلِبْ على عَقِبَيْه فلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئا﴾؟[2].

إنّ هذه الآية الكريمة صريحةٌ بأنّ رسول الله ﷺ يموت كسائر البَشر، فكيف أقسم عمر بعدم موته؟

وهنا جوابان لا ثالث لهما:

إمّا أنّ عمر بن الخطّاب لم يقرأ هذه الآية ولم يسمع بها طيلة حياته، وهذه كارثةٌ عظمى، إذ كيف يُعقلُ أنّ صحابيّاً صاحبَ النّبيِّ طيلة تلك السّنوات لم يسمع بهذه الآية الكريمة ولو مرّةً واحدة؟.

وإمّا أنّ عمر كان يعتقد ويعلم بوفاة النّبيّ، كلُّ مافي الأمر أنّه كان ينتظر قُدومَ صاحبه لتنفيذ خُطّتهما للإستحواذ على الخلافة والتّسلُّط على رقاب المسلمين، وهنا الكارثة أَشدُّ وأعظم.

---

١. كتاب فضائل الصحابة ج٥/ ص٣١.

٢. سورة آل عمران: ١٤٤.

والسّؤالُ الذي يجب طرحهُ هنا هو أنّ أهل السُنة لا يعتقدون بالرّجعة فكيف قال عمرُ: «والله ما كان يقع في نفسي إلاّ ذاك وليبعثنَّهُ اللهُ فليقَطِّعنّ أيدي رجالٍ وأرجلَهُم»؟.

لاحظ قولَ عمر: «و ليبعثنّهُ اللهُ». أوليستْ هذه هي الرجعة بعينها؟ وإذا كان عبد الله بن سبأ اليهودي هو صاحبُ القول بالرجعة كما يزعمُ بعض أهل السّنة فالأَولى أن ينسُبوا ذلك لعمر بن الخطاب لأنّه هو من اعتقد بها قبل ابن سبأ.

***

عليٌّ عليه السلام خليفةُ رسول الله

خلافة عليّ عليه السلام عقلاً

يجب عقلاً وعُقَلائِيّاً توفّر بعض الشّروط في خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، وإلا لأصبح بمقدور أيّ شخص أن يصبح خليفته، وهذا خلافُ العقل والشّرع والوجدان.

ومن بين هذه الشروط: الإيمان والشّجاعة والقدرة على تحمّل المسؤوليات والعلم والخُلُقُ الرَّفيع والرّأفة بالنّاس والعصمة.

أمّا شرط الإيمان، فلأَنّ غير المؤمن لا يحقّ له التّسلُّط على رقاب المؤمنين، ولا أن يكون حاكماً عليهم، وإلاّ لَعَمَّ الخرابُ والفسادُ والفوضى البلادَ، ولما تمكّن المؤمنون من مُمارسة طقوسهم وعبادتهم على الوجه المطلوب.

إيمانُ عليٍّ عليه السلام



فأمّا إيمان عليّ بن أبي طالب عليه السلام فلا يشكُّ فيه إلا كافرٌ جاحدٌ أومُنافقٌ عنيدٌ، وسنكتفي هنا بذكر الحديث الذي جاء في صحيح مسلم أنّ علياً عليه السلام هو المعيار في كون الرجل مؤمنا أو مافقا.

روى مسلم في صحيحه:

قال عليٌّ عليه السلام: «والذي فلق الحبّةَ وبرأَ النَّسمةَ إنّه لَعَهدُ النّبيّ الأُمّي إليّ: «أنْ لا يُحِبُّني إلاّ مُؤمِنٌ ولا يَبغضُني إلاّ مُنافق»[1].

فمن أحبّ علياً فهو مؤمن، ومن أبغضَهُ فهو مُنافق. إذاً فَعَليٌّ عليه السلام هو الإيمانُ كلُّه وهو معيار التّفرقة بين الإيمان والنّفاق.

---

١. صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان.رقم الحديث ١١٣، وأيضاًكتاب فضائل الصّحابة ج٢/ ص٦٤٨.

شجاعته عليه السلام

أمّا شجاعتُه، فإنّه عليه السلام أشهرُ من نارٍ على علم في بطولاته وحروبه ضد الكفر والنفاق، ولا يُنكرُ هذا إلاّ جاحدٌ مُتعصّب أو منافقٌ عنيد. ويكفي في شجاعته عليه السلام ما شهدت به أعداؤه.

فها هو الإمام عليٌّ عليه السلام في معركة بدر حاملاً رايةَ المسلمين، قاطعاً كيد المُشركين، قاتلاً شُجعانَهم مُبارزاً كبار قادتهم وأبطالهم.

بدأت المعركة صباحَ يوم الجمعة في اليوم السّابع عشر من شهر رمضان المبارك في السّنة الثانية للهجرة، وقد فتح المشركون باب الحرب، فبرز منهُم عُتبةُ بن ربيعة وشَيبةُ والوليدُ، وهم أبطال قريش وطليعةُ فرسانهم، وبرز إليهم فِتيانٌ من الأنصار فاحتقرهُم عتبةُ وأخَذتهُ العزّةُ بالإثم، فقال لهم: لا نريد هؤلاء، ولكن نريد أن يُبارزَنا بنو أعمامنا من بني عبد المطّلب، فنَدب الرّسول صلّى الله عليه وآله لمبارزتهم عُبيدَة وعليّاً وحمزةَ، فبرز حمزةُ لِعُتبة، وعبيدةُ لِشيبة، وعليّ عليه السلام للوليد[1].

أمّا عليٌّ عليه السلام وحمزةُ فكُلٌّ منهما قتل صاحبَه، وأمّا عُبيدةُ وعُتبة بنُ ربيعة فقد اختلفا بضربتين، وأثبتَ كُلٌّ منهما سيفَه في رأس صاحبه، فكَرَّ عليه الإمام عليٌّ وحمزةُ بأسيافهما وتركاهُ جُثّةً هامدة[2]، واشتدّت الحرب، وكان النّبيّ صلّى الله عليه وآله من أشدّ النّاس بأساً ومن أقرب جيشه إلى العدوّ، وكان المسلمون يلوذون به كما حدّث بذلك الإمامُ[3] عليه السلام،

---

١. سُنن البيهقي ج٣/ ص٢٧٩.

٢. تاريخ الطّبري ج٢/ ص٣٢٥.

٣. مسند أحمد بن حنبل ج٢/ ص٦٤، رقم الحديث ٦٥٤.





وبان الإنكسارُ في صفوف المشركين وانهارت معنويّاتُهم وانهزموا شرّ هزيمة.

وقد قُتِل من المشركين في بدر ما يقارب السّبعين رجُلاً، وكان لعليّ عليه السلام الدّورُ الكبير والنّصيبُ الأوفرُ من قَتلاهُم،كما جاء في النّصوص.

قال ابن كثير:

وقد شهد عليٌّ بدراً وكانت له اليدُ البيضاء فيها، بارز يومئذٍ فغَلَبَ وظهرَ. وفيه وفي عمّه حمزةَ وابن عمّه عُبيدة بن الحارث وخصومهم الثلاثة عُتبة وشيبة والوليد بن عتبة نزل قولُه تعالى: ﴿هَذَانِ خَصمَانِ اختَصَمُوا فِي رَبِّهِم﴾[1].

وروى الطّبري في تاريخه عن ابن عبّاس قال: «كان المهاجرون يوم بدر سبعةً وسبعين رجلاً، وكان الأنصار مائتين وستّةً وثلاثين رجلاً، وكان صاحبَ راية رسول الله ' عليُّ بنُ أبي طالب وصاحبَ راية الأنصار سعدُ بنُ عبادة»[2].

روى البخاري في صحيحه:

عن قيس بن عباد عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: «أنا أوّلُ من يجثو بين يدي الرّحمن للخصومة يوم القيامة، قال قيسُ بنُ عباد: وفيهم أُنزِلت: ﴿هَذَانِ خَصمَانِ اختَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾، قال: هُمُ الذين تبارزوا يوم بدر حمزةُ وعليٌّ وعبيدةُ أو أبو عبيدة بن الحارث وشيبةُ بن ربيعة وعتبةُ والوليدُ بن عتبة[3].

ذكر ابن هشام في سيرته:

«فكثيراً ما يتكرّر اسمُ عليّ عليه السلام، فأغلبُ القتلى من المشركين بين مَن قتَلهُ عليٌّ عليه السلام أو شارك في قتله»[4].

وهذه بعض أسماء المشركين الذين قُتِلوا يوم بدر بسيف عليّ الكرّار عليه السلام كما جاء في السّيرة النّبويّة:

حنظلةُ بن أبي سفيان بنِ حرب بنِ أميّة بن عبد شمس.

العاصُ بن سعيد بنِ العاص بن أميّة.

عُقبة بنُ أبي معيط بن أبي عمرو بن أميّة بن عبد شمس.

عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس.

طعيمة بن عدي بن نوفل.

زمعة بن الأسود.

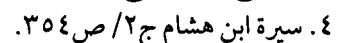
---

١. البداية والنّهاية ج٧/ ص٢٥.

٢. تاريخ الطّبري ج٢/ ص١٣٨.

٣. صحيح البخاري ج٥/ ص٩٥.

٤. سيرة ابن هشام ج٢/ ص٣٥٤.



عقيل بن الأسود بن المطلب.
نوفل بن خُويلد بن أسد.
حرملة بن عمرو.
مسعود بن أبي أميّة بن المغيرة.
أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة.
حاجب بن السائب.
العاص بن منبه بن الحجاج.
أبو العاص بن قيس بن عدي بن سعد.
أوس بن معير بن لوذان بن سعد بن جمح.
عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم.
زيد بن مليص.
عاصم بن أبي عوف.
سعيد بن وهب حليف بني عامر.
معاوية بن عامر بن عبد القيس.
عبد الله بن جميل بن زهير بن الحارث بن الأسد.
السّايب بنُ مالك.
أبو الحكم بن الأخنس.
هشام بن أبي أميّة بن المغيرة.
النّضرُ بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبدالدّار[1].
فقد كان نصفُ قَتلاهُم تقريباً بسيف عليّ[2] عليه السلام.

أمّا في معركة أُحد ثاني معركة في الإسلام، فقد أظهر فيها الإمامُ عليه السلام قوّتَه وشجَاعتَه في مُحاربة المُشركين من قريش، كما أعطانا درساً في الأخلاق الرّفيعة والقِيَم الإنسانيّة والآداب الإسلامية، وقد دافع عن رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه وروحه حاملاً فيها راية الإسلام.

عن مسلمة بن علقمة المازني: «لمّا اشتدّ القتالُ يوم أُحدٍ جلس رسولُ الله صلى الله عليه وآله تحت راية الأنصار، وأرسل إلى عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه أن قَدِّم الرّاية. فَتَقدّم عليٌّ (كرّم الله وجهه) فقال: أنا أبو الفُصَم ويُقال أبو القُصَم، فناداه أبو سعد بن أبي طلحة وهو صاحب لواء المشركين: أنْ هل لك يا أبا القُصَم في البِراز من حاجة؟ قال: نعم، فبرزا بين الصَّفّين فاختلفا بضربتين، فضربه عليٌّ فصرعه، ثمّ انصرف عنه ولم يُجهز عليه،

---

١. السيرة النّبويّة لابن هشام، المجلّد الثالث ص٥٥، ١١٦.
٢. شرح نهج البلاغة ج١/ ص٨.

فقال له أصحابُه: أفَلا أجْهَزت عليه؟ فقال: إنّه استقبلني بعورته، فعطفتني عنه الرحم، وعرفت أنّ الله عزّ وجلّ قد قتله»[1].

روى الطّبري عن السّدي في ذكر غزوة أُحد: إنّ طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين قام فقال: يا معشر أصحاب محمّد! إنّكم تزعمون أنّ الله يُعجّلُنا بسيوفكم إلى النّار، ويعجّلكم بسيوفنا إلى الجنّة، فهل منكم أحدٌ يُعجّله اللهُ بسيفي إلى الجنّة، أو يُعجّلني بسيفه إلى النّار؟! فقام إليه عليُّ بنُ أبي طالبعليه السلام فقال: والذي نفسي بيده لا أُفارقك حتّى أُعجّلك بسيفي إلى النّار، أو تعجّلني بسيفك إلى الجنّة، فضرَبهُ عليٌّعليه السلام فقطع رِجلَه فسقط فانكشفت عورتُه، فقال: أنشدك اللهَ والرّحمَ يا ابن عم! فتركه، فكبّر رسولُ اللهصلى الله عليه وآله وقال لعليٍّعليه السلام: ما منعك أن تُجهز عليه؟ قال: إنّ ابن عمّي ناشدني حين انكشَفت عورتُه، فاستَحيَيتُ منه[2].

فها هو عليٌّ كرّم الله وجهه يُبارز المشركين ويهزمهم بإيمانه ويقتلهم بسيفه، وفي الوقت نفسه يعطي المسلمين دروساً في الشجاعة والخلق العظيم.

وقد أبدى الإمامُ عليٌّعليه السلام في ذلك اليوم شجاعتَه الحيدريّة وبسالتَه المحمديّة وقوّتَه الهاشميّة في الذَّود عن النّبيّ الأكرمصلى الله عليه وآله في أشدّ المواقف صعوبةً، وذلك حينما تفرّق المسلمون وفَرّوا، ولم يبقَ مع النّبيصلى الله عليه وآله إلاّ نَفرٌ قليل.



ومن المُسَلّمات التاريخيّة أنّ كثيراً من الصحابة فرّوا يوم أحدٍ بعدما سمعوا أنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله قد قُتِل، وفيهم نزلت الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[3].

روى البخاري في صحيحه:

عن أنس (رضي الله عنه) قال: «غاب عمّي أنس بنُ النّضر عن قتال بدر فقال: يا رسول الله، غبتُ عن أوّل قتال قاتَلتَ المشركين لَئِن اللهُ أشهدني قتالَ المشركين ليرَينَّ اللهُ ما أصنع، فلمّا كان يومُ أُحدٍ وانكشف المسلمون قال: اللهُمّ إنّي أعتذر إليك ممّا صنع هؤلاء، يعني أصحابَه وأبرأ إليك ممّا صنع هؤلاء يعني المشركين...»[4].

وقد ذكر ابن كثير في تاريخه أسماءَ بعض أولئك الذين اعتذر أنسُ بن النّضر إلى الله تعالى من صنيعهم.

قال ابن اسحاق: وحدّثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدي بن النّجّار

---

١. السيرة النّبويّة لابن هشام ج٣/ ص٧٧، والبداية والنّهاية لابن كثير ج٤/ ص٢٠.
٢. تاريخ الطّبري ج٢/ ص٥٠٩، وكتاب المغازي ج١/ ص٢٢٦، والسيرة الحلبيّة ج٢/ ص٢٢٣.
٣. سورة آل عمران: ١٥٥.
٤. صحيح البخاري ج٤/ ص٢٣.

قال: «إنتهى أنسُ بن النّضر عمُّ أنس بن مالك إلى عمر بن الخطّاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم فقال: فما يُجلسكُم؟ قالوا: قُتِل رسولُ الله ' قال: فما تصنعون بالحياة بعده، قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله '، ثمّ استقبل القومَ فقاتل حتّى قُتِل»[1].

وروى أيضاً:

قال ابن هشام: «وكان ضرار بن الخطّاب لحق عمرَ بن الخطاب يوم أُحدٍ فجعل يضربهُ بعرض الرُّمح ويقول: أُنجُ يا ابن الخطّاب لا أقتلك، فكان عمرُ يعرفُها لهُ بعد الإسلام»[2].

وأمّا موقف عثمان يوم أُحد فقد نقل البخاري عن رجل سأل ابنَ عمر: «أنشدك بحرمة هذا البيت أتعلم أنّ عثمان بن عفان فرَّ يوم أُحدٍ؟ قال: نعم... فأمّا فراره يوم أُحدٍ فأشهد أنّ الله عفا عنه»[3].

روى النّسائي عن العلاء قال: «سأل رجلٌ ابنَ عمر عن عثمان قال: كان من الذين تَولّوا يوم التقى الجمعان فتاب الله عليه[4].

أجل، لقد فرَّ كثيرٌ من الصحابة يوم أحد، ولكنّ عثمان قد امتاز عنهم بميزة ذكرها ابن كثير في البداية والنّهاية وهي أنّه غاب عن المدينة ثلاثة أيام، بينما رجع أكثرُ الفارّين بمجرّد ابتعاد فُلول المشركين.

قال ابن كثير: «وقال الأُموي في مغازيه عن ابن اسحاق: حدّثني يحيى بنُ عباد عن أبيه عن جدّه: سمعت رسولَ الله ' يقول وقد كان النّاس انهزموا عنه حتّى بلغ بعضُهم إلى المبقى دون الأعوص، وفرّ عثمانُ بنُ عفّان وسعدُ بنُ عثمان رجلٌ من الأنصار، حتّى بلغوا الجلعب جبل بناحية المدينة ممّا يلي الأعوص فأقاموا ثلاثاً ثمّ رجعوا فزعموا أنّ رسول الله ' قال لهم: «لقد ذَهبتُم بها عريضةً»[5].

وأمّا شجاعة عليّ عليه السلام يوم أُحد تجدها فيما نقله ابن هشام حيث قال: وكان يُقال لسيف رسول الله ' ذو الفقار، وحدّثني بعضُ أهل العلم أنّ ابن نجيح قال: نادى مُنادٍ يوم أُحد: »لاسيفَ إلاّ ذو الفِقار، ولا فتى إلاّ علي "[6].

---

١. البداية والنّهاية ج٣/ ص٦٨، وسيرة ابن هشام ج٣/ ص٤٦، وصحيح ابن حبّان ج٥/ ص٩٧، وتاريخ الطّبري ج٢/ ص١١٩.
٢. البداية والنّهاية ج٣/ ص١١٦.
٣. صحيح البخاري ج٥/ ص١٢٥ ١٢٦.
٤. السّنن الكبرى للنّسائي ج٥/ ص١٣٧.
٥. البداية والنّهاية ج٤/ ص٣٢.
٦. سيرة ابن هشام ج٣/ ص٦٤.

جاء في تاريخ ابن عساكر:

لما كان يومُ أُحد نظر النّبيُّ ' إلى نفرٍ من قريش فقال لعليٍّ عليه السلام: «إحمل عليهم»، فحمل عليهم فقتل هاشمَ بنَ أُميّةَ المخزومي، وفرّقَ جماعتَهم ثمّ نظر النّبيُّ صلى الله عليه وآله إلى جماعة من قريش فقال لعليٍّ عليه السلام: «إحمل عليهم»، فحمل عليهم ففرّق جماعتَهم، فقتل فلاناً الجمحي، ثمّ نظر إلى نفر من قريش فقال لِعليٍّ عليه السلام: «إحمل عليهم»، فحمل عليهم ففرّقَ جماعتَهم وقتل أحدَ بني عامر بن لؤي فقال له جبريل عليه السلام: إنّ هذه المواساة، فقال صلى الله عليه وآله: «إنّه منّي وأنا منه»[1]، فقال جبريل: «وأنا منكم يا رسول الله»[2].

هذا هو عليُّ بن أبي طالب عليه السلام الذي لا يعرف معنى الفرار ولا الهزيمة، فهما غير موجودتين في قاموسه، وذلك لأنّ قلبه قد امتلأ إيماناً، ومَن يمتلأ قلبُه إيماناً لا يمكنه تركُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسطَ المشركين لينجو هو بنفسه.

وللأسف الشّديد فإنّا نرى أغلبَ الصّحابة قد فرّوا وتركوا النّبيَّ الأكرم صلى الله عليه وآله يذود بنفسه بين رماح المشركين، فيردُّ هذا ويقي رأسه الشريف من ضربة ذاك ويتّقي بدرعه طعنةَ الثالث وهكذا...

لقد كان للإمام عليٍّ عليه السلام الدورُ الكبيرُ في معركة أُحدٍ حيث إنّه لم يفرّ كما فعل أغلبُ الصّحابة، ولم يعصِ رسولَ الله صلى الله عليه وآله قطّ كما عصاه بعضُهم حيث نزلوا من الجبل بمجرّد أن رأوا الغنائم الكثيرة، وطمعوا فيها وغرّتهُم الدنيا، مع أنّ النّبي صلى الله عليه وآله كان قد أمرهم بعدم النزول منه لأيّ سبب كان.

حتّى إنّ عصيان هؤلاء الصحابة لأوامر رسول الله صلى الله عليه وآله ونزولهم من الجبل كان السببَ في محاصرة خالد بن الوليد لرسول الله صلى الله عليه وآله ومن كان معه، فكاد عصيانُهم يتسبّبُ في قتل النّبيّ صلى الله عليه وآله، لولا مشيئة الله، ولولا أنّ سيف الله عليّاً عليه السلام ونَفراً ممّن كانوا معه أحاطوا برسول الله صلى الله عليه وآله ودافعوا عنه بأنفسهم وأرواحهم.

نعم هذا هو عليُّ بن أبي طالب عليه السلام سيف الله المسلول.

عليٌّ عليه السلام الذي بات في فراش النّبيّ وفداه بروحه ونفسه. لا لشيء إلاّ ليَسلَم رسول الله صلى الله عليه وآله وينجو من المشركين.

روى أحمد في مسنده:

حدّثنا عبد الله حدّثنا يحيى بن حمّاد حدّثنا أبو عوانة حدّثنا أبو بلج حدّثنا عمرو بن ميمون قال: إنّي لجالس إلى ابن عبّاس إذ أتاه تسعةُ رهط فقالوا: يا ابن عبّاس إمّا أن تقوم معنا وإمّا أن يخلونا هؤلاء، قال: فقال ابنُ عبّاس: بل أقوم معكم قال: وهو يومئذٍ

---

١. روى البخاري في صحيحه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السلام: «أنتَ منّي وأنا منك». ج٤/ ص٢٠٧.

٢. تاريخ دمشق ج٤٢/ ص٧٦. وتاريخ الطّبري ج٣/ ص١٧.

صحيحٌ قبل أن يعمى قال: فابتدءوا فتحدّثوا فلا ندري ما قالوا، قال: فجاء ينفض ثوبه ويقول أفٍ وتُفٍ وقعوا في رَجلٍ له عشرٌ وقعوا في رجل قال له النّبيُ صلّى الله عليه وسلّم: «لأبعَثنّ رجلاً لا يُخزيه اللهُ أبداً يُحبُ اللهَ ورسولَه»، قال: فاستشرف لها من استشرف، قال: أين عليّ عليه السلام؟ قالوا: هو في الرّحل يطحن،قال: وما كان أحدكم ليطحن، قال: فجاء وهو أرمدُ لا يكاد يُبصِر،قال: فنفثَ في عينيه ثمّ هزَّ الرّايةَ ثلاثاً فأعطاها إيّاه، فجاء بصفيّة بنت حُيي قال: ثمّ بعث فلاناً[1] بسورة التّوبة فبعث عليّاً خلفَه فأخذها منه قال: «لا يذهب بها إلاّرجلٌ منّي وأنا منه». قال: وقال لبني عمّه أيُّكم يُواليني في الدُّنيا والآخرة؟ قال: وعليٌّ عليه السلام معه جالسٌ فأبَوا، فقال عليٌّ عليه السلام أنا أُواليك في الدّنيا والآخرة، قال: «أنتَ وَليّي في الدّنيا والآخرة»، قال: فتركه ثمّ أقبل على رَجلٍ منهم فقال: أيُّكم يُواليني في الدّنيا والآخرة؟ فأبوْا، قال: فقال عليٌّ عليه السلام أنا أُواليك في الدّنيا والآخرة، فقال: «أنتَ وَليّي في الدّنيا والآخرة»، قال: وكان أوّلَ من أَسلمَ من النّاس بعد خديجة، قال وأخذ رسولُ الله صلى الله عليه وآله ثوبَه فوضعه على عليّ وفاطمةَ وحسنٍ وحُسينٍ فقال: ﴿إنّما يُريدُ اللهُ لِيُذهبَ عنكُم الرِّجسَ أهلَ البيت ويُطهّرَكُم تطهيراً﴾. قال: وشرى عليٌّ نفسَه،لبس ثوبَ النّبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ نام مكانه، قال: وكان المشركون يرمون رسولَ الله صلى الله عليه وآله فجاء أبو بكر وعليٌّ عليه السلام نائمٌ، قال: وأبو بكر يحسب أنّه نبيُّ الله، قال: فقال يا نبيَّ الله، قال: فقال له عليٌّ عليه السلام: إنّ نبيَّ الله صلّى الله عليه وسلّم قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركْه، قال: فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار قال: وجعل عليٌّ عليه السلام يُرمى بالحجارة كما كان يُرمى نبيُّ الله صلى الله عليه وآله وهو يتضوّر قد لفَّ رأسَه في الثوب لا يخرجه حتى أصبح ثمّ كشف عن رأسه فقالوا: إنّك للئيمٌ كان صاحبُك نرميه فلا يتضوّر وأنت تتضوّر وقد استنكرنا ذلك. قال: وخرج بالنّاس في غزوة تبوك، قال: فقال له عليٌّ عليه السلام أخرجُ معك، قال: فقال له نبيُّ الله: لا، فبكى عليٌّ عليه السلام فقال له: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّك لستَ بنبيّ، إنّه لا ينبغي أن أذهب إلاّ وأنت خليفتي». قال: وقال له رسولُ الله ’:»أنتَ وَليّي في كُلّ مؤمن بعدي». وقال: «سُدّوا أبواب المسجد غيرَ باب عليٍّ»، فقال: فيدخل المسجدَ جُنُباً وهو طريقُه ليس لهُ طريقٌ غيرُه. قال: وقال: «من كنتُ مولاه فإنّ مولاه عليّ»، قال: وأخبرنا اللهُ عزّ وجلّ في القرآن أنّه قد رضي عنهم، عن أصحاب الشّجرة فعلم ما في قلوبهم، هل حدّثنا أنّه سخط عليهم بعد؟، قال: وقال نبيُّ الله صلى الله عليه وآله لعمر حين قال: إئذن لي لأضرب عنقه، قال: أوكُنتَ فاعلاً؟، وما يُدريك لعلّ الله قد اطّلعَ إلى أهل بدرٍ فقال: إعملوا ما شئتُم. حدّثنا أبو مالك كثير بن يحيى قال حدّثنا أبو عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عبّاس نحوه[2].



---

١. فلان هو أبو بكر بن أبي قحافة.

٢. مسند أحمد بن حنبل بتحقيق أحمد محمّد شاكر ج٥/ ص٢٥، قال: إسناده صحيح. ومجمع الزّوائد ج٩/

أمّا في معركة الخَندق، فقد تمّ حفر خندق حول المدينة لمنع المشركين من الإقتراب والدخول لمنطقة المسلمين. غير أنّ عمرو بن عبد وُدٍ العامري من تجاوز ذلك الخندق ما جعله والمسلمين على أرض واحدة، هنا دخل الخوفُ قلوبَ المسلمين حينما وجدوا أنفسهم أمام هذا الفارس الذي لم يعرف طعم الهزيمة في حياته، ولم يقف أمامَه أحدٌ إلاّ صرعه، وكان لا يبارزه رجُلٌ إلاّ قتلَه.

وأخذ عَمرو ينادي في المسلمين: هل من مبارز؟ فسكت المسلمون، وكأنّ على رؤوسهم الطّير، ولم يكن أحدٌ من المسلمين يتجرّأُ على مبارزته إلاّ عليٌّ عليه السلام حيث قال: أنا له يا رسول الله.

روى الحافظ البيهقي:

عن ابن اسحاق في موضع آخر من السّيرة قال: خرج عمرو بن عبد ودٍّ وهو مقنّعٌ بالحديد فنادى: من يبارز؟ فقام عليُّ بن أَبي طالب فقال: أنا له يا نبيّ اللّه. فقال: إنّه عمرو، إجلس.

ثمّ نادى عمرو: ألا رجلٌ يبرز؟فجعل يؤنّبهم ويقول: أين جنّتكُم التّي تزعمون أنّه من قُتلَ منكُم دخلها، أفلا تُبرزون إليَّ رجلا؟ فقام عليٌّ عليه السلام فقال: أنا يا رسول اللّه، فقال: إجلس. ثمّ نادى الثّالثة، فقال:

ولقد بحَحتُ من النّداء	لجمعهم هل من مُبارز
ووقفتُ إذ جَبُن المشجع	موقفَ القِرنِ المُناجِـزْ
وَلِذَاكَ إِنّي لَـمْ أَزَلْ	مُتسَرّعًا قِبَلَ الهزاهِـزْ
إِنَّ الشَّجَاعَةَ فِي الْفَتَـى	والجودَ من خَيرِ الغرائز

قال: فقام عليٌّ رضي اللّه عنه فقال: يا رسول اللّه أنا له.

فقال: إنّه عمرو، فقال: وإن كان عمراً.

فأذن له رسولُ اللّه صلى الله عليه وآله فمشى إليه، حتّى أتى وهو يقول:

لا تعجلَنَّ فقـد أتاك	مُجيبُ صَوتك غيرُ عاجزْ
في نِيَّـةٍ وبصيـرةٍ	والصِّدق مُنجي كلَّ فائز
وإنّي لأرجو أن أُقيـم	عليـك نائحـةَ الجنائز
مِـن ضربة نَجلاء يبقى	ذكرُها عند الهزاهـزْ

فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي، قال: إبن عبد مناف؟ قال: أنا عليُّ بن أبي طالب.

ص٢٨٤. وقال: رواه أحمد، ورجالُه رجال الصحيح.

فقال: يا ابن أخي، مِن أعمامك من هو أسنُّ منك، فإنّي أكره أن أهرق دمك؟ فقال له عليٌّ عليه السلام: لكنّي واللّه لا أكره أن أهرق دمك، فغضب فنزل وسلّ سيفه كأنّه شُعلةُ نار، ثمّ أقبل نحو عليّ عليه السلام مغضَبًا واستقبله عليٌّ عليه السلام بدرَقَته فضربه عمرو في درقته فقدَّها وأثبتَ فيها السّيف وأصاب رأسَه فشجّه، وضربه عليٌّ عليه السلام على حبل عاتقه فسقط وثار العجاج وسمع رسول اللّه صلى الله عليه وآله التّكبير، فعرفنا أنّ عليّاً قد قتله[1].

وهنا قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لمبارزةُ عليّ بن أبي طالب لعمرو بن عبد ودٍّ يوم الخندق أفضلُ من أعمال أمّتي إلى يوم القيامة»[2].

روى الحاكم في مستدركه:

عن ابن إسحاق قال: كان عمرو بن ودّ ثالثَ قريش، وكان قد قاتل يوم بدر حتّى أثبتته الجراحة ولم يشهد أُحُداً، فلمّا كان يومُ الخندق خرج معلماً ليرى مشهده فلمّا وقف هو وخيله، قال له عليٌّ عليه السلام: يا عمرو قد كنتَ تُعاهد الله لقريش أن لا يدعو رجلٌ إلى خلَّتَيْن إلاّ قبلت منه أحدَهُما، فقال عمرو: أجل، فقال له عليٌّ عليه السلام: فإنّي أدعوك إلى الله عزّ وجلّ ورسوله ' والإسلام، فقال: لا حاجة لي في ذلك، قال: فإنّي أدعوك إلى البراز، قال: يا ابن أخي لِمَ؟ فوالله ما أحبُّ أن أقتلك، فقال عليٌّ عليه السلام: لكنّي أحبُّ أن أقتلك، فحمي عمرو فاقتحم عن فرسه فعقَره ثمّ أقبل فجاء إلى عليّ عليه السلام وقال: من يبارز؟، فقام عليٌّ عليه السلام وهو مُقَنَّعٌ في الحديد، فقال: أنا له يا نبيَّ الله فقال: إنّه عمرو بن عبد وُدّ، إجلس، فنادى عمرو: ألا رجلٌ؟،فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله، فمشى إليه عليٌّ عليه السلام ... وضربه عليٌّ رضي الله عنه على حبل العاتق فسقط وثار العَجاجُ[3]، فسمع رسولُ الله صلى الله عليه وآله التّكبيرَ فعرف أنّ عليّاً قتله[4].





هكذا قتل عليٌّ عليه السلام عَمراً، وقذف في قلوب المشركين الرُّعبَ، كما أعطى المسلمين الأمل بالنّصر بعدما كانوا قد يئسوا منه. وقد لعب الإمامُ عليه السلام دوراً كبيراً في انتصار المسلمين في هذه المعركة التّي انتهت بهزيمة المشركين.



أمّا معركة خيبر، وما أدراك ما خيبر، فقد أرسل رسولُ الله صلى الله عليه وآله أبا بكر ومعه راية الجيش، فذهب ورجع مُنهَزماً، فأرسل في اليوم الثاني عُمرَ بنَ الخطّاب، فذهب ورجع يُجَبِّنُ قومَه ويُجَبِّنونَه، وهذا ما جاء في كتب السّنة.

---

١. دلائل النُّبوّة ج٣/ ص٤٣٢.

٢. ()أخرجه الحاكم في المستدرك ج٣/ ص٣٢.قال: حديث صحيح. ولأن الذهبي لم يجد علّة لتضعيفه قال: قبّح اللهُ رافضيا افتراه.

٣. العَجاجُ: الغُبار.

٤. المستدرك على الصحيحين ج٣/ ص٣٤.

روى الحاكم في مستدركه:

أخبرنا أبو قتيبة سالمُ بنُ الفصل الآدمي بمكّة ثنا محمّدُ بن عثمان بن أبي شيبةَ ثنا عليُّ بنُ هاشم عن محمّد بن عبد الرّحمن بن أبي ليلى عن الحكم وعيسى عن عبد الرّحمن عن أبي ليلى عن عليٍّ أنّه قال: ثمّ يا أبا ليلى أما كنتَ معنا بخيبر؟ قال: بلى والله كنتُ معكم، قال: فإنّ رسولَ اللهﷺ بعث أبا بكر إلى خيبر فسار بالنّاس وانهزم حتّى رجع[1].

وروى أيضاً:

أخبرنا أبو العبّاس محمّد بن أحمد المحبوبي بمرو، ثنا سعيد بن مسعود، ثنا عبيد الله بن موسى، ثنا نعيم بن حكيم، عن أبي [مريم] الحنفي، عن عليّ رضي الله عنه، قال: سار النّبيُّﷺ إلى خيبر فلمّا أتاها بعث عمرَ رضي الله تعالى عنه وبعث معه النّاس إلى مدينتهم أو قصرهم فقاتلوهم فلم يلبثوا أن هزموا عمرَ وأصحابَهُ فجاؤوا يُجَبِّنونَه ويُجَبِّنُهُم[2].

ورواه أيضاً ابن أبي شيبة في مصنّفه:

حدّثنا عبيد الله، قال: حدّثنا نعيمُ بن حكيم، عن أبي مريم، عن عليّعليه السلام قال: سار رسولُ الله ﷺ إلى خيبر، فلمّا أتاها بعث عمرَ ومعه النّاس إلى مدينتهم أو إلى قصرهم، فقاتلوهم فلم يلبثوا أن انهزم عمرُ وأصحابُه، فجاء يُجَبِّنُهُم ويُجَبِّنُونَه، فساء ذلك رسولَ الله ’ فقال: «لأَبعثنّ إليهم رَجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَه ويُحبُّهُ اللهُ ورسولُه، يقاتلهم حتّى يفتح اللهُ له، ليس بفَرّار»، فتطاول النّاس لها، ومدّوا أعناقهم يرونه أنفسهم رجاء ما قال، فمكث ساعة ثمّ قال: أين عليٌّعليه السلام؟ فقالوا: هو أرمد، فقال: أدعوه لي، فلمّا أتيته فتح عيني ثمّ تَفلَ فيهما ثمّ أعطاني اللّواء فانطلقتُ به سعياً خشية أن يحدث رسولُ الله ’ فيهم حدثاً أوفيّ، حتّى أتيتهم فقاتلتُهم، فبرز مَرحَبٌ[3] يرتجز، وبرزتُ له أرتجز كما يرتجز، حتّى التقينا، فقتلهُ اللهُ بيديّ، وانهزم أصحابُه فتحصّنوا وأغلقوا الباب، فأتينا الباب، فلم أزل أُعالجهُ حتّى فتحهُ الله[4].

هذا هو عليٌّعليه السلام، أينما حضر حضر النّصرُ، وأينما حلَّ حَلَّ الفتحُ، وأينما ضرب بسيفه نصر اللهُ به المسلمين وأخزى الكفّارَ والمشركين.

---

١. المستدرك على الصحيحين ج٣/ ص٤٠. قال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

٢. المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣/ ص٣٧ ٣٨. قال:هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي في تلخيص المستدرك بهامشه: صحيح.

٣. مرحب هو أحد أبطال اليهود وأشجعهم.

٤. المُصنّف لابن أبي شيبة الكوفي ج٨/ ص٥٢٥. وكنز العمّال للمتّقي الهندي ج١٠/ ص٤٦٢.

هكذا يجب أن يكون خليفةُ المسلمين. كرّاراً غيرَ فرّار، وشُجاعاً غيرَ جبان، ومُنتصراً غيرَ مُنهزم، حتّى يزرع في نفوس المسلمين الأملَ في النّصر والإيمان بالله والعزم على الجهاد في سبيله تعالى.

قال تعالى: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا إنْ تنصروا اللّهَ يَنْصُرْكُم ويُثبِّتْ أقدامَكم﴾[1].

ومفهوم هذه الآية الكريمة هو أنّه من لم ينصر اللهَ لا ينصره اللهُ ولا يثبّت أقدامه.

أمّا في معركة حُنَين فقد فرَّ المسلمون وولَّوا أدبارَهُم حتّى نزلت فيهم آياتُ التّوبيخ والذّم من الله تعالى.

قال تعالى: ﴿لقد نصَرَكُمُ اللهُ في مَواطنَ كَثيرَةٍ ويومَ حُنَينٍ إذ أَعجَبَتكُم كَثرَتُكُم فلَم تُغنِ عنكُم شيئاً وضاقَت عليكُم الأرضُ بما رَحُبَتْ ثمّ ولَّيتُم مُدبرين﴾[2].

وقد صرّح البخاري أنّ عمر بن الخطّاب كان من الفارّين في ذلك اليوم. حيث جاء في صحيحه:

عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: «لمّا كان يومُ حنين نظرتُ إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلاً من المشركين وآخر من المشركين يختله من وراءه ليقتله، فأسرعتُ إلى الذي يختله فرفع يده ليضربني، وأضربُ يدَه فقطعتُها ثمّ أخذني فضمّني ضمّاً شديداً حتّى تخوّفت ثمّ ترك فتحلَّلَ ودفعتُه ثمّ قتلتُه، وانهزم المسلمون وانهزمتُ معهم، فإذا بعمر بن الخطّاب في النّاس، فقلت له: ما شأنُ النّاس؟ قال: أمرُ الله، ثمّ تراجع النّاسُ إلى رسول اللهﷺ»[3].





وأمّا من ثبت مع رسول اللهﷺ فقد ذكرهم ابن قتيبة حينما قال:

«كان الذين ثبتوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم حنين بعد هزيمة الناس: عليّ بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب آخذ بحكمة بغلته، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابنه، والفضل بن العباس بن عبد المطلب، وأيمن بن عبيد وهو ابن أم أيمن مولاة رسول اللهﷺ وحاضنته، وقُتل يومئذ هو وابن أبي سفيان، ولاعقب لابن أبي سفيان، وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وأسامة بن زيد بن حارثة»[4].

إنّه من العار أن يفرّ الرّجلُ وتأتي المرأةُ للدِّفاع عن رسول اللهﷺ مع أنّ التّكليف ساقطٌ عنها.

إنّها امرأةٌ مؤمنة مخلصة لله ورسوله. إنّها الصّحابية الجليلة أمُّ عمارة التي أبلت

١. سورة محمد: ٧.

٢. سورة التوبة: ٢٥.

٣. صحيح البخاري ج٥/ ص١٩٧.

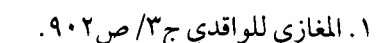
٤. المعارف لابن قتيبة الدينوري ص١٦٤.

في غزوة حنين بلاءاً حسناً حيث كانت تسقي العطشى وتساعد في نقل الشّهداء بعيداً عن ميدان القتال، كما كانت تُعدُّ الطّعام للمُقاتلين. وقد ثبتت مع الذين لم يفرّوا بعد أن هجم عليهم المشركون هجوماً قويّاً، وراحت تصيح فيمن فرَّ مِن الصّحابة وتقول: ياللأنصار أيُّ عادة هذه؟ ما لكُم والفرار؟، فكان لصرختها المليئة بالحميّة والإقدام أثرٌ كبير في عودة كثير من الفارين.

وها هي أمُّ عمارة تضرب أروع الأمثلة في دفاعها عن المبدأ والعقيدة، وتشتركُ بصورة مباشرة في أحداث المعركة، ونتركها وهي تروي لنا طرفًا عن دَورِها في ذلك اليوم المشهود، فتقول:

«لمَّا كان يومُ حنين، والنّاس منهزمون في كلِّ وجه، وأنا وأربعُ نسوة في يدي سيفٌ صارم، وأمُّ سُليم قد حزمت وسطها، وهي يومئذٍ حاملٌ، وأمُّ سليط، وأمُّ الحارث، فجعلتُ أسُلُّ السّيف، وأصيح بالأنصار: أيَّةُ عادة هذه؟! ما لكم وللفِرار؟وأنظر إلى رجل مشركٍ من هوازِن على جمل، معه لواء، يريد أن يوضع جمله في أثر المسلمين، فأعترضُ له فأضربُ عُرقوب الجمل، فوقع على عَجُزِه، وأشُدُّ عليه، فلم أزل أضربه حتى أثبتُّه، وأخذتُ سيفًا له، ورسولُ الله قائمٌ مُصلِتٌ السّيفَ بيده، قد طرح غِمده، ينادي: يا أصحاب سورة البقرة»[1].

***


١. المغازي للواقدي ج٣/ ص٩٠٢.

الثابتون مع النّبي من النّساء

ذكروا أنّ الذين ثبتوا كان فيهم نساءٌ ورجال، فمن النساء أربعُ نسوة: نسيبة بنت كعب، وأمُّ سليم، وأمُّ سليط، وأمّ الحارث.

ورووا: عن عبد الله بن أبي بكر: أنّ رسول الله ׳ رأى أمَّ سليم بنت ملحان، وكانت مع زوجها أبي طلحة، وهي حاملٌ بعبد الله بن أبي طلحة، وقد خشيت أن يغرّ بها الجمل، فأدنت رأسَه منها، وأدخلت يدَها في خزامه[1] مع الخطام.

فقال رسول الله ׳: أمّ سليم؟

قالت: نعم بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، أقتل المنهزمين عنك كما تقتل الذين يقاتلونك، فإنّهم لذلك أهل.

فقال رسول الله ׳: أويكفي الله يا أم سليم[2].

وعند محمّد بن عمر: قد كفى اللهُ تعالى، عافيةُ الله تعالى أوسع[3].

وعن أنس قال: إتّخذت أمُّ سليم خنجراً أيّام حُنين، فكان معها، فلقي أبو طلحة أمَّ سليم ومعها الخنجر، فقال أبو طلحة: ما هذا؟

قالت: إن دنا منّي بعضُ المشركين أبعجُ به بطنَه.

فقال أبو طلحة: أما تسمع يا رسول الله ما تقول أمُّ سليم؟، فضحك رسول الله ﷺ.

فقالت: يا رسول الله، أقتل من يعدّونهم من الطّلقاء، إنهزموا عنك.

---

١. الخزام بكسر الخاء المعجمة: حلقة تُصنع من شعر، وتُجعل في أنف البعير، أنظر اللّسان (خزم).

٢. سبل الهدى والرّشاد ج٥/ ص٣٣٠.

٣. سبل الهدى والرّشاد ج٥/ ص٣٣٠.

فقال: إنّ الله تعالى قد كفى وأحسن يا أمّ سليم[1].

وعن عمارة بن غزية قال: قالت أمُّ عمارة: لمّا كان يومُ حنين والنّاس منهزمون في كلّ وجه، وكنّا أربعَ نسوة، وفي يدي سيفٌ لي صارمٌ، وأمّ سليم معها خنجر قد حزمته على وسطها، وإنّها يومئذ حاملٌ بعبد الله بن أبي طلحة.

***



١. سبل الهدى والرّشاد ج٥/ ص٣٣٠ عن أحمد، وابن أبي شيبة، ومسلم. وقال في هامشه: أخرجه مسلم في الجهاد [١٣٤]، وابن أبي شيبة ج١٤/ ص٥٣٢، وأحمد بن حنبل ج٣/ ص٢٧٩.

الثابتون مع النّبي من الرجال

عن الحكم بن عتيبة قال: لم يبق معه إلاّ أربعةٌ، ثلاثةٌ من بني هاشم، ورجلٌ من غيرهم، عليُّ بن أبي طالب عليه السلام، والعبّاس، وهما بين يديه، وأبو سفيان بن الحارث آخذٌ بالعنان، وابن مسعود من جانبه الأيسر، قال: فليس يُقبِلُ أحدٌ إلاّ قُتِل، والمشركون حوله صرعى[١].

ومن الأنصار: أبو دُجانة وحارثة بن النعمان وسعد بن عبادة وأبو بشير وأسيد بن حضير.

هكذا صنع المسلمون برسول الله صلى الله عليه وآله، تركوه وفرّوا لينجوا بأنفسهم من الموت ويتركوا النّبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسط سيوف المشركين ورماحهم.

لكنّ التّاريخ سوف يظلُّ شاهداً على صنيع هؤلاء وتعاملهم مع الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وفرارهم في أحنك الظروف.

كما سيظلّ التاريخ يذكر لنا بطولات عليّ عليه السلام وتضحياته ودفاعه عن الله ورسوله حتّى في أشدّ الظروف وأقساها، وسيبقى شاهداً على أنّ عليّاً عليه السلام لم يفرّ يوماً ما، ولم يَجبُن ولم يُولِّ دبرَه، بل إنّه قاتل الكفارَ وقتل زعماءهم وحارب المشركين وأرعب جيوشهم.

وسيظلّ التاريخُ شاهداً على أنّ عليّاً كرّم الله وجهه شارك في كلّ غزوات النّبي صلى الله عليه وآله وحروبه، وانتصر في جميعها، وفتح اللهُ بسيفه أراضيها وحصونَها، وأنّ الغزوة الوحيدة التّي لم يشارك فيها هي غزوة تبوك، وكان ذلك بأمرٍ من النّبيّ صلى الله عليه وآله حتّى يُخلّفه في المدينة فلا

---

١. مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٤١٧ والسيرة الحلبية ٣/ ١٠٩ وفتح الباري ٨/ ٢٣ والمواهب اللدنية ١/ ١٦٣ وسبل الهدى والرّشاد ج٥/ ص٣٣٠. عن ابن أبي شيبة.

تبقى بدون خليفة يرعى شؤونها ويحفظ أمنها واستقرارها في غياب النّبيّ ﷺ. وحتّى يُهيّأ له أجواء الخلافة من بعده. وكأنّه ﷺ تَعمّدَ ذلك حتّى يُعَوِّد الصحابة من الآن أنّ الخليفة من بعده هو عليٌّ عليه السلام.

ذكر الإيجي في كتابه «المواقف» بعضاً من شجاعته عليه السلام، فقال:

الرابع: الشجاعة، تواتر مكافحتُه للحروب ولقاء الأبطال وقتل أكابر الجاهليّة، حتّى قال عليه السلام يوم الأحزاب: «لضربةُ عليٍ خيرٌ مِن عبادة الثَّقلَيْن»، وتواتر وقائعُه في خيبر وغيره[1].

وآخر ما نختتم به هنا هو ما ذكره الألباني في سلسلته الصّحيحة في مناقب عليٍّ عليه السلام حيث جاء:

«وكان يبعثه البعثَ فيعطيه الرّايةَ، فلا يرجع حتّى يفتح اللهُ عليه، جبريلُ عن يمينه، وميكائيلُ عن يساره. (يعني عليّاً رضي الله عنه)»[2].

فهذا غيضٌ من فيض ممّا ذكرناه في شجاعة الإمام عليٍّ عليه السلام، ومن أراد المزيد فما عليه إلاّ الرّجوع لكتب السِّيَر والتّاريخ ليقف على شجاعة هذا الرّجل البطل الذي رَوِيَ سيفُه من دماء الكفار والمنافقين، وشاب شَعرُ رأسه في خدمة الإسلام والمسلمين. إنّه بحقٍّ: سيفُ الله المسلول.

***

١. المواقف في علم الكلام لعبد الرحمن بن أحمد الإيجي ص ٤١٢. وشرح المقاصد للتفتازاني ٢/ ٣٠١ وتفسير الفخر الرازي ٣٢/ ٣١ والمستدرك على الصحيحين ٣/ ٣٤ قال الحاكم: صحيح. وقد حاول الذهبي تضعيفه بقوله: «قبّح اللهُ رافضيا افتراه» ولو أنه كان منصفا موضوعيا لبيّن العلّة في الحديث و لكن لأن السند صحيح اضطر لقول هذا الكلام الذي لا يدل إلا على كونه ناصبيا.

٢. سلسلة الأحاديث الصّحيحة للألباني المجلد الخامس ص٦٦٠. وصحيح ابن حبان ١٥/ ٣٨٣ والخصائص للنسائي [٢٣] ومسند أحمد ٣/ ١٦٨ قال أحمد شاكر: إسناده صحيح. ومصنف ابن أبي شيبة ٦/ ٣٧١ ومجمع الزوائد ٩/ ١٤٦ قال الهيثمي: رواه الطبراني وأبو يعلى والبزار بنحوه وأحمد باختصار وإسناد أحمد وبعض طرق الطبراني حسان. والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٧٥٠. وهو حديث متواتر.

قدرةُ عليٍّ عليه السلام على تحمّل المسؤوليات

لقد ذكرت كتبُ التّاريخ والسِّيَر أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله كان إذا أراد إنجاز المُهمّات الصّعبة والمسؤوليات الثقيلة، كان يرجع فيها دائماً إلى أخيه وحبيبه عليٍّ عليه السلام وذلك للأسباب التالية:

أوّلاً: ثقةُ النّبيّ صلى الله عليه وآله الكبيرة في عليٍّ عليه السلام.

ثانياً: قدرة الإمام عليّ عليه السلام على تحمّل المسؤوليات، وأهليّته لإنجاز الأمور الصّعبة والمستعصية.

ثالثاً: عدم وجود كُفؤ لتحمّل تلك المسؤوليات غير عليّ عليه السلام.

فهذا النّبيّ صلى الله عليه وآله يوكل مهمّة المبيت في فراشه لعليّ عليه السلام، وذلك حينما عزمت قريشٌ على اغتيال النّبيّ صلى الله عليه وآله في ليلة من الليالي، وقد تمّ اتفاقهم على أن يشارك من كل قبيلة شابٌّ من شبابها، حتّى لا تقع مسؤولية قتله على رجلٍ واحد فيأخذ بنو هاشم ثأرهم منه.

خافت قريش أن يترك النّبيّ صلى الله عليه وآله مكّة، وممّا كان سيلحقها من تبعات تؤثّر على مكانتها. كما أنّها كانت قلقةً من انتشار الدّين الجديد دين الإسلام الحنيف، رغم بذل كل طاقتها لاضطهاد المسلمين بكلّ وسائل الظلم المتاحة. وهكذا اجتمع زعماء قريش سرّاً للتّشاور، وقرّروا أن يختاروا من عدّة عوائل أربعين رجلاً يهاجمون بيت النّبي محمّد صلى الله عليه وآله في الظلام، ويقتلوه مجتمعين، وبذلك لا يتمّ لبني هاشم معاقبة القاتل، حيث يضيع دمُه بين عدّة عوائل. وفي تلك الليلة وفي ظلام الفجر أقبل الأربعون مقاتلاً إلى بيت النّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، وأشهروا سيوفهم، ودخلوا البيت. لكنّهم اندهشوا حينما رأوا عليّاً عليه السلام في مكان النّبيّ صلى الله عليه وآله.

فأخبر الله تعالى نبيَّه بمكرهم، وأخبر صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام بذلك، وأمره أن يتَغشّى ببرده

الحضرمي، وينام في فراشه. فقال عليٌّ عليه السلام: أَوتسلمُ بمبيتي هناك يا نبيّ الله؟! قال: نعم.

فتبسَّم عليٌّ عليه السلام ضاحكاً، وأهوى إلى الأرض ساجداً شكراً لله.

وتمكّن النبيّ صلى الله عليه وآله من الخروج من بيته في تلك اللّيلة دون أن يتمكّنوا من ملاحظته وملاحقته.

وجعل المشركون يرمون علياً عليه السلام بالحجارة، كما كانوا يرمون رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يتضوّر (أي يتلوّى ويتقلّب)، وقد لفَّ رأسه في الثوب، لا يخرجه، حتّى أصبح. فهجموا عليه.

فلمّا بصر بهم عليٌّ عليه السلام قد انتضوا[1] السّيوف، وأقبلوا عليه، يقدمهم خالد بن الوليد، وثب له عليٌّ عليه السلام فختله[2]، وهمز يده، فجعل خالد يقمص[3]قماص البكر، ويرغو[4]رغاء الجمل، وأخذ من يده السّيف، وشدّ عليهم بسيف خالد، فأجفلوا أمامه إجفال النّعم إلى خارج الدار، وتبصّروه، فإذا هو علي، قالوا: وإنّك لعليّ؟! قال: أنا عليّ. قالوا: فإنّا لم نُردك، فما فعل صاحبُك؟!

قال: لا علم لي به.

لقد كان هذا الإمتحان للنّبي صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام كامتحان إبراهيم مع ابنه إسماعيل عليه السلام لمّا أراد أن يضحّي به تنفيذاً لأمر الله سبحانه وتعالى.

وقد نزلت في هذه الحادثة الآيةُ الكريمة:

﴿وإذ يَمكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثبِتُوكَ أو يَقتُلُوكَ أو يُخرِجُوكَ ويَمكُرُونَ وَيَمكُرُ اللهُ واللهُ خَيرُ المَاكِرِينَ﴾[5].

روى الحاكم في المستدرك بسنده عن الإمام عليٍّ زينِ العابدين بنِ الإمام الحُسين عليه السلام:

أنّ أوّل من شَرى نفسَهُ ابتغاء مرضاة الله، عليُّ بنُ أبي طالب عليه السلام، وقال عليٌّ عليه السلام عند مبيته على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقيتُ بنَفسي خَيرَ من وَطأَ الحَصى ... ومَن طاف بالبيتِ العَتيقِ والحَجرِ
رسـولُ إلهٍ خافَ أن يَمكُـروا بـه ... فنـجَّاهُ ذو الطَّول الإلهُ من المَكـرِ
وبـاتَ رسـولُ الله في الغـار آمِـناً ... مُـوقّى وفي حفظ الإله وفي سِـتـرِ
و بِـتُّ أُراعيـهم ولـم يتهمـونني ... وقد وطَّنتُ نفسي على القتل والأسرِ[6]

١. إنتضى سيفَه: سلَّ سيفه.
٢. خَتلَ الشّخصَ: خدعه عن غفلة.
٣. قمَصَ: أعرَضَ قلقاً.
٤. رغا: بكى وضجَّ.
٥. الأنفال: ٣٠.
٦. المستدرك على الصّحيحين ج٣/ ص٤. ومسند أحمد ج١/ ص٣٤٨. وتاريخ بغداد ج١٣/ ص١٩١. ومجمع

وقد نزلت في عليّ عليه السلام الآيةُ الكريمةُ: ﴿وَمِنَ النّاس مَن يَشري نَفسَهُ ابتغاءَ مَرضاتِ الله والله رؤوف بالعباد﴾[1].

قال الفخرُ الرّازي في تفسيره:

والرّواية الثالثة أنّها نزلت في عليّ بن أبي طالب بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله ليلةَ خروجه إلى الغار، ويُروى أنّه لمّا نام على فراشه قام جبريلُ عليه السلام عند رأسه، وميكائيلُ عند رِجليه، وجبريلُ ينادي: بَخٍ بَخٍ مَنْ مثلُك يا ابن أبي طالب يُباهي اللهُ بك الملائكةَ، ونزلت الآية.

فيكفيه فخراً أنّ الله سبحانه يُباهي به ملائكتَه[2].

جاء في كتاب «إحياء علوم الدّين»:

وبات عليٌّ كرّم الله وجهه على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله، فأوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيلَ: «إنّي آخَيتُ بينكما وجعلتُ عُمْرَ أحدكما أطولَ من عمر الآخر، فأيُّكما يُؤثر صاحبَه بالحياة»؟ فاختار كلاهُما الحياة وأحبّاها، فأوحى اللهُ عزّ وجلّ إليهما: «أفلا كُنتُما مثلَ عليّ بن أبي طالب آخيتُ بينه وبين نبيّي محمّد صلّى الله عليه وسلّم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة؟ إهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوّه»، فكان جبريلُ عند رأسه وميكائيل عند رجليه، وجبريل عليه السلام يقول: «بخٍ بخٍ مَنْ مثلُك يابن أبي طالب واللهُ تعالى يُباهي بك الملائكة»، فأنزل الله تعالى: «ومِنَ النّاس من يشري نفسَهُ ابتغاء مرضات الله واللهُ رؤوفٌ بالعباد»[3].



وقد ذكر هذه الحادثةَ جملةٌ من مُحدّثي أهل السّنة منهم أحمد بن حنبل في كتابه فضائل الصّحابة حيث قال:

وشرى عليٌّ نفسَه، لبس ثوب النّبيّ ثمّ نام مكانه، قال: وكان المشركون يرمون رسول الله، فجاء أبو بكر وعليٌّ نائم... الحديث[4].

وروى أيضاً:

قال: وشرى عليٌّ نفسَه، لبس ثوبَ النّبي صلى الله عليه وآله ثمّ نام مكانه، قال: وكان المشركون يرمون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فجاء أبو بكر وعليٌّ عليه السلام نائمٌ قال: وأبو بكر يحسب أنّه نبيُّ الله، قال: فقال: يا نبيّ الله، قال: فقال له عليٌّ عليه السلام: إنّ نبيَّ الله صلّى الله عليه وسلّم قد

الزوائد ج٧/ ص٢٧.

١. سورة البقرة: ٢٠٧.

٢. تفسير الفخر الرازي ج٥/ ص٢٢١.

٣. إحياء علوم الدّين لأبي حامد محمّد بن محمّد الغزالي ج٣/ ص٢٥٨. وقد توفي أبو حامد الغزالي سنة ٥٠٥ هجري.

٤. كتاب فضائل الصّحابة لأحمد بن حنبل ج٢/ ص٨٥١.

انطلق نحو بئر ميمون فأدركه، قال: فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار، قال: وجعل عليٌّ يُرمى بالحجارة كما كان يُرمى نبيُّ الله وهو يتضوّر قد لفّ رأسه في الثوب لا يخرجه حتى أصبح، ثمّ كشف عن رأسه فقالوا: إنّك للئيمٌ، كان صاحبك نرميه فلا يتضوّر وأنت تتضوّر وقد استنكرنا ذلك[1].

ومن هنا يُعلم أنّ أبا بكر لم يكن في الغار مع رسول الله ﷺ.

وقد ذكر ابن عساكر في تاريخه:

بات عليٌّ عليه السلام ليلة خرج رسولُ الله إلى المشركين على فراشه ليعمي على قريش، وفيه نزلت هذه الآية: ﴿ومن النّاس من يشري نفسَه ابتغاء مرضات الله﴾[2].

هذا وقد أوكل النّبيّ ﷺ مهمّة إيصال الأمانات لأهلها إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام حينما أراد الهجرة إلى المدينة.

وطبعاً فإنّ مثل هذه المهمّة ليست بالأمر الهيّن، خاصّةً وأنّ قريشاً كانت تتوعّد النّبيّ ﷺ وكلّ من آمن به واتّبعه ونصره، لكنّ الإمام عليّاً عليه السلام أنجز تلك المهمّة وأوصل الأمانات إلى أهلها بكلّ ثقة وشجاعة وعزيمة.

---

١. مسند أحمد ج٥/ ص٢٥.قال أحمد محمّد شاكر:إسناده صحيح. وانظر المستدرك على الصحيحين ج٣/ ص٤، وقال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

٢. تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٤٢/ ص٦٧. وابن عساكر توفّي سنة ٥٧١ هجري.





إبلاغ سورة براءة

روى أحمد بن حنبل في مسنده من طرق جماعة، فمنها عن أنس بن مالك أنّ رسول الله ' بعث ببرائةٍ مع أبي بكر إلى أهل مكّة فلمّا بلغ إلى ذي الحليفة بعث إليه فردّه فقال: «لا يُؤَدّي عنّي إلاّ رجلٌ مِن أهل بيتي»، فبعث عليّاً[1] عليه السلام.

وروى ابن كثير في تفسيره:

عن سماك عن حبيش يرفعه قال: لمّا نزلت عشرُ آيات من سورة براءة على النّبي ' دعى النّبيُّ صلى الله عليه وآله أبا بكر فبعثه بها ليقرأها على أهل مكّة، ثمّ دعى النّبيّ صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام فقال له: أدرك أبا بكر فحيث ما لحقتَه فخذ الكتاب منه، فاذهب به إلى مكّة واقرأه عليهم. قال: فلحقه بالجحفة فأخذ الكتاب منه، فرجع أبو بكر إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله نزل فِيَّ شيءٌ؟. فقال: لا ولكنّ جبرئيل جاءني فقال: «لن يُؤَدّي عنك إلاّ أنت أو رَجُلٌ منك»[2].

وروى البخاري في صحيحه هذه الحادثة، وزاد فيه:

قال: فأذّن عليٌّ في أهل مِنى يوم النّحر ألاّ يحجّ بعد العام مشركٌ ولا يطوف بالبيت عريان[3].

---

١. مسند أحمد بن حنبل ج٣/ ص٢٨٣. وصحيح سنن الترمذي ٢/ ١٨٣ وحسّنه الألباني. ونحوه في صحيح ابن ماجة مج١ ص٥٨ وانظر السلسلة الصحيحة [١٩٨٠]

٢. فتح الباري كتاب تفسير القرآن ص ١٧١ قال ابن حجر: أخرجه أحمد بسند حسن. ومجمع الزوائد ٩/ ١١٩ قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي بلج الفزاري وهو ثقة وفيه لين. والسنة لابن أبي عاصم ٢/ ٦٠٢. وشرح مشكل الآثار ٩/ ٢١٩. وخصائص الإمام علي للنسائي ص٤٨. وفضائل الصحابة ٢/ ٥٩٤. وأنساب الأشراف للبلاذري ٢/ ١٥٥. وتفسير ابن كثير عن أحمد بن حنبل في ج٢/ ص٣٢٢. وهو حديث متواتر.

٣. صحيح البخاري ج٥/ ص٢٠٢.

أخرج الحاكم في مستدركه: بإسناده عن ابن عمر في حديث، قال:

إنّ رسول الله بعث أبا بكر وعمرَ ببراءة إلى أهل مكّة. فانطلقا فإذا هما براكب، فقال: من هذا؟ قال: أنا عليٌّ يا أبا بكر، هات الكتاب الذي معك، فأخذ عليٌّ الكتابَ فذهب به ورجع أبو بكر وعمر إلى المدينة، فقالا: ما لنا يا رسول الله؟ قال: ما لكما إلاّ خير، ولكن قيل لي: «لا يُبلّغُ عنك إلاّ أنت أو رجلٌ منك»[1].

إذاً فقد عرفنا أنّ علياًعليه السلام هو صاحب المسؤوليات والأمور التّي لا يمكن للآخرين القيام بها، والدليل على ذلك قول جبريلعليه السلام:

«لن يؤدّي عنك إلا أنت أو رجلٌ منك».

وهذه الرواية تدّل على أمرين أساسين:

أوّلهما: كفاءة الإمامعليه السلام في إنجاز أوامر النّبيصلى الله عليه وآله، وأهليّته لذلك.

ثانيهما: أنّه لا يبلّغ عن النّبيّصلى الله عليه وآله إلا رجلٌ منه، والإمام عليٌّعليه السلام هو مِن رسول اللهصلى الله عليه وآله بدليل القرآن والسنة.

أمّا القرآن فقوله تعالى: ﴿فمن حاجَّكَ فيه مِن بَعدِ ما جاءكَ مِن العِلم فقُل تَعالوا نَدعُ أبناءَنا وأبناءَكُم ونِساءَنا ونساءَكُم وأنفُسَنا وأنفسَكُم ثمّ نَبتَهِل فنَجعَل لَعنتَ الله على الكاذبين﴾[2].

إتّفق علماء المسلمين أنّ المراد ب (أنفسنا) في هذه الآية هو عليٌّعليه السلام.

روى مسلم في صحيحه:

حدّثنا قتيبة بن سعيد ومحمّد بن عباد وتقاربا في اللّفظ قالا: حدّثنا حاتم وهو ابن إسماعيل، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص، عن أبيه قال: أمرَ مُعاويةُ بنُ أبي سفيان سَعداً، فقال: ما منعك أن تَسُبَّ أبا التُّراب؟، فقال: أمّا ما ذكرتُ ثلاثاً قالَهُنَّ له رسولُ الله ' فلن أَسُبَّهُ. لأن تكونُ لي واحدةٌ منهُنَّ أحبُّ إليَّ من حُمْرِ النَّعَم. سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول له، خلَّفَهُ في بعض مغازيه، فقال له عليٌّعليه السلام: يا رسول الله، خَلَّفتني مع النّساء والصّبيان؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «أماترضى أن تكون منّي بمنزلة هارونَ من موسى، إلاّ أنّهُ لا نبوَّةَ بعدي»، وسمعتُه يقولُ يومَ خيبر: «لأُعطِيَنَّ الرّايةَ رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ ورسولَه، ويُحِبُّهُ اللهُ ورسولُهُ»، قال: فتَطاوَلنا لها فقال: «أُدعوا لي عليّاً»فَأُتِيَ به أرمَد، فبصَق في عينه ودفع الرّايةَ إليه. ففتح اللهُ عليه. ولمّا

١. المستدرك على الصحيحين ج٣/ ص٥١. ومسند أحمد ١/ ٣٣١ ومجمع الزوائد ٧/ ٢٩ قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح، والسنة لابن أبي عاصم ٢/ ٦٠٦ وشرح مشكل الآثار للطحاوي ٩/ ٢١٩ والشريعة للآجري ٤/ ٢٠٢١ والثقات لابن حبان ٩/ ٢٩ وأنساب الأشراف للبلاذري ٢/ ١٥٥ وتفسير الطبري ١٠/ ٤٦ وتاريخ ابن كثير ٥/ ٣٨

٢. آل عمران ٦١.

نزلت هذه الآيةُ: ﴿فَقُل تعالَوا نَدعُ أبناءَنا وأبناءَكُم﴾[1] دعا رسولُ اللهﷺ عليّاً وفاطمةَ وحَسَناً وحُسَيناً فقال: «اللّهُمّ هؤلاء أهلي»[2].

فهذا إقرارٌ منه أنّ عليّاًعليه السلام نفس رسول اللهﷺ.

روى ابن كثير في تفسيره:

أخبرنا محمّد بن دينار عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن جابر قال: قدم على النّبيّﷺ العاقبُ والطّيبُ، فدعاهما إلى الملاعنة فواعداه على أن يلاعناه الغَداة. قال: فغدا رسولُ الله ‘، فأخذ بيد عليّعليه السلام وفاطمة والحسن والحسين، ثمّ أرسل إليهما فأبَيا أن يجيئا، وأقَرّا بالخروج، قال: فقال رسولُ اللهﷺ: «و الذي بعثني بالحقّ، لو قالا: لا، لأَمطرَ عليهم الوادي ناراً»، قال جابر: فيهم نزلت: ﴿ندعُ أبناءَنا وأبناءَكُم ونساءَنا ونساءَكُم وأنفُسَنا وأنفسَكُم﴾. قال جابر: ﴿أنفُسَنا وأنفسَكُم﴾: رسولُ الله وعليُّ بنُ أبي طالب، و﴿أبناءَنا﴾: الحسنُ والحُسين‘، و﴿نساءَنا﴾: فاطمةُ[3]عليها السلام.

قال: وهكذا رواه الحاكم في مستدركه.

ومن هنا تَبيَّن لنا أنّ عليّاًعليه السلام هو نفسُ النّبيّ المصطفىﷺ، ومن كان عنده اعتراضٌ على هذا، فليعتَرض على كلام الله سبحانه وتعالى.

أمّا من السّنة، فقد روى البخاري في صحيحه:

قال النّبيّﷺ لعليّعليه السلام:«أنت منّي وأنا منك»[4].

فعليٌّعليه السلام من النّبيﷺ، والنّبيُّ من عليّعليه السلام.

فيُستفادُ من حديث: «لن يؤدّي عنك إلاّ أنت أو رجلٌ منك» أنّ عليّاًعليه السلام هو المُبلّغُ عن رسول اللهﷺ، فيكون هو خليفَتَهُ، لأنّ الحديث جاء على إطلاقه، ولم يُقيّد النّبيُّ إبلاغَ عليّعليه السلام عنه أموراً دون أمور، بالتّالي صحَّ الإستدلالُ بهذا الحديث على خلافة عليّعليه السلام.

ثمّ إذا لم يكن أبو بكر أهلاً حتى في إبلاغ آية واحدة من القرآن، وكذلك عمر، فكيف يُعقل أن يكونا خليفتي رسول الله فيبيّنوا للناس أحكام الكتاب، وناسخه من منسوخه، ومجمله من مفصّله، ومحكمه من متشابهه؟.

فالخلافة إذن بعد النّبيﷺ لا تكون إلاّ لعليٍ وأولاده الذين من صُلبهعليهم السلام، لأنّ جبريل قال للنّبيﷺ: «لن يؤدّي عنك إلاّ أنتَ أو رجلٌ منك». وعليٌّعليه السلام من النّبي صلّى الله عليه







---

١. صحيح مسلم ج٤/ ص١٨٧٤.
٢. سورة آل عمران: ٦٣.
٣. تفسير ابن كثير ج٢/ ص٥٥. وانظر الدّرّ المنثور للسيوطي ج٣/ ص٦٠٧. وشواهد التنزيل للحسكاني ج١/ ص١٢٣. وفتح القدير للشوكاني ج١/ ص٥٧٤.
٤. صحيح البخاري، باب مناقب عليّ بن أبي طالب القرشيّ الهاشميّ أبي الحسن رضي الله عنه ج٥/ ص٢٢.

وآله، وأولادُ عليٍّ من عليٍّ عليه السلام، وبالتّالي فَهُم مِن النّبيّ صلى الله عليه وآله. فلا تصحُّ الخلافةُ إلاّ فيهم، وهم إثنا عشر خليفةً كما صرّحَ بذلك النّبيّ صلى الله عليه وآله.

روى مسلم في صحيحه:

حدّثنا نصر بن علي الجهضمي حدّثنا يزيد بن زريع حدّثنا ابن عون وحدّثنا أحمد بن عثمان النّوفليُّ(واللّفظُ له) حدّثنا أزهر حدّثنا ابن عون عن الشعبي عن جابر بن سُمرة قال: إنطلقتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ومعي أبي، فسمعتُه يقول: لا يزال هذا الدّين عزيزاً مَنيعاً إلى اثني عشر خليفةً، فقال كلمةً صَمَّنيها النّاسُ، فقُلتُ لأبي: ما قال؟ قال: «كُلُّهُم مِن قُريش»[1].

وبما أنّ علياً من النّبي. والنّبيُّ من عليٍّ عليه السلام، فإنّ كلَّ مَن سبَّ علياً فقد سبَّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وكلَّ من حارب علياً فقد حارب رسولَ الله صلى الله عليه وآله. وقد جاء في الصّحاح أنّ معاوية بن أبي سفيان كان يَسُبُّ علياً عليه السلام، ويأمرُ الناسَ بسَبِّه.

روى مسلم في صحيحه:

حدّثنا قتيبة بنُ سعيد ومحمّد بن عباد وتقارباً في اللّفظ قالا: حدّثنا حاتم وهو ابن إسماعيل، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص، عن أبيه قال: أمرَ مُعاويةُ بن أبي سفيان سَعداً، فقال: ما منعك أن تَسُبَّ أبا التُّراب؟، فقال: أمّا ما ذكرتُ ثلاثاً قالَهُنَّ له رسولُ الله ' فَلَن أَسُبَّه. لأَن تكونُ لي واحدةٌ منهنَّ أحبُّ إليَّ من حُمر النَّعَم. سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول له، خلَّفَهُ في بعض مغازيه، فقال له عليٌّ عليه السلام: يا رسول الله، خَلَّفْتَني مع النّساء والصّبيان؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارونَ من موسى، إلاّ أنّهُ لا نُبُوَّةَ بعدي»، وسمعتُه يقولُ يومَ خيبر: «لأُعطِيَنَّ الرّايةَ رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ ورسولَه، ويُحِبُّهُ اللهُ ورسولُهُ»، قال: فتَطاوَلْنا لها فقال: «أُدعوا لي علياً»فَأُتِيَ به أَرْمَد، فبصَقَ في عينه ودفع الرّاية إليه. ففتح اللهُ عليه. ولمّا نزلت هذه الآيةُ: ﴿فَقُلْ تعالَوا نَدْعُ أبناءَنا وأبناءَكُم﴾[2] دعا رسولُ الله صلى الله عليه وآله علياً وفاطمةَ وحَسَناوحُسَيْناً فقال: «اللّهُمّ هؤلاء أَهلي»[3].



جاء في شرح صحيح مسلم:

«أمر معاوية بن أبي سفيان» الأموي الشامي، الخليفة المشهور «سعداً» بن أبي وقّاص رضي الله عنهما أي أمره بسب عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فأبى سعدٌ أن يسبّ

١. صحيح مسلم ج٤/ ص١٤٥٣. ومسند أحمد ج٥/ ص٧٩. والمستدرك على الصّحيحين ج٣/ ص٦١٨. ومجمع الزّوائد ج٥/ ص١٩٠ قال الهيثمي رجال الطّبراني رجال الصّحيح. وسنن الترّمذي ج٤/ ص٥٠١ قال: هذا حديثٌ حسن صحيح.

٢. سورة آل عمران: ٦٣.

٣. صحيح مسلم ج٤/ ص١٨٧٤.

علياً «فقال» معاوية بن أبي سفيان لسعد:»ما منعك» يا سعد «أن تسبّ أبا التراب» عليّ بن أبي طالب حين أمرتك أن تسبّه[1].

وجاء في فتح المنعم:

(أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً) المأمور به محذوف، لصيانة اللسان عنه، والتقدير: أمره بسب عليٍ رضي الله عنه.

(فقال: ما منعك أن تسبّ أبا التراب)؟ معطوف على محذوف، والتقدير: أمر معاوية سعداً أن يسبّ عليّاً، فامتنع فقال له: ما منعك؟

ويحاول النووي تبرئة معاوية من هذا السوء[2].

ها هو معاويةُ يأمر سعداً بسبِ عليّ عليه السلام، فيمتنع سعدٌ عن السبّ، فيستفسر منه معاويةُ عن سبب امتناعه عن ذلك.

وروى ابن ماجة في سننه:

عن سعد بن أبي وقّاص قال: قدم معاويةُ في بعض حجّاته، فدخل عليه سعدٌ، فذكروا عليّاً، فنال منه[3]، فغضب سعدٌ وقال: تقول هذا لرجلٍ سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول:

«من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه». وسمعته يقول:

«أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنّه لا نبيَّ بعدي». وسمعتُه يقول:

«لأُعطيَنَّ الرّاية اليومَ رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَه»؟[4].

جاء في كتاب إنجاز الحاجة:

عن سعد بن أبي وقاص، قال: قدم معاوية في بعض حجّاته، فدخل عليه سعد، فذكروا عليا، فنال منه، فغضب سعد، وقال: تقول هذا لرجل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:»من كنت مولاه فعليّ مولاه»....

قال شارح الكتاب: «فنال منه» أي نال معاوية من عليٍ ووقع فيه وسبّه، بل أمر سعدا بالسب، كما قيل في مسلم والترمذي[5].

هذا وقد اعترف ابن تيمية مع حبّه الشديد لبني أميّة بذلك أيضاً حيث قال:

وأمّا حديث سعد لما أمره معاوية بالسبّ فأبى، فقال: ما منعك أن تسبّ عليّ بن أبي



١. شرح صحيح مسلم المسمى الكوكب الوهّاج والروض البهّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجّاج لمحمد الأمين بن عبد الله الأُرمي الهَرَري الشافعي ج٢٣/ ص٤٤٤ دار المنهاج.

٢. فتح المنعم شرح صحيح مسلم للدكتور موسى شاهين لاشين ج٩/ ص٣٣٢ دار الشروق.

٣. قال الألباني: «نال منه» أي: نال معاويةُ مِنْ عليٍّ وتكلّم فيه.

٤. صحيح سنن ابن ماجة لمحمّد ناصر الدّين الألباني، المجلّد الأوّل ص ٥٨، قال الألباني: صحيح.

٥. إنجاز الحاجة شرح سنن ابن ماجة للشيخ محمد علي جانباز، مكتبة دار السلام الرياض، دار النور. المقدمة، باب١١،حديث١٢١، ص٤٠٣.

طالب؟ فقال: ثلاث قالهنّ رسول اللهﷺ فلن أسبّه، لأن يكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النّعم...الحديث. فهذا حديث صحيح رواه مسلم في صحيحه[1].

روى أحمد في مسنده:

عن أبي عبد الله الجدلي قال: دخلتُ على أمّ سلمة، فقالت لي: أَيُسَبُّ رسولُ الله فيكُم؟ قُلتُ: معاذَ الله، أو سبحان الله، أو كلمةً نحوها، قالت: سمعتُ رسولَ اللهﷺ يقول: «مَن سبَّ عليّاً فقد سبَّني»[2].

فكلّ من سبّ عليّاً فقد سبّ رسول اللهﷺ.....

وقد ثبت أن معاوية سبّ عليّاًعليه السلام....

إذن، فمعاويةُ سبّ رسولَ اللهﷺ.

فهذا معاوية بن أبي سفيان يسبّ رسول اللهﷺ. ولا ندري كيف يترضّى ابنُ تيميّة وغيره على من سبّ خيرَ خلق الله وسيّد الكونين ووالد سيّدة النساء.

وإذا كان المسلم لا يرضى أن يُسَبَّ أبوه أو أمُّه، فالأَولى أن لا يرضاها لرسول الله. فالمسلم هو من قدّم رسولَ اللهﷺ على أهله ونفسه، وإلا فلا.

روى الحاكم في مستدركه:

عن أبي هريرة قال: نظر النّبيُّﷺ إلى عليٍّ وفاطمةَ والحسنِ والحسينِ فقال: «أنا حَربٌ لَمَن حاربَكُم وسِلمٌ لمن سالمَكُم»[3].

بالتّالي يمكننا قولُ مايلي:

كُلُّ من حارب عليّاً فقد حارب رسولَ الله....

عائشةُ ومعاويةُ وطلحةُ والزُّبيرُ ومروانُ بن الحكم والمغيرةُ بن شعبة حاربوا عليّاًعليه السلام....

النّتيجة: كلّ هؤلاء حاربوا رسولَ اللهﷺ.

فالحمد لله الذي جعل في قلوبنا حبَّ أعلم الناس وأتقاهم وأشجعهم وأقضاهم وأكثرهم إيماناً، عليٍّعليه السلام وأهل بيت رسول اللهﷺ. وجعلنا من المتمسّكين بهم.

روى البخاري في صحيحه: قال عمر بن الخطاب: أقضانا عليٌّ[4]عليه السلام.

***

١. منهاج السنة ج٥/ ص٤٢.

٢. مسند أحمد بن حنبل ج٤٤/ ص٣٢٩، قال شعيبُ الأرنؤوط: إسناده صحيح.

٣. المستدرك على الصّحيحين ج٣/ ص١٤٩، قال: هذا حديثٌ حسن.وانظر صحيح ابن حبان [٢٢٤٤]. وسير أعلام النّبلاء للذهبي ج١٠/ ص٤٣٢. ومسند أحمد، المجلّد الرابع عشر ص٤٠٧.

٤. صحيح البخاري، كتاب التفسير، ص١٠٩٨، حديث [٤٤٨١].

علم الإمام عليٍّ عليه السلام

لاشكّ ولا ريب أنّ علياًعليه السلام هو أعلمُ الصّحابة، بل أعلمُ الخَلق بعد النّبيصلى الله عليه وآله. وقد يتعجّبُ البعضُ من هذا الإدّعاء، وذلك لعدم اطّلاعه على ماجاء في عليٍّعليه السلام بالأسانيد الصِحاح من فضائلَ كثيرةٍ ومناقبَ لم تكُن لأحدٍ غيرِه.

وكما وعدنا القارئ الكريم أن يكون كلُّ كلامنا بالدّليل، سوف نشرع بحوله تعالى بذكر ما جاء في علمهعليه السلام. ونتطرّق إلى بعض أقوال الصّحابة في ذلك، وشهادتهم بعلمهعليه السلام.

جاء في كنز العمّال:

حدّثنا عثمانُ بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي ظبيان، عن ابن عباس قال:

أُتِيَ عمرُ بمجنونةٍ قد زَنَت، فاستشار فيها أُناساً فأمر بها عمرُ أن تُرجَم، فمرَّ بها على عليّ بن أبي طالبعليه السلام فقال: ما شأنُ هذه؟ قالوا: مجنونةُ بني فُلان زَنَت فأمرَ بها عمرُ أن تُرجَم، قال: فقالعليه السلام: إرجِعوا بها، ثمّ أتاه فقال: يا أمير المؤمنين أما علمتَ أنّ القلمَ قد رُفِعَ عن ثلاثة، عن المجنون حتّى يبرأ، وعن النّائم حتّى يَستيقظ، وعن الصّبيّ حتّى يعقل؟ قال: بلى، قالعليه السلام: فما بالُ هذه تُرجَم؟ قال: لا شيء. قالعليه السلام: فأرسِلْها، قال: فأَرسَلَها، قال: فَجعلَ يُكبِّر. فَأُعجِبَ به عُمرُ إعجاباً شديداً ثمّ قال: أبا حسن، لا أبقاني اللهُ لشِدَّةٍ لستَ لها، ولا في بلدٍ لَستَ فيه[1].

وجاء الحديث بألفاظ مختلفة وفي مصادر عدّة[2].

---

١. كنز العمّال ج٥/ ص٨٣٢. وانظر المستدرك على الصّحيحين، أوّل كتاب المناسك. رقم الحديث:[١٦٨٢].

٢. أنظر سبل السلام لابن حجر العسقلاني ج٢/ ص٢٠٦. والدر المنثور للسيوطي ج٣/ ص١٤٤. وتاريخ

وقد رُوي أنّ عمر كان دائماً ما يقول: لولا عليٌّ لهلك عمرُ. وذلك لحاجته الماسّة إليه وافتقاره إلى علمه عليه السلام.

جاء في كتاب الإستيعاب:

عن ابن عبّاس قال: قال عمر: عليٌّ أقضانا.

وعن سعيد بن المسيّب قال: كان عمرُ يتعوّذُ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن. وقال في المجنونة التي أمرَ برَجمِها، وفي التّي وضعت لستّة أشهر فأراد عُمرُ رَجمَها فقال له عليّ عليه السلام: إنّ الله تعالى يقول: ﴿وحَمْلُهُ وفِصالُه ثلاثون شَهراً﴾[1]... الحديث، وقال له: إنّ الله رفع القلم عن المجنون.... الحديث، فكان عمرُ يقول: «لولا عليٌّ لهلكَ عُمَرُ»[2].

جاء في تاريخ الخلفاء:

عن أبي هريرة قال: قال عمر بن الخطّاب: لقد أُعْطِيَ عليٌّ ثلاثَ خصال، لأَن تكون لي خصلةٌ منها أحبُّ إليَّ مِن أن أُعطى حُمُر النَّعم[3]، فسُئِلَ: وما هُن؟ قال: تزوّجه ابنته فاطمة، وسكناه المسجد لا يحلُّ لي فيه ما يحلُّ له، والراية يومَ خيبر. قال السيوطي: وروى أحمدُ بسند صحيح عن ابن عمر نحوه[4].

فها هو عمر نفسه يعترف بعلم الإمام، ويدعو الله أن لا يبقيه لمعضلة ليس لها عليٌّ عليه السلام. بل يتمنّى أن تكون له خصلةٌ واحدةٌ من خصال عليّ عليه السلام.

فلو كان عند عمر ما عند عليّ عليه السلام من العلم لما احتاج إلى الرّجوع إليه في حلّ معضلاته. وخليفة المسلمين يجب كونه عالماً بأمور الدّين والدّنيا حتّى يتسنّى للعامّة الرجوعُ إليه، لا العكس، لأنّه كما يقال: فاقدُ الشّيء لا يُعطيه.

ولو لم يكن خليفةُ المسلمين أعلمَ أهل زمانه لوجب عليه الرجوع إلى رعيّته عند وقوع المعضلات، بالتّالي بطَلَ كونُه خليفةً ومتبوعاً، وصار تابعاً غير متبوع.

ولم يتوقّف علمُ الإمام عليه السلام عند هذا، بل إنّه كان يُخبر ببعض الأمور الغيبيّة التي تعلّمها من رسول الله صلى الله عليه وآله.

دمشق لابن عساكر ج٤٢/ ص٤٠٥.

١. الأحقاف ١٥.

٢. الإستيعاب لابن عبد البّر، المجلّد الثالث ص١١٠٣. وانظر تفسير القرآن لأبي المُظفَّر السَّمعاني المجلد الخامس ص١٥٤. ومُصنّف عبد الرزّاق بن همّام الصّنعاني ج٧/ ص٣٥٠. وتفسير الفخر الرّازي ج٢١/ ص٢٣.

٣. حمر النعم: أجود الإبل وأحسنها، وهي أنفس أموال العرب وأرفعها عندهم.

٤. تاريخ الخلفاء للسيوطي، دار ابن حزم. ص١٣٨. والمستدرك على الصحيحن ٤/ ٩٥ قال: صحيح. وفضائل الصحابة ٢/ ٤٣٤. وفتح الباري ٧/ ١٥. والبداية والنهاية ٧/ ٣٤٢. ومصنف ابن أبي شيبة ٦/ ٣٦٩. والسنة لابن أبي عاصم ٢/ ٥٦٩. وانظر الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي، دار الوطن ج١/ ص٣٧٣.

فلو قال قائلٌ: إنّ هذا لَهُو الغُلوُّ بعينه، فكيف تدّعون أنّ الإمام عليّاً يعلم بما سوف يكون؟

نقول: إن كان هذا غُلوّاً حقّاً فإنّ علماء السّنّة هم الغُلاة، لأنّهم هم الذين ذكروا ذلك في كتبهم، وبالأسانيد الصّحاح أيضاً، وقالوا إنّ عليّاًعليه السلام كان عالماً بكلّ ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة.

روى ابن عساكر في تاريخه:

عن سيف بن وهب قال: أقبل عليُّ بن أبي طالب ذات يوم حتّى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: «يا أيّها النّاس سلوني قبل أن تفقدوني»[1].

وروى أيضاً:

عن ابن شبرمة قال: ما كان أحدٌ يقول على المنبر: «سلوني عمّا بين اللّوحين» إلاّ عليّ بن أبي طالب[2] عليه السلام.

روى الحاكم في مستدركه:



عن قيس بن أبي حازم، قال: كنتُ بالمدينة فبَينا أنا أطوف في السوق إذ بلغت أحجار الزيت، فرأيتُ قوماً مجتمعين على فارسٍ قد ركب دابةً وهو يَشْتُمُ عليَّ بن أبي طالب والنّاس وقوفٌ حواليه إذ أقبل سعدُ بن أبي وقّاص فوقف عليهم فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجلٌ يَشْتُمُ عليَّ بن أبي طالب، فتقدّم سعد فأفرجوا له حتّى وقف عليه فقال: يا هذا، عَلامَ تَشتمُ عليَّ بن أبي طالب؟ أَلَمْ يكنْ أوّلَ من أسلم؟ ألم يكن أوّلَ من صلّى مع رسول الله؟ ألم يكن أزهدَ النّاس؟ ألم يكن أعلمَ النّاس؟ وذكر حتّى قال: ألم يكن ختن رسول الله على ابنته؟ ألم يكن صاحب راية رسول الله في غزواته؟ ثمّ استقبل القبلة ورفع يديه وقال: اللهمّ إنّ هذا يشتم وليّاً من أوليائك فلا تفرّق هذا الجمعَ حتّى تريهم قدرتَك فيه؟ قال قيس: فوالله ما تفرّقنا حتّى ساخت به دابتُه فرمته على هامته في تلك الأحجار فانفلق دماغه ومات[3].

والشاهد فيه: قول سعد بن أبي وقّاص: «أَلَم يكُن أعلمَ الناس؟». فهذه شهادةٌ من صحابيّ رسول اللهصلى الله عليه وآله، والسند صحيح، بالتالي ثبت كونُ عليٍّعليه السلام أعلمَ الناس.

جاء في كتاب فضائل الصّحابة:

---

١. تاريخ دمشق لابن عساكر ج٣/ ص٣٠، تحت الرقم ١٠٣٦.

٢. تاريخ دمشق لابن عساكر ج٣/ ص٣٠، تحت الرقم: ١٠٢٥. والإستيعاب لابن عبد البر ج٣/ ص٤٠.

٣. المستدرك على الصحيحين بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا ج٣/ ص٥٧١. قال: هذا حديثٌ صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي في التلخيص.

عن سعيد بن المسيّب قال: لم يكن أحدٌ من أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وآله يقول: «سلوني»، إلا عليُّ بنُ أبي طالب[1].

فمن يا تُرى هذا الذي يستطيع أن يدّعي أنّه عالمٌ بكلّ شيء؟ ويتحدّى النّاس بإطلاق قوله: «سلوني»، أي: سلوني عن أيّ شيء فأجيبكم. فهنا حصر عقليّ:

فإمّا أن يكون القائل كاذباً (وحاشاه عليه السلام وهو أمير المؤمنين ووصيُّ النّبي الكريم ومن طهّره في القرآن ربُّ العالمين).

وإمّا أن يكون صادقاً، بالتّالي يُثبِتُ أعلميّتَهُ على غيره من النّاس، فيكون أعلمَهم وأكملَهم علماً.

ثمّ إنّ عليّاً عليه السلام أطلقَ في كلامه ولم يُقَيِّد، أي أنّه لم يقل للنّاس: سلوني في أمور الفقه، أو في علم الفلك أو الفيزياء مثلاً، وإطلاقه هذا يدلّ على أنّه كان عالماً بكلّ شيئ إلاّ علم الساعة الذي لا يعلمه إلاّ الباري عزّ وجلّ، وما خرج بدليل خاص. هذا مقتضى كلامه.

وقد يتعجّب البعضُ حينما يسمع أنّ علم عليٍّ عليه السلام فاق علمَ الأنبياء والرّسل(عَدى النّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، حيث إنّه أخذ علمَه منه). لكنّ تعجُّبَه هذا سيزول بمجرّد اطّلاعه على ما جاء في الصِّحاح.

روى أحمد في مسنده:

حدّثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن حُبشيّ قال: خطبَنا الحسنُ بنُ عليٍّ بعد قتل عليٍّ فقال: «لقد فارقكم رجلٌ بالأمس، ما سبقهُ الأوّلون بعلمٍ، ولا أدركه الآخِرون، إن كان رسولُ الله ليبعثه ويعطيه الرّايةَ، فلا ينصرف حتّى يُفتَحَ له، وما ترك من صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه، كان يَرصُدها لخادمٍ لأهله»[2].

والشاهد هنا: هو قول الإمام الحسن في عليٍّ: «ما سبقه الأوّلون بعلمٍ ولا أدركه الآخِرون».

فهذه شهادةٌ صريحة من صحابيٍّ وابن صحابيٍّ وسبط النّبيّ وسيّد شباب أهل الجنّة، بأنّ علم عليٍّ عليه السلام لم يكن لأحد قبله، ولا يكون لأحد بعده.(والمُستثنى الوحيد هنا هو النّبيُّ الأكرم صلى الله عليه وآله).

فالراوي هو الإمام الحسن بن عليٍّ، الصحابيّ الجليل، ومن أهل بيتٍ طهّرهم اللهُ

١. فضائل الصّحابة لأحمد بن حنبل بتحقيق وصيّ الله بن محمّد عبّاس ج٢/ ص٦٤٦، قال:إسناده صحيح. ومصنّف إبن أبي شيبة المجلد الثامن ص٥٧٤.

٢. مسند أحمد بن حنبل بتحقيق أحمد محمد شاكر ج٢/ ص٣٤٤.قال: إسناده صحيح. وانظر البداية والنّهاية لابن كثير بتحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ج١١/ ص٢٧. قال: إسناده صحيح. وانظر كتاب فضائل الصّحابة لأحمد بن حنبل بتحقيق وصيّ الله بن محمّد عبّاس ج٢/ ص٥٩٥ قال: إسناده صحيح.

تطهيراً، والسند صحيح. فمن كان عنده أيّ اعتراض، فليعترض على ابن رسول الله، أو على هؤلاء العلماء الكبار من أهل السنة الذين ذكروا هذه الرواية في كتبهم.

والسؤال هنا:

كيف يكون الفاضلُ في زمانه رابعَ الخلفاء، ويكون المفضولُ الخليفةَ الأوّل؟

فليت شِعري، كيف عدلَ النّاسُ عن أعلم الناس وأفضلهم وأزهدهم وأشجعهم إلى من كان جاهلا بأحكام الكلالة والإرث والتيمّم!

قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري:

روى البزّار عن ابن مسعود قال: «كنّا نتحدّث أنّ أفضل أهل المدينة عليُّ بن أبي طالب»[1].

وجاء في مسند أحمد:

عن شُرَيْح بن هانىء قال: سألتُ عائشةَ عن المسح فقالت: «إئْتِ عليّاً فهو أَعلمُ منّي»[2].

فهاهي عائشة تعترف على الأقل أنّ عليّاً عليه السلام أعلمُ منها، بالتّالي فإن وقع أيُّ خلافٍ بينهما وَجَب عليها عقلاً وشرعاً أن ترجع إليه، وتستفيد من علمه، لا أن تخرج من دارها بجيش جرّارٍ لقتال نفسِ رسول الله وأخيه ووصيّه وابن عمّه وزوج ابنته وخليفة المسلمين وأمير المؤمنين، وتقتل خيار الصّحابة والتابعين.



ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ أمر النساء بالقرار في بيوتهن. قال تعالى: ﴿وقَرْنَ في بيوتكُنَّ ولا تبرَّجنَ تَبرُّجَ الجاهلية الأولى﴾[3].

وهنا حصر عقليّ. فإما أن نقول إن عائشة كانت على صواب في خروجها على إمام زمانها، وباقي نساء النبي أخطأن في عدم الخروج. وإما العكس. لكن القرآن مع الإحتمال الثاني. فإن الله أمرهُنّ بصريح العبارة أن يقرن في بيوتهن.

ثمّ إنّنا لم نرَ أو نسمع يوماً ما بأُمّ تقتلُ أبناءها، فمابالنا إذا كانت هذه الأمُّ هي أمُّ المؤمنين؟ وماذا ستقول لربّها يوم القيامة إذا سُئِلَت: لماذا قَتَلتِ الآلافَ مِن أبنائك المؤمنين يوم الجمل؟

قال ابنُ عبد البر في كتابه «العقد الفريد» إنّ عدد القتلى يوم الجمل بلغ عشرين ألفاً من جيش عائشة، وخمسمائة من جيش عليٍّ عليه السلام.

---

١. فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة بيروت، ج٧/ ص٥٨. قال: رجالُه موثّقون.

٢. مسند أحمد بن حنبل ج١/ ص١٨٢. وانظر كتاب فضائل الصّحابة لأحمد بن حنبل بتحقيق وصيّ الله بن محمّد عبّاس، دار ابن الجوزي، ج٢/ ص٨٧٣. قال: إسناده صحيح. وانظر المحلّى لابن حزم، كتاب الطهارة، صفة الغسل الواجب، مسألة المسح على ما لبس في الرجلين.

٣. الأحزاب: ٣٣.

أمّا الله سبحانه فقد قال في محكم كتابه الكريم: ﴿ومَن يَقْتُلْ مؤمناً مُتَعَمِّداً فجزاءُهُ جَهَنَّمُ خالداً فيها وغَضِبَ اللهُ عليه ولَعَنَهُ وأَعَدَّ لهُ عذاباً عظيماً﴾[١]. وقال تعالى: ﴿وسيَعلمُ الذين ظلموا أيَّ مُنقلبٍ يَنقلبون﴾[٢].

ثمّ إنه جاء في الصحيح: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: «يا علي أنت سيّدٌ في الدنيا سَيّدٌ في الآخرة، حبيبُك حَبيبي وحبيبي حبيبُ الله، وعدوُّك عدوّي وعدُوّي عَدُوُّ الله، والويلُ لمن أبغضك بعدي»[٣].

إذن فَعدوُّ عليّ عليه السلام هو عدوُّ الله.

ثمّ إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يقل: (الويل لمن حاربك بعدي). بل اكتفى بالبغض، والمعروف أنّ الإنسان إذا حارب شخصاً ما، فَجَزماً يكون قد تجاوز وتعدّى مرحلة البغض. لأنّي قد أبغض شخصاً ما، لكن ليس بالضرورة أن أحاربه وأقاتله. بينما لو حاربت شخصاً ما فهذا يعني أنّ بغضي له أوصلني لمرحلةٍ أصبحت لا أطيق وجوده في هذا العالم.

وإذا كان عليٌّ عليه السلام لا يُقارَنُ في علمه مع الأنبياء والرّسل، (هذا ما صرّح به علماءُ السّنّة بالأسانيد الصِّحاح)، فإنّه بطريق أَولى أن لا يُقارَن مع غيرهم.

روى الخطيب البغدادي:

عن أبي الطفيل قال: شهدتُ عليّاً، وهو يَخطبُ، وهو يقول: «سَلوني، والله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلاّ حَدَّثْتُكُم به»[٤].

وروى أيضاً:

قال عليٌّ عليه السلام: «سلوني عن كتاب الله، فَوالله، ما مِن آيةٍ إلا أَنّي أَعلمُ أَبِلَيلٍ نزلَت أم بنهار، أَم في سَهلٍ أم في جَبَل»[٥].

فالسَندُ صحيحٌ، والقائلُ هو نفسُ رسول الله وأخوه ووَصِيُّه وأميرُ المؤمنين عليٌّ عليه السلام، بالتّالي لا يُمكن لأحد ردُّ هذه الرّوايات، وما علينا إلاّ التّسليم لها والأخذ بها.

وها هو عليٌّ عليه السلام يُقسم بالله أنّه يعلم مكانَ وزمانَ نُزول كلِّ آيةٍ من القرآن الكريم،

١. سورة النساء: ٩٣.

٢. سورة الشعراء: ٢٧٧.

٣. المستدرك على الصحيحين بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية بيروت ج٣/ ص١٣٨، قال: صحيح على شرط الشيخين.

٤. كتاب الفقيه والمُتَفَقِّه للخطيب البغدادي المتوفّى ٤٦٢. تحقيق عادل بن يوسف العزازي. دار ابن الجوزي ج٢/ ص٣٥١. قال: إسناده صحيح. والمستدرك على الصحيحين مج٤ ص٤٢١ قال الحاكم: صحيح. ومصنف ابن أبي شيبة مج٨ ص٥٧٤.

٥. نفس المصدر السابق ج٢/ ص٣٥٢. قال: إسناده صحيح. وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ٤٦٤ قال الزهيري: إسناده صحيح. ومسند الشاشي ٢/ ٩٦.

أَفَهل يُمكن لعاقلٍ مُنصفٍ أن يُقارن بين هذا الذي زُقَّ العلمَ زَقّاً، وبين من يجهل أحكام القرآن وتفسيره وناسخه من مَنسوخه ومُحكَمه مِن مُتَشَابَهه...؟

وقد ذكر ابن عبد البرّ هذه الرّواية بإضافةٍ حيثُ جاء:

.عن أبي الطفيل قال:» شَهدتُ علياً رضي الله عنه وهو يخطب ويقول: «سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلاّ حدّثتُكُم به، وسلوني عن كتاب الله فَوالله ما منه آيةٌ إلاّ وأنا أَعلمُ بلَيلٍ نزلت أَم بنهار أم بسَهلٍ نزلت أم بجبل».فقام ابنُ الكوّاء وأنا بيبنه وبين عليٍّ رضي الله عنه فقال: ما ﴿والذاريات ذَرواً، فالحاملات وَقراً، فالجاريات يسراً فالمقسمات أمراً﴾[1]؟ قالعليه السلام: «ويلك، سَل تَفَقُّهاً ولا تَسَل تَعَنُّتاً. الذاريات ذرواً: الرّياح. والحاملات وَقراً: السّحاب. والجاريات يسراً: السُفُن. والمقسمات أمراً: الملائكة»[2].

وقد أخرج أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي في مسنده:

عن أبي الطفيل قال: قال عليُّ بن أبي طالب: «سَلوني فإنّكُم لا تسألون بعدي مِثلي»[3].

روى ابن أبي شيبة في مصنّفه:

حدّثنا عَبدَةُ بن سليمان عن عبد الملك بن أبي سليمان قال: قلتُ لعطاء: كان في أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وآله أحدٌ أعلمُ من عليٍّعليه السلام؟ قال: لا، والله ما أعلمه[4].

جاء في كتاب تخريج أحاديث إحياء علوم الدين:

أنّ النّبيّصلى الله عليه وآله قال لفاطمة الزهراءعليها السلام: «أما ترضين أنّي زوَّجتُك أقدمَ أمّتي سِلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلما»[5].

فكلّ هذه الأحاديث الصحيحة تصرّح بأنّ علياًعليه السلام أعلم الناس.

وما عسانا أن نقول في رجل ورث علم النبيّ الأكرمصلى الله عليه وآله؟ وهذا مارواه الحاكم في مستدركه:

---

١. سورة الذاريات: ١ ٤.

٢. جامعُ بيان العلم وفضله ليوسف بن عبد البرّالمتوفّى٤٦٣. بتحقيق أبي الأشبال الزهيري. دار ابن الجوزي ج١/ ص٥٦٤ قال:إسناده صحيح. وقد أخرجه الحاكم في المستدرك ج٢/ ص٤٦٦-٤٦٧.

٣. مسند أبي سعيد الهيثم بن كليب الشاشي ج٢/ ص٩٦. وأبو سعيد الشاشي توفّي سنة ٣٣٥. قال عنه الذهبي: الإمام الحافظ الثقة الرحّال أبو سعيد صاحب المُسند الكبير. وانظر المستدرك على الصحيحين المجلد الرابع ص٤٢١. قال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وصحَّحَه الذهبي.

٤. مصنّف ابن أبي شيبة، مكتبة الرّشد ج١١/ ص١٤٨.

٥. مجمع الزوائد ٩/ ١٠٢ قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني وفيه خالد بن طهمان وثّقه أبو حاتم وغيره وبقية رجاله ثقات. ومصنف ابن أبي شيبة [٣١٥١٤] والآحاد والمثاني لابن أبي عاصم [١٦٨] ومصنف عبد الرزاق الصنعاني [٩٥٠٠] تخريج أحاديث إحياء علوم الدين للعراقي والسّبكي والزبيدي، إستخراج محمود بن محمد الحداد ج٤/ ص١٩٥٥. قال: إسناده صحيح. وهو حديث متواتر.

عن ابن عباس قال: كان عليٌّ عليه السلام يقول في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الله يقول: أفإن مات أو قُتِل انقلبتم على أعقابكم، والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، والله لئن مات أو قُتِل لأقاتلنّ على ما قاتل عليه حتّى أموت، والله إنّي لأخوه ووليّه وابن عمّه ووارث علمه، فمن أحقُّ به منّي؟»[1].

وروى أيضاً:

عن أبي إسحاق قال: سألت قثم بن العباس: كيف ورث عليٌّ رسولَ الله دونكم؟ قال: لأنّه كان أوّلَنا به لحوقاً وأشدَّنا به لزوقاً[2].

إذن فقد ثبت أنّ علياً عليه السلام وارث علم النبي وأخوه ووليُّه وأعلم الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله. فالويلُ لمن حاربه وعاداه، والويلُ لمن نصب له العداوة والبغض. لأنّه قسيم الجنّة والنار.

جاء في طبقات الحنابلة:

قال محمد بن منصور الطوسي: كنّا عند أحمد بن حنبل، فقال له رجل: يا أبا عبد الله، ما تقول في الحديث الذي رُوي أنّ علياً قال: «أنا قَسيمُ النار»؟، فقال: وما تُنكِرون مِن ذا؟، أليس رُوينا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليٍّ عليه السلام: «لا يُحبُّكَ إلاّ مُؤمنٌ ولا يَبغضُكَ إلاّ مُنافق»؟ قُلنا: بلى، قال: فأين المؤمن؟ قلنا: في الجنّة، قال: فأين المنافق؟ قلنا: في النار، قال: فَعليٌّ قسيمُ النار[3].

قال ابن الأثير في النّهاية:

وفي حديث عليٍّ عليه السلام: «أنا قسيمُ النار» أراد أنّ الناس فريقان: فريقٌ معي فَهُم على هُدى، وفريقٌ عليَّ، فَهُم على ضلال، فنصفٌ معي في الجنّة، ونصفٌ عليَّ في النار.

قال ابن الأثير: قيل: أراد بهم الخوارج، وقيل: كُلُّ مَن قاتلَه[4].

***

١. المستدرك على الصحيحين ج٣/ ص١٣٦. ومجمع الزوائد ٩/ ١٣٤ قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

٢. نفس المصدر السابق، قال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي في التلخيص.

٣. طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى الفرّاء، بتحقيق أحمد عُبيد ص٢٣٢. وكتاب الأمالي للمرشد الحسني الشجري الجرجاني ج١/ ص١٧٧. وبغية الطالب في تاريخ حلب لابن العديم ج١/ ص٢٨٩. وكتاب الشّفا بتعريف حقوق المصطفى لأبي الفضل عيّاض اليحصبي ج٢/ ص٣٣٨. والفائق في غريب الحديث للزمخشري ج٣/ ص١٩٥.

٤. النّهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ج٧/ ص٣٣٩٩.

عليٌّ عليه السلام باب مدينة علم الرّسول

أخرج الحاكم في مستدركه:

عن عبد الرّحمن بن عثمان التيمي قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب»[1].

وقد ورد في كتاب «سبل الهدى والرشاد»:

قال ابن عباس: أُعطي عليٌّ تسعة أعشار العلم، ووالله لقد شاركهم في العشُر الباقي، وإن ثبت لنا الشيءُ عن عليٍّ لم يعدل عنه إلى غيره[2].

ذكر الفخر الرازي في ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿إنّ الله اصطفى آدمَ ونوحاً وآلَ إبراهيمَ وآلَ

---

١. المستدرك على الصحيحين ج٣/ ص١٣٨ قال: حديث صحيح. وانظر الفوائد المجموعة لمحمد بن علي الشوكاني ص ٣٤٩ قال: حديث حسن. واللآلئ المصنوعة للسيوطي ج١/ ص٣٠٥ قال: حديث حسن. وكنز العمال للمتّقي الهندي ج١٣/ ص١٤٩ قال: حديث صحيح. والمعجم الكبير للطبراني ج١١/ ص٦٥ ومجمع الزوائد للهيثمي ج٩/ ص١١٤ ورجاله ثقات. وتاريخ دمشق لابن عساكر ج٤٢/ ص٣٨٠ قال: حديث صحيح. وكتاب النقد الصحيح للعلائي ج١/ ص٥٥ قال: حديث حسن. وتهذيب الآثار للطبري ج٣/ ص١٠٤ قال: حديث صحيح. والمقاصد الحسنة للسخاوي بتحقيق عبد الله محمد الصديق ص ٩٨ قال: حديث حسن بل صحيح. كما أخرجه ابن حجر الهيتمي في صواعقه وقد علّق عليه بالحديث الحسن لكثرة طرقه. وانظر كتاب مختصر المقاصد الحسنة للزرقاني ص ٧٩ قال: حديث حسن. وانظر كتاب فتح الملك العلي بصحّة حديث باب مدينة العلم عليّ لأحمد بن محمّد بن الصدّيق ص ٥ قال: هذا الحديث بمفرده على شرط الصحيح.

٢. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد يوسف الصالحي الشامي ج١٢/ ص٢٤٨. وانظر أيضا تهذيب الأسماء واللغات للحافظ النووي ج١/ ص٣٤٦. وانظر الإستيعاب ج٣/ ص٤٠، وأسد الغابة ج٤/ ص١٠٠ رقم ٣٧٨٣، والرياض النضرة ج٣/ ص١٤١.

عمرانَ على العالمين﴾[1]، قال: قال عليٌّ (عليه السلام): علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله أَلْفَ بابٍ من العلم، واستنبطتُ من كلِّ بابٍ ألفَ باب، قال الفخر الرازي: فإذا كان حالُ المولى هكذا، فكيف حالُ النّبيّ صلى الله عليه وآله ؟[2].

نقول: نعم، إذا كان هذا حالُ أمير المؤمنين عليه السلام، وعلمه وفضله، فكيف حالُ سيّد البشر محمّدٍ صلى الله عليه وآله ؟

عن عبد الله بن مسعود قال: إنّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف، ما منها حرفٌ إلاّ له ظهرٌ وبطن، وإنّ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) عنده علم الظاهر والباطن[3].

قال أبو عبد الرحمن وهو عبد الله بن أحمد بن حنبل: وجدت في كتاب أبي بخطّ يده في هذا الحديث (حديث رسول الله لفاطمة الزهراء)، قال: أوما ترضين أنّي زوّجتك أقدم أمّتي سِلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حِلماً[4].

والحديث المذكور في ص ١٢٦ عن سعد بن أبي وقّاص: «ألم يكن أعلم الناس؟». فهذه شهادة صحابيّ على أن عليّاً عليه السلام أعلم الناس.

روى ابن سعد في طبقاته:

عن جبلة بنت المصفح، عن أبيها: قال: قال لي عليٌّ عليه السلام: يا أخا بني عامر سلني عمّا قال اللهُ ورسوله، فإنّا نحن أهل البيت أعلمُ بما قال الله ورسوله، قال: والحديث طويل[5].

ورُوِي أيضاً:

عن عبد الملك بن سليمان، قال: قلت لعطاء: أكان في أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله أعلم من عليٍّ عليه السلام ؟ قال:لا والله لا أعلم[6].

وجاء في كنز العمّال:

عن عليٍّ عليه السلام قال: «والله ما نزلت آيةٌ إلاّ وقد علمتُ فيما نزلت وعلى من نزلت، إنّ ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً طلقاً سؤولاً»[7].

---

١. سورة آل عمران: ٣٣.

٢. التفسير الكبير للفخر الرازي: ج٨/ ص٢١، وكنز العمال ج١٣/ ص١١٤ح ٣٦٣٧٢. وانظر تاريخ دمشق ج٢/ ص٨٥ في ترجمة أمير المومنين عليّ عليه السلام.

٣. ترجمة الإمام علي (عليه السلام) من تاريخ دمشق ج٣/ ص٣٢ ح ١٠٥٧، وفيض القدير ج٣/ ص٤٦.

٤. مسند أحمد ج٥/ ص٦٦٢ح ١٩٧٩٦، وكنز العمال ج١٣/ ص١١٤ح ٣٦٣٧٠. والمعجم الكبير للطبراني ج٢٠/ ص٥٣٨.

٥. الطبقات الكبرى لابن سعد ج٦/ ص٢٤٠.

٦. أسد الغابة ج٤/ ص١٠٠ رقم ٣٧٨٣.والاستيعاب ج٣/ ص٤٠.وفيض القدير ج٣/ ص٤٧، والرياض النضرة ج٣/ ص١٤١.

٧. طبقات ابن سعد ٢/ ٣٣٨. وأنساب الأشراف للبلاذري ٢/ ٣٥١. وتاريخ دمشق ٤٢/ ٣٩٨. وشواهد

وذكر ابن عساكر في تاريخه اعتراف عائشة بأعلميّة عليّ عليه السلام، وهي نفسها التي خرجت عليه وحاربته في معركة الجمل، بعدما قرأت قوله تعالى: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ»[1].

عن عطاء عن عائشة قالت: «عليٌّ أعلمُ النّاس بالسنّة»[2].

وإنّ الإنسان المنصف لَيَقفُ وقفة تأملٍ وتدبّر في علم هذا الإمام، لكنّا نكتفي بقوله عزّوجل: ﴿قُل هل يَستَوي الذين يَعلمون والذين لا يَعلمون﴾[3].

وقال أيضاً: ﴿قُل هل يَستوي الأَعمى والبَصير أَفلا تتَفكّرون﴾[4].

إذاً فمن أراد العلم فليأت الباب، ومن أراد دخول مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله فعليه بالدخول من باب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

فلا ندري كيف عدل الصحابة عن باب مدينة علم الرسول الأكرم وتمسّكوا بغيره حتّى تاهوا وضلّوا وأضلّوا، وهذا ليس كلامنا نحن، إنما كلام سيّد الخلق حينما وعدنا بعدم الوقوع في الضلال إن نحن تمسّكنا بالثقلين، والعكس صحيح. ويالَيتَهُم تمسّكوا بهما، فوالله لو أنهم فعلوا ذلك لعاش المسلمون في رغدٍ وهناء وأمن وسلام إلى يوم يُبعثون، ولما ظهرت الفرق والمذاهب والبدع والخرافات.

هذا هو علم الإمام عليه السلام، فدُلّونا على غيره ممّن كان له هذا العلم حتى نتمسّك به ونجعله إمامنا وقدوتنا.

نقول: هذا غيضٌ من فيض، فإذا كان أبو بكر وعمر قد منعا تدوين حديث رسول الله، واستمرّ ذلك لمدّة قرن تقريباً. وقد سار على نهجهم معاويةُ بن أبي سفيان الذي كان يلعن عليّاً عليه السلام على المنابر ويأمر الوضاّعين بوضع أحاديث تقدح في عليّ عليه السلام، بل وصل به الأمر إلى قتل كل من سُمي عليّاً ومع ذلك فقد وصلنا من فضائل أمير المومنين عليه السلام ما لم يصلنا من فضائل غيره، وهذا تماماً ما صرّح به أحمد بن حنبل والحاكم النيسابوري في مستدركه، قال تعالى: ﴿يريدون أن يُطفِئُوا نورَ الله بأَفواهِهِم ويَأبى اللهُ إلاّ أن يُتمّ نورَه ولَو كَرِهَ الكافرون﴾[5].

***



التنزيل للحسكاني ١/ ٤٥. والصواعق المحرقة ص١٢٧. وكنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال للمتّقي الهندي ج١٣/ ص١٢٨.

١. سورة الأحزاب: ٣٣.

٢. تاريخ مدينة دمشق ج٤٢/ ص٤٠٨.

٣. سورة الزمر: ٩.

٤. سورة الأنعام: ٥٠.

٥. سورة التوبة: ٣٢.

زهده عليه السلام

لا يختلف اثنان في زهد الإمام عليّ عليه السلام، فهو الذي كان يُطعم المساكين واليتامى من ماله الخاص، وكان لا يترك مال بيت المسلمين ليوم غد، بل يوزّعه على الفقراء والمحتاجين، ويبيت جائعاً وهو أمير المؤمنين وخليفة المسلمين.

ويكفينا شاهداً هنا ما أقرّ به سعد بن أبي وقّاص حينما قال لذلك الرجل الذي كان يشتم عليّاً عليه السلام فقال له سعد: يا هذا على ما تَشتمُ عليَّ بن أبي طالب؟ أَلَم يكن أوّلَ من أسلم؟ ألم يكن أوّلَ من صلّى مع رسول الله؟ ألم يكن أزهدَ النّاس؟ ألم يكن أعلمَ النّاس؟ [1].

والشاهد هنا قولُ الصحابي: «ألم يكن أزهدَ النّاس؟». فهذا تصريح جليّ من صحابيّ كبير، والسند صحيح، بالتّالي ثبت كون عليّ عليه السلام أزهدَ الناس.

روى هارون بن عنترة عن أبيه قال: دخلت على عليٍّ بالخورنق، وكان فصل الشتاء وعليه خلق قطيفة هو يرعد فيها، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنّ الله قد جعل لك ولأهلك في هذا المال نصيباً وأنت تفعل ذلك بنفسك؟ فقال عليه السلام: «والله ما أرزأكم شيئاً، وما هي إلاّ قطيفتي التي أخرجتها من المدينة»[2].




ولَعمري إنّ الرجل لا يمكنه الوصول إلى هذه الدرجة من الزهد إلاّ إذا كان غارقاً في معرفة الله وطاعته، عارفا بحقيقة هذه الدنيا الفانية، وقد شهد الكلُّ بزهد عليّ عليه السلام حتّى

---

١. المستدرك على الصحيحين بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا ج٣/ ص٥٧١. قال: هذا حديثٌ صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي في التلخيص.

٢. تاريخ مدينة دمشق ج٤٢/ ص٤٧٧، تحت رقم ٤٩٣٣. والكامل في التاريخ ج٣/ ص٤٠٠.

قال فيه عمر بن عبد العزيز:»أزهدُ الناس في الدنيا عليُّ بن أبي طالب»[1].

وسنختم هنا بذكر ما قاله الحافظ النووي في كتابه «تهذيب الأسماء واللغات» في علم عليٍّ عليه السلام وزهده، حيث قال: «وسؤال كبار الصحابة ورجوعهم إلى فتاويه وأقواله في المواطن الكثيرة والمسائل المعضلات مشهور، وأمّا زهده فهو من الأمور المشهورة التي اشترك في معرفتها الخاصُّ والعام[2]».

***

---

١. تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٢٠٢. والمناقب للخوارزمي ص ١١٧. الفصل العاشر في بيان زهده عليه السلام. والخوارزمي توفّي سنة ٥٦٨. وهو تلميذ الزمخشري.

٢. تهذيب الأسماء واللغات للحافظ النووي ج١/ ص٣٤٦.

عصمة عليّ عليه السلام

قد يستغرب البعض حينما يسمع بعصمة عليّ عليه السلام، ويقول إنّ العصمة لا تكون إلا للأنبياء.

والمعروف أنّ على المدّعي إقامة الدليل على دعواه وإلا صارت باطلة، ولذلك سنشرع بذكر بعض الأدلة العقليّة والنقليّة على عصمته عليه السلام.

الأدلة العقلية على وجوب كون الخليفة معصوماً:

- يجب كون خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله معصوماً عن الخطأ حتّى يكون قدوةً للناس في كلّ شيء، فلو لم يكن كذلك لجاز منه الخطأ، وقد يأمر رعيّته بذلك، كما قد يأمرهم بمعصية الله(ولو من غير قصد)، وهذا نقض الغرض الذي من أجله جعل الله لنا أئمّة نقتدي بهم للوصول إلى طاعة الله وبر الأمان.

ولو قال قائل: لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق.

قلنا: نعم، هذا صحيح في حال ما إذا عرفنا كلّ موارد العصيان. أي إذا علمنا دائماً بأنّ قيامنا بهذا الفعل مثلاً يُعَدُّ معصية للخالق، أو أنّ تركنا لفعل ما يُعدُّ كذلك. لكن هذا ما لا يمكن وقوعه خارجاً، إذ إنّه لا يمكننا دائماً معرفة أنّ هذا الإمام قد أخطأ، بالتالي يجب عصيانه ومخالفته، أو أنّه أصاب فتجب طاعته، وإلاّ لما احتجنا إلى الأنبياء والرسل والأئمة إلا إذا كنّا في نفس مستواه العلمي أو أعلى منه. وكلتا الحالتين باطلة لأنّه مادام الرعيّة والإمام في نفس المستوى العلمي يبطل كونه إماماً لهم وخليفة عليهم، ومثاله أنّ التلميذ لا يمكنه غالباً والحال هذه من معرفة ما إذا كان أستاذه قد

أخطأ أم لا، والسبب راجع إلى التفاوت العلمي الحاصل بينهما.

ـ يجب كونه معصوماً عن الخطأ حتّى يكون حجّةً على الخلق يوم القيامة، فلو لم يكن كذلك لجاز لنا الخطأ أيضاً، ثمّ حينما نُسأل يوم الحساب: لماذا أخطاتم؟ نقول وبكل بساطة: إنّ الإمام الذي أرسلته لنا قد أخطأ مثلنا، بالتالي إمّا أن لا نُحاسب أو أن يحاسب إمامُنا أيضاً، ولا أتصوّر عاقلاً يقول بأنّ الله تعالى سيحاسب رسله وأنبيائه. والإمام هو رسولٌ من الله لهداية البشر بعد النبي الأكرمﷺ، (فكلُّ من يُرسَل من السماء يُسمّى رسولا).

ـ يجب كونه معصوماً حتّى ترجع إليه الرعيّة في أمور دينها ودنياها، فلو لم يكن كذلك لوجب عليه هو الرجوع إليهم بالتالي بطل كونه خليفة وإماما لهم.

ـ يجب كونه معصوماً حتّى يحفظ دين الله وكتابه من التحريف والأباطيل، فلو لم يكن كذلك لجاز منه أن يحرّف القرآن أو يزيد في الدين ما ليس منه، ولو من غير قصد. وهذا نفي الغرض من إرسال الأئمة لهداية الناس.

الأدلّة النقليّة على عصمة الإمامعليه السلام

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[1].

فالله سبحانه نهانا عن المعصية، فلو لم يكن الإمام معصوماً لجاز أن يأمرنا بمعصية الله، بالتالي فلو أطعناه هنا نكون قد عصينا الله، حيث إنّه تعالى نهانا عن معصيته، ولو عصينا الإمام نكون أيضاً قد عصينا الله الذي أمرنا بطاعة الإمام(وليّ الأمر)، بالتالي وجب كونه معصوماً.

والمتّفق بين جميع المسلمين أنّه لم يكن أحدٌ من السلاطين الثلاثة الأوائل معصوماً ولا أحد من بني أميّة أو بني العباس. بالتالي لا يصحّ كون أحدهم وليّاً للأمر.

إذن فكلُّ من ثبت بالدليل أنّ النبيﷺ عيّنه إماماً ووليّاً على المسلمين وجب كونه معصوما. وسيأتي ذكر الدليل أن علياعليه السلام هو وليّ رسول اللهﷺ.

آية التطهير:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرا﴾[2].

الرِّجسُ لغةً يأتي بمعنى الحرام والخطأ والعذاب، تقول: أَتى رِجْساً: أي: أَتَى عَمَلاً

١. سورة النساء: ٥٩.
٢. سورة الأحزاب: ٣٣.

دَنِيئاً، قَذِراً، قَبيحاً. تقول: رَجُسَ فلانٌ: عمل عملاً قبيحًا. والرجس هو الإثم والذنب[1].

فإذا علمنا أنّ الرِّجس هو الحرام والعمل الدنيئ والقبيح والخطأ، فيلزم من هذا عصمة الشخص المجتنب لهذه الصفات، لأنّ كل المسلمين مبتلون بالوقوع في الخطأ والحرام وعمل القبيح سوى المعصوم الذي عصمه الله وطهّره من هذه الصفات القبيحة.

وهذا الجزء من الآية الكريمة فيه تصريح من الله تعالى على أنّه أذهب الرجس عن أهل البيت، بل وطهّرهم تطهيرا. ومن طهّره اللهُ وأذهب عنه الرّجس لا يمكنه الوقوع في الحرام أو فعل القبيح، بالتّالي وجب كونه معصوماً مطلقا.

ولا يختلف اثنان في أنّ عليّاً من أهل البيت، وهو مشمول في هذه الآية، بالتالي وجب كونه معصوماً.

أمّا الدليل على أن الإرادة هنا تكوينية لا تشريعية:

أوّلاً: الحصر، فإنّ كلمة(إنّما) تستعمل في اللغة للحصر، وهذا يعني أن الله تعالى حصر إرادته التكوينية في هؤلاء، فلا تكون الإرادة هنا تشريعية لأن الله يريد من جميع الناس أن يكونوا طاهرين مطهّرين، ولا تختص هذه الإرادة(التشريعية) بفئة دون أخرى. ومثالها أن الله تعالى يريد من الناس جميعاً أن يصلوا ويصوموا و....وليست إرادته هذه خاصّة بأهل البيت عليهم السلام. والإرادة التشريعية قد تتخلّف عن إرادة الله، بخلاف الإرادة التكوينية.

ثانياً: لو كانت الإرادة هنا تشريعية لقال تعالى مثلاً:»إنما يريد الله ليذهب عن الناس الرجس؟؟» أو «..عن المسلمين» لأن الله يريد من جميع الناس أن يكونوا طاهرين مطهَّرين.

لكنه تعالى خصّ أهل البيت فقط بهذه الإرادة، ولا يمكن أن يقول قائل إنه تعالى أراد فقط من هؤلاء أن يكونوا طاهرين مطهَّرين.

ولو قيل: من هم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيرا؟

قلنا: قد وردت أسماء أهل البيت صريحة في الصحاح وهاك بعضها:

أخرج مسلم في صحيحه بسنده إلى عائشة قالت:

«خرج النبي غداةً وعليه مرطٌ مرحّل من شعرٍ أسود، فجاء الحسنُ بن عليٍّ فأدخله، ثمّ جاء الحسينُ فدخل معه، ثمّ جاءت فاطمةُ فأدخلها، ثمّ جاء عليٌّ فأدخله، ثمّ قال: ﴿إنّما يريدُ اللهُ ليُذهِب عنكُم الرِّجسَ أهلَ البيت ويُطَهِّرَكُم تطهيراً﴾[2].

جاء في كتاب «درّ السحابة»:

عن أمّ سلمة قالت: نزلت هذه الآية وأنا جالسة على باب النبي: ﴿إنّما يريد اللهُ ليُذهبَ

---

١. فتح القدير للشوكاني ١/ ١١٦٧ وفتح الباري ١/ ١٢١.

٢. صحيح مسلم ج٧/ ص١٣٠.

عنكُم الرّجسَ أهلَ البيت ويُطهّركم تطهيرا﴾، وفي البيت رسول الله وعليٌّ وفاطمة والحسن والحسين، فجلّلهم بكساء وقال:»اللهمّ هؤلاء أهلُ بيتي، فَأَذْهِبْ عنهم الرّجسَ وطهّرهم تطهيرا». فقلت: يا رسول الله ألستُ من أهل البيت؟ قال:»إنّك إلى خير، أنتِ من أزواج النبي»[1].

أنظر إلى قول النّبيﷺ:»اللهمّ هؤلاء أهلُ بيتي»، فإنّ النّبي خصّ أهل البيت بهؤلاء الأربعة، ولم يقل: «هؤلاء من أهل بيتي»، والعارفون باللغة لا يخفى عليهم هذا الفرق.

و(إنّما) تفيد الحصر في اللغة، فهذا يعني أنّ أهل البيت في ذلك الوقت كانوا أربعة أشخاص(بالإضافة إلى النبيّ) لا أقلّ ولا أكثر.

جاء في مسند أحمد بن حنبل:

عن أنس بن مالك أنّ النّبي ’ كان يمرُّ ببيت فاطمة ستّة أشهر إذا خرج إلى الفجر فيقول: «الصلاةَ يا أهل البيت ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا﴾»[2].

والسؤال هنا: إذا كانت نساء النبيّ من أهل بيته، فلماذا لم يرِد حديث واحد في كتب القوم أن النبيﷺ مرّ يوما ما على أحد بيوت أزواجه وتلى هذه الآية؟.

ولماذا لم تدّع واحدةٌ من نساء النبيﷺ يوما أنها من أهل البيت؟

جاء في صحيح سنن الترمذي:

عن عمر بن أبي سلمة (ربيب النّبيﷺ)، قال: لمّا نزلت هذه الآية على النّبي صلّى الله عليه وسلم: ﴿إنّما يُريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ في بيت أمّ سلمة، فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً، فجلّلهم بكساء وعليٌّ خلف ظهره، فجلّله بكساء، ثمّ قال: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهِب عنهم الرّجس، وطهّرهم تطهيراً»، قالت أمّ سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: "أنتِ على مكانك وأنتِ إلى خير"[3].

ذكر الطحاوي[4] في كتابه" تحفة الأخيار" مايلي:

فدلّ ما روينا في هذه الآثار ممّا كان من رسول الله إلى أمّ سلمة ممّا ذكر فيها، لم يُرِد به أنّها كانت ممّن أُريد به ما في الآية المتلوّة في هذا الباب، وأنّ المرادين بما فيها هم رسول

١. درّ السحابة في مناقب القرابة والصحابة لمحمد بن علي الشوكاني.ص٢٦٦.

٢. مسند أحمد بن حنبل بتحقيق حمزة أحمد الزين ج١١/ ص٢٥٧، قال: إسناده حسن.

٣. صحيح سنن الترمذي ج٥/ ص٣٢٨، كتاب تفسير القرآن، دار الفكر، بيروت. قال الألباني: صحيح.

٤. أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي، تفقّه على المذهب الشافعي ثمّ تحوّل حنفيّاً. قال عنه الذهبي: كان الطحاوي ثبتاً فقيهاً عاقلا.

الله وعليٌّ وفاطمة وحسنٌ وحسينٌ عليهم السلام دون من سواهم[1].

وقال عنه السيوطي: الإمام العلامة الحافظ صاحب التصانيف البديعة.

فإذا كانت أمُّ سلمة ليست داخلةً في أهل البيت الذين نزلت فيهم آية التطهير مع أنّها كانت مطيعة لله ورسوله وقرّت في بيتها ولم تخرج لقتال أمير المؤمنين، فما بال غيرها من نساء النّبي صلى الله عليه وآله ؟

جاء في كتاب "إرشاد الفحول":

قيل بأنّ سياق الآية يفيد أنّها في نسائه صلى الله عليه وآله ، ويُجاب عن هذا: بأنّه ورَد الدليل الصحيح أنّها نزلت في عليٍّ وفاطمةَ والحسنَيْن. وقد أوضحنا الكلام في هذا في تفسيرنا الذي سمّيناه "فتح القدير"، فليُرجع إليه[2].

وخير دليل على أن نساء النبي صلى الله عليه وآله لسن من أهل البيت هو أن مسلم بن الحجاج النيسابوري لم يذكر في باب فضائل أهل البيت عليهم السلام إلا حديثا واحداً ألا وهو حديث الكساء الذي فيه فضل السيدة فاطمة الزهراء والإمام علي والحسن والحسين عليهم السلام .



ولو كانت نساء النبي صلى الله عليه وآله داخلات في أهل بيته لكان مسلم قد ذكر فضائلهنّ تحت هذا الباب، وهذا ما لم يكن.

ثم إنّه لو كانت النساء داخلات في أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله لصار كلام رسول الله متناقضا(وحاشاه).

إذ أن مسلم قد روى في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وآله قال:» أوصيكم الله في أهل بيتي أوصيكم الله في أهل بيتي أوصيكم الله في أهل بيتي».

والمعلوم أن عائشة خرجت في معركة الجمل تقاتل علياً عليه السلام الذي هو من أهل البيت حتما ويقيناً. فلو أنّا كنا حاضرين في تلك المعركة فلا يخلو أمرنا من إحدى حالات ثلاث:

الأولى: إما أن لا نشارك في الحرب أصلاً ونختار الحياد مثلما فعل سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وغيرهما، فهنا مشكلتان، الأولى هي عدم إطاعة خليفة المسلمين وولي أمرهم علي عليه السلام الذي أمر المسلمين بالمشاركة في هذه الحرب لقتال الناكثين، والله تعالى يقول في محكم كتابه الكريم: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾. أما المشكلة الثانية فهي عدم الإمتثال لوصية النبي صلى الله عليه وآله حينما أوصانا خيراً في أهل بيته، فكيف يترك المسلمُ أهلَ البيت (الإمام علي وعائشة على حسب الزعم) في المعركة ولا ينصرهم؟

الثانية: أن نكون في جيش الإمام علي عليه السلام ، وهنا نقع في محذور ألا وهو قتالنا لأهل

---

١. تحفة الأخيار بترتيب شرح مشكل الآثار. المجلّد الثامن. ص٤٧٦.

٢. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول لمحمد بن علي الشوكاني ج١/ ص٣٩٦.

البيت (عائشة على حسب الفرض) وهذا مخالف لوصية النبي الذي أوصانا خيرا بأهل بيته ولم يوصنا بقتالهم.

الثالثة: أن نكون في جيش عائشة ونحارب خليفة المسلمين علياً عليه السلام، وهنا الطامة الكبرى. فمن جهة نكون قد خالفنا كلام الله بوجوب طاعة ولي الأمر، ونكون قد خالفنا أيضاً وصية النبي حينما قال: "أوصيكم الله في أهل بيتي"، ونكون قد خرجنا من دائرة الإيمان إلى دائرة النفاق بقتالنا لعليّ عليه السلام الذي قال له النبي صلى الله عليه وآله: "أن لا يبغضك إلا منافق". فإن بغض علي عليه السلام كافٍ في صيرورة الإنسان منافقاً فما بالنا بقتاله وحربه؟ ومن الواضح أن الإنسان قد يبغض شخصاً ما لكن ليس بالضرورة أن يدفعه هذا البغض إلى قتاله وإلى انتقال هذه الحالة القلبية إلى الفعل الخارجي. أما قتال الشخص فيكون مسبوقا بالبغض قطعاً. وبالجملة نقول:

ليس كل بغض يؤدي إلى قتال. لكن كل قتال يكون مسبوقا ببغض.

إذاً فكل من قاتل علياً عليه السلام يكون قلبه قد امتلأ بغضا للإمام علي. والنبي صلى الله عليه وآله قال: يا علي لا يبغضك إلا منافق. فنسأل الله العافية وحسن الخاتمة.

هذا وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: "من حمل علينا سلاحاً فليس منا"[1].

فهاهي عائشة قد حملت السلاح في وجه علي عليه السلام الذي هو من النبي حيث قال لعلي عليه السلام: "أنت مني وأنا منك"[2].

فبما أنّ عليّاً عليه السلام من أهل البيت فإنّه معصوم بصريح هذه الآية.

وأمّا الأحاديث الصحيحة في عصمته عليه السلام فكثيرة لا يسع المجال هنا لذكرها كلّها لكنّنا سنتعرّض لبعضها والتي تدلّ صراحةً على عصمة الإمام عليٍّ عليه السلام.

***

١. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي من حمل علينا سلاحا فليس منا. وهو حديث متواتر.

٢. صحيح البخاري ج٥/ ص٢٢. وهو حديث متواتر.

من أطاع عليّاً فقد أطاعني

روى الحاكم في مستدركه:

أخبرنا أبو أحمد محمد بن محمد الشيباني من أصل كتابه، ثنا عليّ بن سعيد بن بشير الرازي بمصر، ثنا الحسن بن حماد الحضرمي، ثنا يحيى بن يعلى، ثنا بسام الصيرفي، عن الحسن بن عمرو الفقيمي، عن معاوية بن ثعلبة، عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع عليّاً فقد أطاعني، ومن عصى عليّاً فقد عصاني"[1].

لقد قرن النبي الأكرم ﷺ طاعة عليّ عليه السلام بطاعته، ومعصيته بمعصيته، وطاعة الرسول من طاعة الله ومعصيته من معصية الله، إذاً فمن أطاع عليّاً فقد أطاع الله، ومن عصى عليّاً فقد عصى الله، وبما أنّ طاعة عليّ عليه السلام مقرونة بطاعته عزّ وجلّ، فيلزم إذاً كون عليّ عليه السلام معصوماً من الخطأ والزلل، وهذه العصمة مطلقة لأنّ النبي لم يقيّد في المقام، فلم يقل: من أطاع عليّاً في أمور السياسة أو الحرب مثلاً فقد أطاع الله. بل أطلق في كلامه، وهذا ما يدلّ على أنّ طاعة عليّ عليه السلام من طاعة الله مطلقا.

ثمّ من هذا الشخص الذي إذا أطعناه نكون قد أطعنا الله، وإذا عصيناه نكون قد عصينا الله، إلاّ أن يكون هذا الشخص معصوماً؟

وإنّه لخير دليل على عصمة الإمام عليه السلام، ولا أتصوّر عاقلاً بعد هذا الحديث الصحيح ينكر عصمته سلام الله عليه، إلاّ من كان في قلبه مرض أو أعمى اللهُ بصره وبصيرته.

---

١. المستدرك على الصحيحين. ج٣/ ص٨٩. قال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي في التلخيص. وانظر أيضاً كنز العمّال للمتقي الهندي ج١١/ ص٦١٤.

الحق مع عليّ

قال ابن تيمية: إن حديث «عليّ مع الحق» لم يروه أحد عن النبي صلى الله عليه وسلم لا بإسناد صحيح ولا ضعيف..... ولو دار الحقّ مع عليّ حيثما دار لوجب أن يكون معصوما كالنبي صلى الله عليه وسلم.

فابن تيمية ينكر وجود هذا الحديث فضلا عن صحّته. ويقول: لو صحّ هذا الحديث لوجب كون عليّ عليه السلام معصوما كالنبي صلى الله عليه وآله. فهل صحّ هذا الحديث حتى يمكننا ادّعاء العصمة لأمير المؤمنين عليه السلام؟

عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت: لمّا سار عليّ إلى البصرة دخل على أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم يودّعها فقالت: "سر في حفظ الله وفي كنفه، فوالله إنك لعلى الحق والحق معك، ولولا أني أكره أن أعصي الله ورسوله فإنه أمرنا صلى الله عليه وسلم أن نقرّ في بيوتنا لسرت معك، ولكن والله لأُرسلنّ معك من هو أفضل عندي وأعزّ عليّ من نفسي إبني عمر"[1].

فهاهي أم المومنين أم سلمة رضي الله عنها تقسم بالله أن عليّا عليه السلام مع الحقّ وأنّ الحقّ معه. ولولا أنها سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله لما قالت ذلك. ثم نراها تقول بأنها لاتريد معصية الله ورسوله بالخروج من بيتها لأن الشارع نهاهنّ عن ذلك. ومنا هنا تبيّن أن المرأة التي خرجت لقتال أمير المؤمنين عليه السلام كانت عاصية لله ورسوله.

وفي مجمع الزوائد: عن أمّ سلمة رضي الله عنها أنّها كانت تقول:

---

١. المستدرك للحاكم ٣/ ١٢٩ قال: هذا حديثٌ صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

"كان عليٌّ على الحقّ، من اتّبعه اتّبع الحقّ، ومن تركه ترك الحقّ، عهدٌ معهود قبل يومه هذا"[١].

وجاء في مسند أبي يعلى:

أخرج أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي في مسنده قال:

حدثنا محمد بن عباد المكّي، حدثنا أبو سعيد، عن صدقة بن الربيع عن عمارة بن غزية، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد، عن أبيه قال: كنّا عند بيت النّبيّ صلى الله عليه وآله في نَفَرٍ من المهاجرين والأنصار فخرج علينا فقال: ألا أُخبرُكم بخيارِكم؟ قالوا: بلى. قال: "خِيارُكُم الموفُون المُطَيَّبون، إنّ الله يحبُّ الخَفِيَّ التَّقِيَّ، قال: ومرّ عليُّ بن أبي طالب، فقال: "الحقُّ مع ذا، الحقُّ مع ذا"[٢].

كذلك جاء هذا الحديث على إطلاقه خالياً من التقييد، فلم يَقل النبي صلى الله عليه وآله: الحقّ مع عليٍّ في كذا أو في كذا، وهذا يعني أنّ الحقّ مع عليٍّ مطلقا، أي في كلّ زمان ومكان، وهذا ما لا يخفى على شخص له أدنى معرفة بعلم الأصول، ثمّ إن كان شخصٌ ما مع الحقّ دائماً وأبداً فلا يمكن للباطل أن يأتيه، لا من بين يديه ولا من خلفه، لأنّ الحقّ لا يأتيه الباطل. بالتالي ثبت كون عليّ عليه السلام معصوماً عصمةً مطلقة، ولا يحتاج هذا الحديث زيادة شرح وتوضيح، وذلك لوضوحه وقطعيّة دلالته في عصمة الإمام عليه السلام. ومن هنا وبعدما ثبتت صحّة الحديث يتبيّن لنا اعتراف ابن تيمية بعصمة أمير المؤمنين عليه السلام ولو من حيث لا يشعر ولا يدري.

***



١. مجمع الزوائد ج٩/ ص١٣٤.

٢. مسند أبي يعلى الموصلي ج٢/ ص٣١٨ برقم: ١٠٥٢، وهذا الحديث أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٧/ ص٢٥٣ وقال: رواه أبو يعلى ورجاله ثقات. وأخرجه المتّقي الهندي في كنز العمال ج١١/ ص٣٦٧ برقم: ٣٣٠١٨. وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة ج٩/ ص٢٥٢ برقم: ٨٩٣١، و ابن عساكر في تاريخ دمشق ج٤٢/ ص٤٤٩.

عليٌّ مع القرآن والقرآن مع علي

روى الهيثمي في مجمع الزوائد بسنده عن أمّ سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "عليٌّ مع القرآن، والقرآنُ مع عليٍّ"[١].

وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي سعيد التيمي عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال:

كنت مع عليٍّ عليه السلام يوم الجمل[٢]، فلمّا رأيت عائشة واقفةً دخلني بعض ما يدخل الناس، فكشف اللهُ عنّي ذلك عند صلاة الظهر، فقاتلتُ مع أمير المؤمنين عليه السلام. فلمّا فرغ ذهبتُ إلى المدينة، فأتيتُ أمَّ سلمة فقلت: إنّي والله ما جئت أسأل طعاماً ولا شراباً، ولكنّي مولى لأبي ذرّ، فقالت: مرحباً، فقصصتُ عليها قصّتي، فقالت: أين كنتَ حين طارت القلوبُ مصائرَها؟ قلتُ:

إلى حيث كشف اللهُ ذلك عنّي عند زوال الشمس، قالت: أحسنت، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: "عليٌّ مع القرآن، والقرآنُ مع عليٍّ، لن يفترقا حتّى يردا على الحوض"[٣].

لا يختلف اثنان من المسلمين في عصمة القرآن، وأنّ الباطل لا يأتيه من بين يديه ولا

---

١. مجمع الزوائد ج٩/ ص١٣٤. والصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي ج١/ ص٣٦١. وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٤٤.

٢. سُمِّي كذلك لأنّ عائشة زوج النّبي ﷺ خرجت من دارها على جملٍ تريد قتال أمير المؤمنين وخليفة المسلمين عليٍّ عليه السلام. وقد اتجهت نحو البصرة بجيش جرّار، وانتهت المعركة بقتل الآلاف من أبنائها المؤمنين.

٣. المستدرك للحاكم ج٣/ ص١٢٤، قال الحاكم: هذا حديثٌ صحيح الإسناد، وأبو سعيد التيمي هو عقيصاء ثقة مأمون. ووافقه الذهبي. وانظر المعجم الأوسط للطبراني ج٥/ ص١٣٥.

من خلفه. قال تعالى: ﴿إنّا نحنُ نَزّلنا الذّكرَ وإنّا لهُ لَحافظون﴾[1].

وبما أنّ النّبيّﷺ قَرَن عليّاًعليه السلام بالقرآن، فوجب كون عليّعليه السلام معصوماً، وإلاّ لما صحّ أن يقرن النّبيُّ شخصاً غيرَ معصوم بشيئ معصوم، لأنّه من المتناقضات.

ثمّ لو فرضنا عدم عصمة عليّعليه السلام، لأمكنه بالتالي أن يأمرنا بشيء يخالف القرآن، فلو أطعناه نكون قد خالفنا القرآن، ولو عصيناه نكون قد خالفنا أمر النبيّ الذي أمرنا بطاعة عليٍّ وأنّ كلام عليّ كلامُ القرآن. وهذا هو التناقض. وحاشى النّبيﷺ أن يكون متناقضاً أو أن يأمرنا بذلك.

ودلالة هذا الحديث قطعيّةٌ وواضحةٌ أيضاً في كون عليّعليه السلام معصوماً، والسند صحيحٌ. والحمد لله ربّ العالمين.

وبعدما أثبتنا عصمة الإمام عليّعليه السلام، سننتقل إلى ذكر الأدلّة النقلية التي نصّت على إمامته عليه السلام، وأنّه الخليفة الشرعيّ بعد رسول اللهﷺ، وسنبدأ بحول الله بعرض الأدلة من القرآن ثم نعقبها بأدلّة السنّة الشريفة.

***

١. سورة الحجر: ٩.

إمامة عليٍّ عليه السلام في القرآن

لقد ذكر القرآن الكريم عدّة آيات تدلّ على الإمامة العامّة وأنّها جعل من الله وليست جعلاً بالشورى ولا باختيار الناس،كما أنّ هناك آيات دلّت على الإمامة الخاصّة، ونعني بها هنا إمامة عليّ عليه السلام. وسوف نبدأ بحثنا بذكر الإمامة العامّة ثمّ نعقبها بالإمامة الخاصّة والتي سنجمعها ونطرحها بطريقة منهجيّة توصلنا إلى نتيجة منطقية وعقلائية.

الإمامة العامة

قوله تعالى: ﴿وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّهُ بكلماتٍ فأتمّهُنّ قال إنّي جاعلُك للنّاس إماماً قال ومِن ذُرّيّتي قال لا يَنالُ عهدي الظالمين﴾[1].

يُستفاد من الآية الكريمة أنّ الإمامة مجعولة من قبل الله سبحانه وتعالى، لأنّ الآية قالت: ﴿إنّي جاعلُك﴾، كما قال تعالى أيضاً: ﴿ إنّي جاعلٌ في الأرض خليفةً﴾[2]. فالإمامة مجعولة من قبل الله سبحانه وتعالى وذلك كالنبوّة والرسالة، لأنّه تعالى قال في سورة الأنعام: ﴿ اللهُ أعلمُ حيثُ يجعل رسالتَه﴾[3]. وكما قلنا سابقاً من أنّ الإمام مرسولٌ من الله للناس حتّى يرجعوا إليه بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله.

إذن نجد أنّ القرآن الكريم قد استعمل نفس الإصطلاح في الآيتين الأولَيين ألا وهو الجعل.

---

١. سورة البقرة: ١٢٤.
٢. سورة البقرة: ٣٠.
٣. سورة الأنعام: ١٢٤.

وقد اتّفقت كلمة علماء المسلمين، بل كلمة جميع الأديان السماويّة أنّ النبوّة أمر مجعول من قبل الله، لا يمكن أن تُنال بالإنتخاب ولا بالشورى ولا بأهل الحلّ والعقد ولا بأن: مُدَّ يدَك حتّى أبايعك. وذلك لأنّ النبوّة أمر وعهد إلهيّ، ولذلك نجد أنّ القرآن الكريم قد استعمل نفس هذا الإصطلاح بالنسبة للإمامة الإبراهيمية.

إنّ الآية الكريمة: ﴿إِنّي جاعلُك للناس إماماً﴾ تدلّ على أنّ هذه الإمامة قد أُعطيت لإبراهيمعليه السلام بعد النبوّة والخِلّيّة، إذن فمن المحال أن تكون هذه الإمامة هي النبوّة، باعتبار أنها تحصيل للحاصل، فالإنسان الذي كان نبيّاً لا معنى لأن يقول له الله: سأجعلك نبيّاً، ولا معنى لكونه نبيّاً ثمّ يبتليه الله بمجموعة من الإبتلاءات حتّى يصبح نبيّاً. لأنّ الآية تقول: ﴿وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلماتٍ فأَتَمّهُنّ﴾، فهذه مجموعة من المراحل والإبتلاءات التي مرّ بها النبيّ إبراهيمعليه السلام حتّى صار إماماً. والقرآن الكريم في سورة الصافات يقول: ﴿إنّ هذا لَهُوَ البلاءُ المبين﴾[1] ذلك بعدما أمره بذبح ابنه إسماعيل وقد امتثل إبراهيمعليه السلام للأمر.

ثم إنّه لا يُعقل أن تكون هذه الإمامة بمعنى القدوة والأسوة، فَنبيٌّ كإبراهيم من أنبياء أولي العزم وشيخ الأنبياء وشيخ التوحيد، فهو قدوة للناس وقومِه بدون هذه الإبتلاءات، فالعالِم يكون قدوة، والوليُّ كذلك، فكيف بنبيٍّ من أنبياء الله العظام كإبراهيم الخليل الذي هو شيخ الموحِّدين ونبيٌّ من أنبياء أولي العزم،فكيف يُعقل أنه إلى آخر عمره لم يكن أسوة وقدوة للناس؟ إذن فهذا المعنى غير مراد.

فإذا علمنا أن المراد من الإمامة هنا ليس النبوّة ولا القدوة، إذن فهناك دور آخر وراء النبوّة والقدوة، وهذا الذي نعتقد أنّ القرآن الكريم أشار إليه وهو أن هناك مقاماً في القرآن إسمه مقام الإمامة، له أدوارٌ دينيّة وسياسيّة ومجموعة وظائف أكبر وأخطر من دَوْر النبوّة أشار إليها القرآن الكريم وذكرها كوظائف لمقام الإمامة.

ومن هنا صحّ القول إنّ مقام الإمامة أعظم من مقام النبوّة، لأنّ إبراهيم كان نبيّاً ثمّ أصبح خليلاً فإماماً.

والإمامة عهد الله تعالى، لأنّ إبراهيمعليه السلام قال: ﴿ومِن ذُرّيّتي﴾، فنرى أنّ إبراهيمعليه السلام طلب هذا الأمر لذرّيّته أيضاً، لكنّ الله لم يجبه بالنّفي مطلقاً بأن قال مثلاً: إنّ الإمامة لا تكون لذرّيّتك. بل جاء الخطاب الإلهي: ﴿لا ينالُ عهدي الظالمين﴾. فنفى اللهُ كونَ الإمام ظالماً. وهذا مستمرٌّ إلى يوم القيامة. وفي المقابل فإنّ غير الظالمين من ذرّيّتك ينالون هذا العهد.

وأمّا كون العهد هنا بمعنى الإمامة فقد اعترف بذلك جملة من كبار علماء أهل السنّة نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

قال الفخر الرازي في تفسيره: ﴿ومِن ذُرّيّتي﴾ طلبٌ للإمامة التي ذكرها الله تعالى، فوجب

---

١. سورة الصافات: ١٠٦.

أن يكون المراد بهذا العهد هو الإمامة لا النبوّة ليكون الجواب مطابقاً للسؤال، وإلاّ إذا قلنا إنّ ﴿عهدي﴾ هي النبوّة أو شيء آخر فلا يكون الجواب مطابقاً للسؤال لأنّ إبراهيم عليه السلام قال: ﴿ومن ذرّيتي﴾ يعني هذا الذي أعطيتنيه ووهبتنيه ومنحتنيه، أريد أن تعطيه لذرّيتي، فتصير الآية كأنّه قال: (لا ينال الإمامةَ الظالمون) فهذا تصريح بهذا المعنى[1].

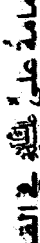
كذلك ما ذكره الطبري في تفسيره قال: واختلف أهل التأويل ... وقال آخرون: معنى العهد: عهدُ الإمامة فتأويل الآية على قولهم: (لا أجعل من كان من ذُرّيّتك ظالماً إماماً لعبادي يُقتدى به)[2].

وهذا ما ذكره أيضاً إبن كثير في تفسيره لهذه الآية المباركة حيث قال: عن مجاهد قال: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ قال: لا يكون لي إمامٌ ظالم[3].

إذن فقد تبيّن أنّ المقصود من العهد هنا هو الإمامة.بالتالي إذا كانت الإمامة عهداً بين الإمام وبين الله، هل يمكن أن تُنال بالإنتخاب والشورى وأهل الحل والعقد و..؟، أو أن يأتي رجلٌ ويعيّن ستّة أشخاص ويقول: إختاروا من بينكم أحداً يكون هو الإمام؟



فلا يمكن لعاقل بعد هذا أن يدّعي أنّ الإمامة باختيار الناس ومشاورة بعضهم البعض.



ومن هنا تبيّن لنا أنّ هذه الإمامة الإلهيّة لا تكون بالشورى ولا بالسقيفة ولا بأهل الحلّ والعقد ولا بغيرها، وليس للناس فيها اختيار وجعل.

والأمر الآخر المستفاد من هذه الآية المباركة هو أنّها تبيّن لنا أنّ الإمامة الإبراهيميّة لا تكون إلاّ معصومة، وهذا لم يتفرّد به أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام فقط، بل اعترف بذلك جملة من كبار مفسّري أهل السنّة.

ذكر الفخر الرازي في نفس الموضع من الآية ص٣٩يقول: أمّا الشيعة فيستدلّون بهذه الآية على صحّة قولهم، (يعني أنّ الإمامة لابدّ أن تكون معصومة)، في وجوب العصمة ظاهراً وباطناً وأمّا نحن (يقصد غير الشيعة) فنقول: مُقتضى الآية ذلك، (يقول نعم ظاهر الآية أنّ الحقّ مع الشيعة)، إلاّ أنّا تركنا اعتبار الباطن فتبقى العدالة الظاهرة معتبرة.

والسؤال هنا: لماذا ترك اعتبار العدالة والعصمة الباطنية مع اعترافه بدلالة الآية على ذلك؟

---

١. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للفخر الرازي ج٤/ ص٣٩.

٢. جامع البيان ج٢/ ص ٥١١. تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، و الطبري متوفّى سنة ٣١٠ هجري.

٣. تفسير ابن كثير ج٣/ ص٢٠، في ذيل هذه الآية المباركة.

الجواب: لأنّه لا دليل لديه، فتكون دعواه مصادرةً دعوى بدون دليل، لأنّ ظاهر الآية يقول بأنّه لابدّ أن يكون ظاهراً وباطناً معصوماً. ظاهراً وباطناً غير ظالم. ولذا نراه في موضع آخر يصرّح بهذا، فيقول:"الآية تدلّ على عصمة الأنبياء من وجه"إذن، بغضّ النظر في أنّه يذكر الإمامة أحياناً وأحياناً النبوّة، ولكنّ المهم قوله واعترافه أنّ الآية تدلّ على وجوب عصمة الإمام. وهذا إقرار منه.

إذاً فقد تبيّن أنّ الإمامة الإبراهيميّة مجعولة ومنصوصة من قبل الله تعالى، وأنّها غير النبوّة، فإذا كان المراد من الإمام المعنى اللغوي، يعني من يؤتمّ به مطلقاً كما قال الفخر الرازي، نعم نحن نقبل هذا المعنى أي الذي يؤتمّ به في الدين وفي السياسة، وبعبارة أخرى: تجب الطاعة له، ويؤتمّ به تماماً كما أمرنا الله سبحانه وتعالى حينما قال: ﴿ولَكُم في رسول الله أُسوةٌ حسنة﴾. إذن نحن لسنا مخيّرين في أن نتّخذه أسوة وقدوة، بل يجب علينا ذلك.

والمعروف أنّ النبيّ وعليّاً' هما من ذريّة سيّدنا إبراهيمعليه السلام التي طلب لها الإمامة، وذرّيّته باقيةٌ ومستمرّة إلى قيام الساعة، كلّ ما في الأمر أنّ الظالمين من هذه الذرّيّة (ذرّيّة إبراهيم) لا ينالون الإمامة لأنّ الله تعالى قد منعها عن الظالمين، وقد أثبتنا سابقاً عصمة الإمام عليّعليه السلام من القرآن والسنة، فبالتالي صحّ كونه إماماً.

وإن قيل: ما علاقة هذا البحث (الإمامة الإبراهيميّة) بإمامة عليّعليه السلام؟

نقول: كلّما تحقّقت هذه الإمامة وهذه المواصفات في شخص أو أشخاص آخرين صحّ أن تأخذ نفس مواصفات وأحكام الإمامة الإبراهيميّة. فهذه الأخيرة (الإمامة الإبراهيمية) يجب كونها معصومة كما يجب شرعاً الإئتمام بها مطلقاً في أمور السياسة والدين والأخلاق والأفعال وغيرها. وتلك أيضاً.

ومن هنا نستطيع الإستدلال بهذه الآية الكريمة على وجوب كون الإمام معصوماً، فلا ينال الإمامة ظالمٌ، حتّى لو كان ظالماً لنفسه ولو لمرة واحدة. وبالتالي فلا يصحّ أن يكون أبو بكر خليفة أو إماما، وكذلك عمر وعثمان بن عفان. فلم يكن أحدٌ منهم معصوماً.

هذا مجمل ما يقال في الإمامة العامّة، والآن ننتقل إلى الإمامة الخاصّة.

الإمامة الخاصّة

وسنقوم هنا أوّلاً بطرح بعض الآيات الدالّة على الإمامة الخاصّة، ثمّ نبيّن وجه الإستدلال بها.

١. قوله تعالى:{ يا أيُها الرسولُ بَلّغ ما أُنزِل إليكَ مِن ربّكَ وإنْ لمْ تَفعلْ فَما بلَّغتَ رسالتَه}[1].

١. سورة المائدة: ٦٧.

ومن الواضح أنّ هذا الأمر الذي كُلِّف النبيُّ ﷺ بإبلاغه الناسَ ليس أمراً من فروع الدين، لأنّه لا يوجد شيء من فروع الدين يمكن أن يعادل الرسالة المحمّديّة، فالرسالة تتضمّن التوحيد والنبوّة والقرآن... الخ.

والدليل على ذلك هو تهديد الله لنبينا الأكرم أنّه إن لم يبلّغ هذا الأمر فكأنّما لم يبلّغ شيئاً، بالتالي راح عملُه وتبليغه مدّة ثلاثٍ وعشرين سنةً أدراج الرياح، ومن هنا نستكشف أهميّة وعظمة ما قد أُمر به نبيُّنا في هذه الآية الكريمة.

فما هو يا ترى هذا الأمر الذي عادل الرسالة وجعل اللهَ يتكلّم مع نبيّنا الأكرم ﷺ بهذه الطريقة الخاصة؟.

٢. قوله تعالى: ﴿إنّما وليّكُم اللهُ ورسولُه والذين آمنوا الذين يُقيمون الصلاةَ ويُؤتون الزكاةَ وهُم راكعون﴾[1].

إذن نفهم أنّ ما كان الرسول مأموراً به هو جعل وليٍّ وخليفةٍ من بعده حتّى يرجع إليه المسلمون في أمور دينهم ودنياهم، تماماً كما كانوا يرجعون إلى رسول الله ﷺ فترة حياته.

فإذا علمنا أنّ الله قد عيّن لنا من تجب علينا ولايتُهم والرجوع إليهم، يأتي الخطاب الإلهي بوجوب الطاعة لهؤلاء الأولياء، كما في الآية التالية:

٣. قوله تعالى: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسولَ وأولي الأمر منكُم﴾[2].

فإذا استجابت الأُمّةُ لخطاب المولى وأطاعت الله ورسوله وأولي الأمر، جاءت الآية بإكمال الدين والرضى بهذا الإسلام.

٤. قوله تعالى: ﴿اليوم أكملتُ لكُم دينَكُم وأَتمَمْتُ عليكُم نعمتي ورضيتُ لكُم الإسلامَ دينا﴾[3].

وبهذا يتحقّق الرضى الإلهي بهذا الدين المحمّدي، وهذا الرضى لا يتحقّق إلا بطاعة الله ورسوله وأولي الأمر، أمّا غير هذا فهو غير مرضيٍّ عند الله تعالى.

فمَن لم يرضَ بهذا الإسلام وهذا الجعل الإلهي فلن يقبل اللهُ عمله ويكون من الخاسرين يوم يقوم الحساب، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة:

٥. قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبتَغِ غيرَ الإسلامِ ديناً فلَن يُقبَلَ منهُ وهُو في الآخرة مِن الخاسرين﴾[4].

ومن هنا سنشرع بالخوض في هذه الآيات والوقوف عند كلّ آية منها ليتسنّى لنا معرفة من هؤلاء الذين عيّنهم الشارعُ ليكونوا أئمة الهدى وخلفاء النبيّ من بعده.

---

١. سورة المائدة: ٥٥.

٢. سورة النساء: ٥٩.

٣. سورة النساء: ٣.

٤. سورة آل عمران: ٨٥.

أوّلاً: ﴿يا أيُّها الرسولُ بَلِّغ ما أُنزِل إليكَ من ربِّكَ وإن لم تَفعَل فما بَلَّغتَ رسالتَه﴾.

قد بيّنّا سابقاً أهميّة وعظمة هذا الأمر الذي وجب على الرسول تبليغه، وإن لم يبلّغه فكأنّما لم يُبلّغ شيئاً من الرسالة.

ومن الواضح أنّ الأحكام الفقهيّة لا يمكن أن تعادل الرسالة المحمديّة لأنّ هذه الأخيرة تتضمّن أمور التوحيد والنبوّة والمعاد إلى غير ذلك من أصول الدين وأركانه، كما لا يمكن للباري عزّ وجلّ تهديد نبيّنا الأكرم في هذا الخطاب: ﴿وإنْ لَم تفعل فما بلّغت رسالته﴾ بسبب عدم إبلاغه أمراً فرعيّاً أو حكماً فقهيّاً، وهو الذي جاهد بنفسه من أجل إقامة هذا الدين، وبلّغ رسالة ربّه، وتحمّل في ذلك أشدّ أنواع البلاء والمصائب والمشقّات في سبيل نشر هذه الرسالة طيلة ثلاثٍ وعشرين سنةً.

ثمّ إنّ النبيّ ﷺ كان قد بيّن للناس أحكام دينهم وعلّمهم الصلاة بأجزاءها والصوم بتفاصيله والزّكاة وكم يخرج منها والحجّ والجهاد في سبيل الله و..

فهل يمكن بعد هذا كلّه أن يُحبط اللهُ كلَّ أعمال نبيّنا ﷺ طيلة هذه الفترة بسبب عدم إبلاغه أمراً فقهيا؟

أمّا قوله تعالى: ﴿واللهُ يعصمُكَ من الناس﴾ فواضحٌ في أنّ إبلاغ هذا الأمر كان فيه خوف من جانب نبيّنا الأكرم في عدم قبول الأمّة له، وهذا ما حصل تماماً حينما ادّعى بعض الصحابة أنّ هذا الأمر هو من عند الرسول ﷺ لا من عند الله عزّ وجلّ، وهذا إن دلّ على شيئ فإنّما يدلّ على عظمة هذا الأمر وأهميّته، وفي نفس الوقت خطورته على أصحاب القلوب المريضة والنفوس الضعيفة التي لطالما شكّت في أصل نبوّة سيّد الخلق وكانت دائمة الإعتراض عليه خاصّة إذا تعلّق الأمر بالجانب السُلطوي والحكم السياسي من بعده.

ولو علمنا سبب نزول هذه الآية وظرفها لفهمنا المقصود منها، وأنّ الله أمر نبيّه بجعل خليفة ووليّ أمرٍ يرجع إليه الناس من بعده، وهذه بعض أقوال علماء أهل السنّة الشاهدة على ذلك.

أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية: ﴿يا أيُّها الرسولُ بلّغ ما أُنزلَ إليكَ مِن ربّك﴾ على رسول الله ﷺ يومَ غدير خُم، في عليّ بن أبي طالب.

وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: كنّا نقرأ على عهد رسول الله:

«يا أيّها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك أنّ عليّاً مولى المؤمنين وإن لم تفعل فما

بلّغتَ رسالتَه واللهُ يَعصِمُك من الناس»[1].

وروى أيضاً:

عن ابن مسعود قال: كنّا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أنّ علياً مولى المؤمنين[2].

جاء في شواهد التنزيل بلفظ مختصر:

لمّا نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته واللهُ يعصمك من الناس﴾، قال: نزلت في عليّ عليه السلام، حيث أُمِرَ رسولُ الله ﷺ أن يبلّغ فيه، فأخذ ﷺ بيد عليّ عليه السلام فقال: «من كُنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه»[3].

جاء في أسباب النزول:

عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغ مَا أُنزِلَ إِليكَ مِن رَّبِّكَ﴾ يوم غدير خُم في عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه[4].






وذكر الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآية: ﴿يا أيُّها الرسولُ بلّغ ما أُنزل إليكَ مِن ربّك﴾، قال: الوجه العاشر: نزلت الآية في فضل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ولمّا نزلت هذه الآية أخذ رسولُ الله بيد عليٍّ وقال:»من كُنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه». فلقيه عمر(رضي الله عنه) فقال:»هنيئاً لك يابن أبي طالب، أصبحتَ مولايَ ومولى كلّ مؤمنٍ ومؤمنة». وهو قول ابن عباس والبرّاء بن عازب ومحمد بن عليّ[5].

فإذن تبيّن لنا ماهو هذا الأمر الذي كلّف الله نبيّنا بإبلاغه. ألا وهو الإبلاغ بولاية عليّ عليه السلام وجعله خليفة رسول الله من بعده.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

لا يخفى على العارف باللغة أنّ كلمة (إنّما) تفيد الحصر والإختصاص، فقد خصّ الله تعالى في هذه الآية من تجب علينا ولايتهم، وهو الله ورسوله والذين آمنوا، لكن هل علينا

---

١. الدرّ المنثور للسيوطي ج٢/ ص٢٩٨.

٢. الدرّ المنثور للسيوطي ج٥/ ص٣٨٣.

٣. شواهد التنزيل للحسكاني، المجلّد الأوّل ص ٢٥٤.

٤. أسباب النزول لأبي الحسن عليّ بن أحمد الواحدي النيسابوري. عالم الكتب بيروت. ص ١٥٠. وانظر تفسير ابن أبي حاتم، المجلد الأول، ص١١٧٢.

٥. تفسير الفخر الرازي ج١٢/ ص٥٣. وانظر كتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج٢/ ص٧٥٥. وانظر تفسير الثعلبي ج٤/ ص٩٢.

أن نوالي جميع المؤمنين؟

الجواب: كلاّ، وذلك لسببين:

الأوّل: بما أنّ كلمة (إنّما) تفيد الحصر والإختصاص، فلا يمكن أن تعمّ جميع المؤمنين، لأنّها تؤدي بالتّالي إلى نفي الغرض من هذا الإختصاص، بل الحقّ في وجوب كونها خاصةً بشخص أو أشخاص معيّنين.

الثاني: حتّى لا يشتبه الأمر علينا، فقد بيّن الله لنا صفات هؤلاء الذين تجب علينا ولايتهم، فقال: ﴿الذين يقيمون الصلاةَ ويُؤتون الزّكاةَ وهُم راكعون﴾.

وهذه الجملة: (وهم راكعون) واقعة في محلّ نصب حال للذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزّكاة، أي أنّ هذا الوليّ قد أعطى زكاةً في حال ركوعه وهو في الصلاة.

وكما ذكرنا سابقاً أنّ لكلمة الوليّ معانٍ كثيرةً، لكن لا يستقيم معنى هذه الآية الكريمة إلاّ إذا كان الوليّ هنا بمعنى الرئيس والحاكم.

فلو قال قائل: لِم لا يكون معناها هنا: المحبّة والنصرة؟

قلنا:

أولاً: لو كانت هنا بمعنى النصرة لاكتفى الله بقوله: ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾، ولم يقل: ﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزّكاة وهُم راكعون﴾ لأنّه من المعلوم أنّ جميع المؤمنين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة.

لكنّه تعالى بذكره هذا القيد ﴿وهم راكعون﴾ أراد بذلك تخصيص الوليّ في من أعطى الزّكاة حال ركوعه في الصلاة حتّى نزلت فيه هذه الآية الكريمة.

ثانياً: قال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضُهُم أَولياءُ بعض﴾، أي بعضهم أنصار بعض، فلو كان الوليّ في الآية الأولى أيضا بمعنى النصرة والمحبّة لوقع التناقض في كلام الله عزّوجل(وحاشى ذلك) لأنّه في الآية الأولى خصّ وحصر الوليّ فقط في الذين يعطون الزّكاة وهم راكعون، بينما في الآية الثانية قال: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾، فجاءت الولاية لعموم المؤمنين والمؤمنات، بالتالي لزم كون الوليّ في الآية الأولى فقط بمعنى الحاكم والرئيس والمتولّي شؤون الناس، وهم الموصوفون في الآية: ﴿يقيمون الصلاةَ ويُؤتون الزّكاة وهُم راكعون﴾[1].

ولو قيل: إنّ الآية الكريمة وردت بلفظ الجمع ولاسيّما في قوله تعالى: ﴿... والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاةَ ويؤتون الزّكاة وهم راكعون﴾، فكيف يكون المرادُ منها شخصاً واحداً؟.

قلنا:

أوّلاً: الآيات تفسّرها الروايات وهي مستفيضةٌ في أنّ الآية نزلت في عليٍّ عليه السلام.

١. سورة التوبة: ٧١.

ثانياً: التعبير بلفظ الجمع وإرادة المفرد في المعنى ورد كثيراً في القرآن الكريم، من قبيل قوله تعالى: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تتّخذوا عدوّي وعدوَّكم أولياءَ تُلقون إليهم بالمودّة.... إلى قوله تعالى: تسرّون إليهم بالمودّة﴾[1]، وقد صحّ أنّ المراد به حاطبُ بن أبي بلتعة في مُكاتبته قريشاً.

وأيضاً قوله تعالى: ﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة لَيُخرجَنَّ الأعزُّ منها الأذلّ﴾[2]، وقد صحّ أنّ القائل به عبد الله بن أبيّ بن سلول. وقوله تعالى: ﴿يسألونك ماذا ينفقون﴾[3]، والسائل عنه كان واحداً.

وأيضاً قوله تعالى: ﴿الذين يُنفقون أموالَهم باللّيل والنهار سرّاً وعلانيّةً﴾[4]، وقد ورد أنّ المُنفق كان عليّاًعليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿يقولون نخشى أن تُصيبنا دائرة﴾[5]، والقائل هو عبد الله بن أبيّ، على ما رُوي في سبب نزولها وتلقّوْهُ بالقبول.

ثالثاً: إنّ جُلّ الناقلين لأخبار نزول هذه الآية هم صحابة النبيّصلى الله عليه وآله والتابعون المتّصلون بهم زماناً، وهم من زمرة العرب العرباء الذين لم تفسد لغتُهم ولم تختلط ألسنتهم، ولو كان هذا النّحو من الإستعمال لا تبيحه اللغة ولا يعهده أهلها، لم تقبلْهُ طباعُهُم، ولكانوا أحقَّ بالإشكال والإعتراض عليه، ولم يؤثر من أحد منهم ذلك.

١٢٩



رابعاً: قال الزمخشريّ في تفسيره جواباً على الإشكال:

"فإن قلت: كيف صحّ أن يكون لعليٍّ رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة؟ قلت: جيء به على لفظ الجمع وإن كان السببُ فيه رجلاً واحداً ليُرَغِبَّ الناسَ في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه، وليُنبّه على أنّ سجيّة المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البرّ والإحسان وتفقّد الفقراء، حتّى إن لزمهم أمرٌ لا يقبل التأخير وهم في الصلاة لم يؤخّروه إلى الفراغ منها"[6].

فإن قيل: إنّ التصدّق بالخاتم لا يُسمّى زكاة.

قلنا: إنّ تعيّن لفظ الزّكاة في معناها المصطلح إنّما تحقّق بعد نزول القرآن بوجوبها وتشريعها في الدين، وأمّا المعنى اللغوي فهو أعمّ، ويعني إنفاق المال لوجه الله لاسيّما حين تقابل الصلاة، (الزّكاة لغةً هي الطهارة)، كما يظهر ممّا وقع فيما حكاه الله عن الأنبياء السالفين. وهذه بعض أمثلتها:

---

١. الممتحنة: ١.

٢. سورة المنافقون: ٨.

٣. سورة البقرة: ٢١٥.

٤. سورة البقرة: ٢٧٤.

٥. سورة المائدة: ٥٢.

٦. الكشّاف للزمخشريّ ج١/ ص٦٢٣.

قوله تعالى في إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام: ﴿وأَوحَيْنا إليهم فِعلَ الخيراتِ وإقامَ الصلاةِ وإيتاءَ الزَّكاة﴾[1].

وقوله تعالى في سيّدنا إسماعيل عليه السلام: ﴿وكان يَأمرُ أهلَه بالصلاة والزَّكاة وكان عِندَ ربِّه مرضيّا﴾[2].

وقوله تعالى حكايةً عن عيسى عليه السلام في المهد: ﴿وأوصاني بالصلاة والزّكاة ما دُمْتُ حيّا﴾[3]. ومن المعلوم أنّ الزّكاة الماليّة في مصطلح الإسلام لم تكن في شريعة عيسى عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿قد أفلح من تَزكّى وذكر اسمَ ربّه فَصلّى﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿الذي يُؤتي مالَهُ يَتزكّى﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿الذين لا يُؤتون الزَّكاةَ وهُم بالآخرة هُم كافرون﴾[6].

وقوله تعالى: ﴿والذين هُم للزَّكاة فاعلون﴾[7].

وغير ذلك من الآيات الواقعة في السور المكّيّة وخاصة السور النازلة في أوائل البعثة كسورة حم السجدة وغيرها، ولم تكن قد شُرّعت الزّكاة المصطلحة بعد، فما فهمه المسلمون من هذه الآيات في لفظ الزكاة؟.

وقوله تعالى: ﴿خُذ من أموالهم صَدقةً تُطهّرُهُم وتُزكّيهم بها وصَلِّ عليهم إنّ صلاتَكَ سَكَنٌ لهُم﴾[8]. تدلّ على أنّ الزّكاة من أفراد الصدَقة، وإنّما سُمّيت زكاةً لكون الصدقة مُطهّرةً مُزكّيةً مطلقاً، وقد غلب استعمالها في الصدقة المصطلحة. فتبيّن من جميع ما قلناه أنّه لا مانع من تسمية مطلق الصدقة والإنفاق في سبيل الله زكاةً.

قال عماد الدين بن محمد الطبري في تفسيره للآية: ﴿إنّما وَليُّكُم اللهُ ورسولُه....﴾ الآية. فيدلّ على أنّ العمل القليل لا يُبطل الصلاة، فإنّ التصرّف بالخاتم في الركوع عملٌ جاء به في الصلاة، ولا يبطل الصلاة.

وقوله: ﴿ويُؤتون الزّكاة وهُم راكعون﴾، يدلّ أيضاً على أنّ صدقة التطوّع تُسمّى زكاةً، فإنّ علياً تصدّق بخاتمه تطوُّعاً في الركوع، وهو نظير قوله تعالى: ﴿وما آتستُم من زكاةٍ تريدون وجهَ الله فأولئك هُم المُضعِفُون﴾، وقد انتظم النفل والفرض، فصار اسم الزّكاة شاملاً للفرض

---

١. سورة الأنبياء: ٧٣.
٢. سورة مريم: ٥٥.
٣. سورة مريم: ٣١.
٤. سورة الأعلى: ١٥.
٥. سورة الليل: ١٨.
٦. حم السجدة: ٧.
٧. سورة المؤمنون: ٤.
٨. سورة التوبة: ١٠٣.

والنفل، كاسم الصدقة واسم الصلاة ينتظم الأمرين"[1].

فإن قالوا: يُحتمل أن تكون الواو في قوله تعالى: ﴿وهُم راكعون﴾ واواً عاطفةً لا واو الحال، وحينئذٍ يسقط الإستدلال بالآية، لأنّ الإستدلال بها يتوقّف على كون هذه الواو حاليّةً، فالذي أعطى الخاتم، أعطاه حال كونه راكعاً، وهو عليٌّ عليه السلام، أمّا لو كانت الواو عاطفةً يكون معنى الآية: ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزّكاة وهم راكعون﴾، أي: هم يركعون، بمعنى أنّهم يُؤتون الزّكاة ويصلّون ويركعون، ولا علاقة للآية المباركة بقضيّة تصدّق عليٍّ عليه السلام بالخاتم.

قلنا: إنّ هذا الإحتمال يزول بمجرّد نظرة سريعة إلى الروايات الواردة في قضيّة تصدّق الإمام عليه السلام بالخاتم، وهي صريحة في كون الواو هنا للحال. فهي تقول: "تَصدّق عليٌّ وهو راكع". كما أنّ الكثير من المفسرين قالوا إنّ الواو حاليّة، ومنهم الزمخشري صاحب تفسير الكشّاف، وهو تفسيرٌ لغويٌّ وبلاغيّ كما هو معروف.

وإنّ أيّ عربيّ منصف لمّا يقرأ الآية لوحدها وبغضّ النظر عن الروايات، يعلم أنّ الواو هنا للحال. أي أنّ عليّاً عليه السلام تصدّق حال كونه راكعاً. وهذا ما لا يُنكره أحدٌ من العرب الفصحاء، إلاّ من كان في قلبه مرضٌ أو كان حِقده على عليٍّ عليه السلام قد بلغ أَوْجَه.

ومثاله لو قلنا مثلاً: جاءَ زَيدٌ وهُو راكبٌ. فهل يَحتملُ العربيُّ معنىً غير أنّ زيداً جاء في حال الركوب؟

وهل ينكر أحدٌ أنّ الواو هنا للحال؟

فمالفرق إذاً بين هذه الجملة والآية الكريمة؟

والحمد لله الذي لم يجعل في قلوبنا غِلاً لأهل بيت رسول الله الطاهرين المُطَهّرين صلوات ربّي وسلامه عليهم أجمعين.

ولو قيل: يُفترض أن يكون عليٌّ عليه السلام في حال الصلاة منشغلاً بالله سبحانه وتعالى، منصرفاً عن هذا العالم، فكيف يسمع صوتَ السائل؟ وكيف يشير إليه ويومي بالتقدّم نحوه، ثمّ يرسل يدَه ليُخرج الخاتمَ من إصبعه؟

قلنا: لقد عُدَّت هذه القضيّة عند الله ورسوله وسائر المؤمنين من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، فلو كان لهذا الفعل أدنى إشكال لما عُدَّ مِن مناقبه سلام الله عليه.

ثمّ إنّ هذا الإلتفات لم يكن من أمير المؤمنين إلى أمر دنيويّ، وإنّما كانت عبادة في ضمن عبادة. فنَفسُ تصدّقه بالخاتم في الركوع يُعتبر عبادةً وتقرّباً إلى الله تعالى.

أضف إلى ذلك أنّ كثيراً من روايات السنّة ذكرت جواز الفعل اليسير في الصلاة وأنّه

١. أحكام القرآن للطبري الكيّاهرّاسي، دار الكتب العلمية بيروت، الجزء الثالث والرابع ص٨٤.

لا يبطلها. ومن بين هذه الروايات: "أنّ النبيّ ﷺ فتح الباب يوماً لعائشة وهو يصلّي"[1].

وعن أبي سعيد الخدري قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم... [2].

فإذا كان فتحُ الباب في الصلاة، وخلعُ النّعلين، ووضعهما جانباً في الصلاة جائزاً، فإنّ الأولى أن يكون التصدّقُ في الصلاة جائزاً وغير مُبطل لها، لأنّ التصدّقَ على كلّ حال هو نوع عبادة يتقرّب بها العبدُ إلى ربّه. بالإضافة إلى أن هذا الفعل لا يخرج الإنسان من هيئة الصلاة.

ولو قيل: لقد جاء لفظ (الوليّ) في عشرات الآيات، ولا علاقة له فيها بالإمامة أو الخلافة منها:

قوله تعالى حكايةً عن زكريا عليه السلام:{ فهب لي من لدنك وليّا}[3].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ الَّذي عَلَيهِ الحَقُّ سَفِيهًا أو ضَعِيفًا أو لاَ يستَطِيعُ أن يُمِلَّ هُو فَليُملِل وَلِيُّهُ بِالعَدل﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿ومَن قُتِلَ مَظلُومًا فقَد جَعَلنَا لِوَلِيِّهِ سُلطَانًا فَلاَ يُسرف فِي القَتلِ﴾[5].

فنقول: نحن لم نَدّعِ أنّ لفظ الولي ومشتقّاته لا يمكن أن تأتي بمعنى الناصر في بعض المواضع، كما أنّ معنى الولي الذي نقوله في الآية التي نستدلّ بها هو الذي يملك حقّ التصرّف أو ولاية التصرّف، وبطبيعة الحال فإنّ هذا التصرّف محدّد بنوع الولاية، فالولاية على الأمّة أو التصرّف بشؤونها أوسع من الولاية على القاصر والتصرف بشؤونه، وهكذا.

أمّا قوله تعالى عن زكريا: ﴿فهب لي من لدنك وليّا﴾، فنقول:

أوّلاً: في هذه الآية يطلب زكريّا عليه السلام من ربّه أن يهب له وليّاً بمعنى أن يكون له وليُّ عهد، تكون له ولاية التصرّف في ميراثه. ولا يقال هنا: هل هذا الوليّ إمامٌ على زكريّا؟، نقول: إنّه وإن كانت له ولاية التصرّف فهي مقيّدة بما بعد وفاة زكريّا.

وثانياً: لا يمكن أيضاً لقائل أن يقول إنّ الوليّ هنا بمعنى المحبّة والنصرة.

وما يدلّ على قولنا هو قوله تعالى حكايةً عن زكريّا عليه السلام: ﴿يرثُني ويرِثُ من آل يعقوبَ

١. سنن النسائي ج٣/ ص١١. وسنن الترمذي في حديث رقم [٦٠١] وحسّنه الألباني. وسنن أبي داود في حديث رقم [٩٢٢].

٢. مستدرك الحاكم ج١/ ص٢٦٠ وابن حبان في صحيحه[٢١٨٥]. وانظر سنن أبي داود ج١/ ص٢٣١. والبيهقي ج٢/ ٤٣١، قال النووي في المجموع: حديث حسن رواه أبو داود بإسناد صحيح ج١/ ص٩٥.

٣. سورة مريم: ٥.

٤. سور البقرة: ٢٨٢.

٥. سورة الإسراء: ٣٣.

واجعلهُ ربِّ رَضِيًا﴾[1]، والوارث له حقّ التصرّف بالميراث بعد وفاة من يرثُه. وقوله تعالى: ﴿ويرث من آل يعقوب﴾ يدلّ على ميراث النبوّة.

وقوله تعالى في الآية ١٢ من نفس السورة: ﴿يا يحيى خُذ الكتابَ بقُوّة وآتيناهُ الحُكمَ صَبيّا﴾ يدلّ على ولاية الحكم والتصرّف، ولكن بعد وفاة زكريّا لأنّه وارثٌ له.

أمّا الآية الكريمة: ﴿فَإن كانَ الذي علَيهِ الحقُّ سَفِيهًا أو ضَعيفًا أو لا يَستَطِيعُ أن يُمِلَّ هو فليُملِل وَلِيُّهُ بالعَدلِ﴾ فهنا أيضاً الوليّ بمعنى المتصرّف لا بمعنى الناصر، لأنّ الولاية تكون على السفيه والضعيف والذي لا يستطيع أن يملّ، أي المغلوب على عقله كما قيل، فهذا يُحجر عليه، ووليّه إذن هو من يملك حقَّ التصرّف في شؤونه.

وقد ذكر أكثر علماء أهل السنّة نزول هذه الآية في عليّ عليه السلام، وإليك بعض من ذكر ذلك.

روى الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل:

عن ابن عباس: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صلّى يوماً بأصحابه صلاة الظهر وانصرف هو وأصحابه فلم يبق في المسجد غير عليٍّ قائماً يصلّي بين الظهر والعصر، إذ دخل المسجدَ فقيرٌ من فقراء المسلمين، فلم يرَ في المسجد أحداً خلا عليّاً، فأقبل نحوه فقال: يا وليَّ الله بالذي تُصلّي له أن تتصدّق عليَّ بما أمكنك، وله خاتم عقيق يمانيّ أحمر كان يلبسه في الصلاة في يمينه، فمدّ يده فوضعها على ظهره وأشار إلى السائل بنزعه، فنزعه ودعا له، ومضى، وهبط جبرئيل، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السلام: لقد باهى اللهُ بك ملائكتَه اليوم، إقرأ: ﴿إنّمَا وَليُّكم اللهُ وَرَسولُه﴾[2].

وقال الزمخشريّ في تفسيره:

﴿وَهم رَاكعونَ﴾ الواو فيه للحال، أي يعملون ذلك في حال الركوع، وهو الخشوع والإخبات والتواضع لله إذا صلّوا وإذا زكّوا. وقيل هو حال من: ﴿يُؤتون الزّكاة﴾ بمعنى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة، وأنّها نزلت في عليٍّ كرّم اللهُ وجهه حين سأله سائلٌ وهو راكعٌ في صلاته فطرح له خاتمَه كأنّه كان مَرجاً في خنصره[3].

وذكر البغوي في تفسيره نقلاً عن ابن عباس والسديّ أنّ قوله تعالى: ﴿وهُم رَاكعونَ﴾ أراد به عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه مرَّ به سائلٌ وهو راكع في المسجد فأعطاه خاتمَه[4].

---

١. سورة مريم: ٦.

٢. شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني النيسابوري ج١/ ص٢١٢ في سبب نزو ل آية: ﴿إنّما وَليكم الله....﴾. وانظر الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي ج٣/ ص ١٠٤ ـ١٠٦.

٣. تفسير الكشّاف للزمخشري ج١/ ص٦٨١ـ٦٨٣. وأيضاً ابن كثير في تفسيره ج٢/ ص٧٢.

٤. تفسير البغوي ج٢/ ص٤٧. وأيضاً السمعاني في تفسيره ج٢/ ص٤٧.

وهذا ما رواه الطبري في تفسيره في أوّل آرائه في تأويل الآية، ومن عادته تقديم الرأي الراجح. فقال:

وأمّا قوله: ﴿إِنَّما وَلِيُّكم اللهُ وَرَسولُه والذينَ آمَنوا الَّذينَ يقيمونَ الصَّلاةَ ويُؤتونَ الزَّكاةَ وهم رَاكعونَ﴾.

فإنّ أهل التأويل اختلفوا في المعنى به فقال بعضهم عُنِيَ به عليُّ بن أبي طالب، وقال بعضُهُم عُني به جميعُ المؤمنين. ثمّ قال: عن السديّ وعن عتبة بن أبي حكيم وعن مجاهد أنّها نزلت في عليّ[1] عليه السلام.

وقد اعترف جملة من المفسّرين بنزول هذه الآية في أمير المؤمنين عليه السلام (وهم راكعون): والآية عند معظم المحدّثين نزلت في عليٍّ كرّم الله تعالى وجهه[2].

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن عساكر، عن سلمة بن كهيل قال: تصدّق عليٌّ عليه السلام بخاتمه وهو راكع، فنزلت: ﴿إنّما وليُّكم اللهُ...﴾الآية[3].

وروى المحبّ الطبري:

عن عبد الله بن سلام قال: أُذِّنَ لصلاة الظهر، فقام الناس يصلّون، فمن بين راكعٍ وساجد، وسائل يسأل، فأعطاه عليٌّ عليه السلام خاتمَه، وهو راكع، فأخبر السائلُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله، فقرأ علينا رسولُ الله صلى الله عليه وآله: ﴿إنّما وليُّكم اللهُ ورسولُه والذين آمنوا الذين يُقيمون الصلاةَ ويُؤتون الزّكاةَ وهُم راكعُون﴾[4].

وجاء في كنز العمال:

عن ابن عباس قال: تصدّقَ عليٌّ عليه السلام بخاتمه، وهو راكع، فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم للسائل: من أعطاك هذا الخاتم؟ قال: ذلك الراكع، فأنزل الله فيه: ﴿إنّما وَليُّكُم اللهُ ورسولُه والذين آمنوا﴾الآية. قال: وكان في خاتمه مكتوباً (سبحان من فخري بأنّي له عبد)، ثمّ كتب في خاتمه بعد: (المُلكُ لَه). قال: أخرجه الخطيب في المتّفق. ورواه الهيثمي في مجمعه[5].

روى السيوطي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «﴿إنّما وليُّكُم اللهُ ورسولُه والذين آمنوا الذين يُقيمون الصلاةَ ويُؤتون الزّكاةَ وهُم راكعون﴾، الحمد لله الذي أتمَّ لعليٍّ نِعمَه، وهنيئاً لعليٍّ بفضل الله إيّاه»[6].

---

١. تفسير الطبري ج٦/ ص٢٨٨. وانظر جامع البيان ج١٠/ ص٤٢٠. والجامع لأحكام القرآن ج٣/ ص٢٢١٧. وروح المعاني ج٢/ ص٣٢٦.

٢. الجصّاص في أحكام القرآن ج٤/ ص١٠٢.

٣. تفسير الثعلبي٤/ ٨١.

٤. الرياض النضرة ج٢/ ص٣٠٢.

٥. كنز العمال ج٦/ ص٣١٩. وانظر مجمع الزوائد ج٧/ ص١٧.

٦. الدرّ المنثور في التأثير بالمأثور ج٥/ ص٣٦٢. وانظر أيضاً تفسير الكشّاف ج١/ ص٦٢٤. والتدوين في

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾.

جاء الخطاب الإلهيّ في هذه الآية بوجوب طاعة الله والرسول وأولي الأمر مطلقاً أي في كلّ شيء . و(أولي الأمر) هنا معطوفة على (الرسول) لذلك تجب طاعتهم مُطلقا أيضاً، وهذا خلاف ما ذهب إليه البعض من أنّ طاعة الرسول وأولي الأمر لا تكون إلاّ في العبادات وأمور التبليغ.

فالله سبحانه وتعالى لم يقل لنا مثلاً: أطيعوا الرسول وأولي الأمر في كذا، وخالفوهم في كذا. بل أطلق في كلامه ولم يُقيّد، وهذا أوضح من الشمس في رابعة النهار.

فإذاً علينا بطاعة أولي الأمر في كلّ شيء لأنّ طاعتهم طاعة الله. ومعصيتهم معصية الله، ومن هنا وجب كونهم معصومين عصمةً مطلقةً، وإلاّ لوقع التناقض في كلام المولى عزّ وجلّ (وحاشى ذلك)، لأنّا لو فرضنا عدم عصمتهم لوقعنا في التناقض على كلا التقديرين، فلو أمرنا أولو الأمر بشيء يخالف الشريعة وأطعناهم، نكون بذلك قد عصينا الخالق عزّ وجلّ، ولو عصيناهم نكون قد خالفنا صريح قوله تعالى في وجوب طاعتهم.

فمن يا ترى هؤلاء المعصومون الذين وجبت علينا طاعتهم؟، أو على الأقلّ من هم هؤلاء الذين ادّعوا العصمة وثبتت لهم حتّى تنطبق عليهم هذه الآية الكريمة؟

من الواضح أنّه لم تنزل آية واحدة في عصمة أحدٍ من الصحابة (سوى أهل البيت(عليهم السلام))، ولا يوجد حديثٌ واحد في ذلك، بل العكس تماماً، فقد أثبتت الآيات والأحاديث وجود بعض المنافقين الذين كانوا من الصحابة، والتاريخ خير شاهد على هذا.

روى ابن أبي حاتم في تفسيره:

عن ابن عباس قال: ما في القرآن آية ﴿يا أيّها الذين آمنوا﴾ إلاّ أنّ عليّاً شريفُها وسيّدُها وأميرُها، وما من أصحاب محمّد(صلى الله عليه وآله) إلاّ قد عوتب في القرآن إلا عليّ بن أبي طالب، فإنّه لم يُعاتَب في شيءٍ منه»[1].

لكن وكما ذكرنا آنفاً فإنّ آية التطهير لوحدها كافية في إثبات العصمة لأهل البيت، وعليٌّ(عليه السلام) من أهل البيت بالتالي ثبتت عصمته بالقرآن والسنّة الشريفة، فيكون مصداقاً من مصاديق أولي الأمر الواجبة طاعتهم، بل هو المصداق الأوّل. خاصّة إذا ثبت عندنا أنّه خليفة المسلمين بالنصّ النبويّ فتكون طاعته واجبة على جميع المسلمين.

أخبار قزوين ج٣/ ص٢١٢. والمعجم الكبير للطبراني ج٧/ ص١٣٠. وربيع الأبرار ج٢/ ص١٤٧ وتفسير الطبري ج١/ ص٦٢٤. وتاريخ دمشق لابن عساكر ج٢/ ص٤٠٩. والكشف والبيان للثعلبي ج٤/ ص٨١.

١. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب المجلد الثامن ص٢٥٥١. وابن أبي حاتم توفيّ سنة ٣٢٧.

فهذه الآية إذن دليلٌ على إمامة عليّ عليه السلام، سابق أُمّتِه وأفضل أوصياءه.

جاء في فيض القدير:

أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه في قوله تعالى: ﴿والسابقون السابقون﴾. قال: يوشع بن نون سبق إلى موسى، ومؤمن آل يس سبق إلى عيسى، وعليُّ بن أبي طالب سبق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله. وأخرج ابن مردويه أيضاً قال: نزلت في حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجّار الذي ذُكر في يس، وعليّ بن أبي طالب، وكلُّ رجلٍ منهم سابقُ أمّته، وعليٌّ أفضلُهم سبقاً[1].

فإذا سلّم المسلمون لأمر الله في وجوب طاعة أولي الأمر وامتثلوا ذلك، يأتي الخطاب الإلهي بإتمام الدين وإكمال النعمة والرضى بهذا الإسلام المحمدي الأصيل.

رابعاً: قوله تعالى: ﴿اليوم أكملْتُ لكم دينَكم وأتممتُ عليكم نعمَتي ورضيتُ لكم الإسلامَ ديناً﴾.

المسّلَم عند جميع المسلمين أنّ هذه الآية لم تكن آخر آية نزلت في القرآن، فكيف يقول الله عزوجل أنّه أكمل لنا ديننَا وأتمَّ نعمتَه علينا؟

وماهو هذا الأمر المهمّ والضروري الذي اكتمل به دينُنا ورضي الله لنا هذا الإسلام؟ خاصّة وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان قد بلّغ الرسالة والأحكام الشرعيّة خلال مسيرته التبليغيّة؟

وماهو هذا الأمر الذي بدونه كان دينُنا ناقصاً ولم يكن هذا الإسلام مرضيّاً عند الله تعالى؟

من عادة الرؤساء والملوك أنهم إذا أرادوا الخروج من بلدهم أو مملكتهم، أن يُخلّفوا فيها من ينوب عنهم في تسيير أمورهم السياسيّة والدينيّة وغيرها، حتّى لا يبقى البلد خالياً من حاكم يحفظ أمن البلد فترةَ غياب الرئيس، وحتّى لا يختلّ أمر المملكة وتعمّ الفوضى البلاد. هذا حال من يغيب فترةً معيّنة ثمّ يرجع لبلده. وهذا حال عامّة البشر والعقلاء، فكيف الحال بمن هو سيّد البشر وأعقلهم؟

فهل يمكن يا ترى لسيّد العقلاء أن يرحل من هذه الدنيا قبل تعيين خليفة له، يرجع إليه الناس في شتّى أمورهم الدينيّة والدنيويّة كما كان حال المسلمين مع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في حياته؟

أوكان من الممكن عقلاً وشرعاً رحيلُ النبيّ الأكرم إلى جوار ربّه وتركه الأمّة بلا راع يحكمها ويحفظ أمنها واستقرارها؟

أوكان يعقل أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله الذي علّم أمّتَه أحكام الفقه وجزئياته وكيفية الإستنجاء والإستبراء وغيرها من الأمور البسيطة، أن لا يُبَيّن لهم خليفتَهم وإمامَهم من بعده؟

---

١. فيض القدير للمناوي الشافعي ج٥/ ص٢٠١.

أولم يكن النبيّ الأكرمﷺ يعلم أنّه إذا لم يعيّن للناس إمامَهم فسوف يؤدّي ذلك إلى وقوع الفتنة بين المسلمين، وبالتالي تعمّ الفوضى وتُسفك الدماء ويخرب وضع الأمّة بسبب التناحر والتنافس على السلطة والحكم؟

أوكانت حُجّة النبيّ علينا تامّةً في حال عدم تعيين وصيّه وخليفته من بعده؟

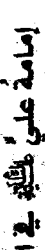
وكيف يُعقل ذلك وهو الذي كان لا يخرج من المدينة حتّى يُخلّف فيهم رجلاً ينوب عنه ويحمي المدينة فترةَ غيابه؟

وسنترك الإجابة على هذه الأسئلة للقارئ الكريم ذي الفطرة السليمة والعقليّة المُنصفة الباحثة عن الحقّ دائماً وأبداً.

وإليك أقوال بعض علماء أهل السنّة في سبب نزول هذه الآية الكريمة.

عن أبي سعيد الخدري قال: إنّ هذه الآية: {... اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دينَكُم وأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتِي ورَضِيتُ لَكُمُ الإِسلاَمَ دِينًا... } نزلت بعد أن قال رسولُ اللهﷺ لعليٍّ (كرّم الله وجهه) في غدير خم: «من كُنتُ مولاه فعليٌّ مولاه»، فلمّا نزلت، قال: «الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضاء الرّب برسالتي وولاية عليٍّ (كرّم الله وجهه) بعدي»[1].







عن أبي هريرة قال: من صام ثمانية عشر من ذي الحجّة كُتِب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خمّ لمّا أخذ النبيّﷺ بيد عليّ عليه السلام فقال:»ألَستُ وليَّ المؤمنين؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه»، فقال عمر بن الخطّاب: بَخٍ بَخٍ لك ياابن أبي طالب أصبَحتَ مولايَ ومولى كلّ مسلم، فأنزل الله: {... اليومَ أكملتُ لكُم دينَكُم}[2].

عن أبي سعيد الخدري قال: لمّا نصب رسول الله(صلّى الله عليه وآله علياً يوم غدير خم، فنادى له بالولاية، هبط جبريل عليه بهذه الآية: { اليومَ أكمَلتُ لكُم دينَكم}[3].

فهذا عمر بن الخطاب يبايع علياً عليه السلام ويُهنّئه على هذا المنصب الإلهي والإمامة الإسلامية.

نعم، إنّ الدين اكتمل والنعمة تمَّت بهذه البيعة والولاية، وما حدث بعد ذلك هو انقلاب على البيعة الشرعيّة والإمامة الإلهيّة، وخير دليل على ذلك هو ما قاله عمر بن الخطاب لابن عباس.

روى الطبري في تاريخه:

---

١. روح المعاني للآلوسي ج٤/ ص٩١.، طبعة دار الفكر بيروت. والآلوسي توفي ١٢٧٠ هجرية.

٢. تاريخ دمشق لابن عساكر: ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ج٢/ ص٧٨، طبعة دار الفكر بيروت. و انظر تاريخ بغداد ج٨/ ص٢٩٠. وتفسير ابن كثير ج٢/ ص١٥.

٣. الدرّ المنثور للسيوطي ج٣/ ص١٩. وانظر الإتقان في علوم القرآن ج١/ ص٥٤ طبعة دار إحياء العلوم بيروت.

عن ابن عباس قال: بينما عمر بن الخطّاب رضي الله عنه وبعض أصحابه يتذاكرون الشعر، فقال بعضهم: فلانٌ أشعر، وقال بعضهم: بل فلانٌ أشعر، قال: فأقبلتُ، فقال عمر: قد جاءكم أعلمُ الناس بها، فقال عمر: من شاعر الشعراء ياابن عباس؟ قال: فقلتُ: زُهير بن أبي سلمى، فقال عمر: من شاعر الشعراء ياابن عباس؟ قال: فقلت: زهير بن أبي سلمى، فقال عمر: هلمّ من شعره ما نستدلّ به على ما ذكرت، فقلت: إمتدح قوماً من بني عبد الله بن غطفان، فقال:

لوكان يقعد فوق الشمس من كرم ...قومٌ بأولّهم أومجدهم قعـدوا

قومٌ أبوهم سنانٌ حين تنسبُهُـم... طـابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا

إنسٌ إذا أمنـوا، جِنٌّ إذا فزعوا... مـرزّؤون بها ليـلٌ إذا حشدوا

محدّون على ما كان من نعـم... لا ينزع اللهُ منهم ماله حسـدوا

فقال عمر: أحسنت، وما أعلم أحداً أولى بهذا الشعر من هذا الحيّ من بني هاشم، لفضل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقرابتهم منه، فقلت: وفّقتَ يا أمير المؤمنين، ولم تزل موفّقاً، فقال: ياابن عباس، أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمّد؟ فكرهتُ أن أجيبه، فقلت: إن لم أكن أدري فأمير المؤمنين يُدريني، فقال عمر: كرهوا أن يَجمعوا لكُم النبوّةَ والخلافة، فتبجّحوا على قومكم بجحاً بجحاً، فاختارت قريشٌ لأنفسها فأصابت ووفّقت. فقلت: يا أمير المؤمنين، إن تأذن لي في الكلام، وتَمطّ عنّي الغضب تكلّمت. فقال: تكلّم يا ابن عباس.



فقلت: أمّا قولك يا أمير المؤمنين: إختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفّقت، فلو أنّ قريشاً اختارت لأنفسها حيث اختار الله عزّ وجلّ لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود.

وأمّا قولك: إنّهم كرهوا أن تكون لنا النبوّة والخلافة، فإنّ الله عزّ وجلّ وصف قوماً بالكراهية فقال: «ذلك بأنّهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم».

فقال عمر: هيهات والله يا ابن عباس، قد كانت تبلغني عنك أشياء كنت أكره أن أقرّك عنها، فتزيل منزلتك منّي؛ فقلت: وما هي يا أمير المؤمنين؟ فإن كانت حقّاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك، وإن كانت باطلاً فمثلي أماط الباطلَ عن نفسه.

فقال عمر: بلغني أنّك تقول: إنّما صرفوها عنّا حسداً وظلماً.

فقلت: أمّا قولك يا أمير المؤمنين ظُلماً، فقد تبيّنَ للجاهل والحليم، وأمّا قولك حسداً، فإنّ إبليس حسد آدم فنحن ولده المحسودون.

فقال عمر: هيهات، أبتْ والله قلوبُكم يا بني هاشم إلا حسداً ما يحول، وضَغناً وغشّاً ما يزول.

فقلتُ: مهلاً يا أمير المؤمنين لا تصف قلوبَ قومٍ أذهب اللهُ عنهم الرّجسَ وطهّرهُم

تطهيراً بالحسد والغشّ، فإنّ قلب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من قلوب بني هاشم.

فقال عمر: إليك عنّي ياابن عباس.

فقلت: أفعل. فلمّا ذهبت لأقوم، إستحيا منّي فقال: ياابن عباس مكانك، فوالله إنّي لراعٍ لحقّك محبّ لما سرّك.

فقلت: يا أمير المؤمنين إنّ لي عليك حقّاً وعلى كلّ مسلم، فمن حفظه فحظّه أصاب، ومن أضاعه فحظّه أخطأ، ثمّ قام فمضى[1].

أقول وهذا الكلام واضحٌ وصريحٌ بأنّ أصحاب السقيفة كانوا يعلمون مسبقاً بالنصّ على عليّ عليه السلام ولكنّهم يرون أنّ مصلحتهم في انتقاض العرب، وفي عدم اجتماع النبوّة والإمامة في أهل البيت عليهم السلام. وهذه المحاورة تكشف عن حقد دفين كان في صدور القوم الذين أبوا أن تجتمع النبوة والإمامة في أهل البيت عليهم السلام. وكأنّهم نسوا قوله تعالى: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يشَاءُ ويَخْتَارُ ما كان لهُمُ الخِيَرَةُ سُبحَانَ اللهِ وتعَالى عَمّا يُشرِكونَ﴾[3].



ولا ندري كيف يكره القومُ أمراً اختاره اللهُ ورسولُه، وقد قال في كتابه العزيز: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنهُ فَانتَهُوا﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرّسُولَ فَإِن تَوَلّيتُم فَإِنّمَا عَلَى رَسُولِنَا البَلاغُ المُبِينُ﴾[5].

وقال أيضاً: ﴿وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى اللهُ ورسولُه أمراً أن تكون لهم الخيرةُ من أمرهم ومَن يَعص اللهَ ورسولَه فقد ضلَّ ضَلالاً مُبينا﴾[6].



هكذا ثبت قرآنياً النصُّ على الإمام عليّ عليه السلام، وبه اكتمل ديننا وتمّت نعمة ربّنا ورضي اللهُ لنا هذا الإسلام ديناً.

لكن من لم يرض بهذا الدين وهذا الجعل الإلهي يأتي الخطاب الإلهي في القرآن الكريم ليقول له: ﴿ومَن يبتغِ غيرَ الإسلام ديناً فَلن يُقبلَ منهُ وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[7].

هذا بالإضافة إلى ورود آيات في الكتاب تنصّ أيضاً على عليّ عليه السلام منها:

١- قوله تعالى: ﴿وأَنذِر عشيرتَكَ الأَقربين﴾[8]، أوما يُعرف بحديث الدار.

---

١. تاريخ الطبري ج٢/ ص٥٧٨.

٢. سورة الأنعام: ١٢٤.

٣. سورة القصص: ٦٨.

٤. سورة الحشر: ٧.

٥. سورة التغابن: ٦.

٦. سورة الأحزاب: ٣٦.

٧. آل عمران: ٨٥.

٨. سورة الشعراء: ٢١٤.

حيث جاء فيه أنّ النبيّ ﷺ قال لقومه وعشيرته وهو آخذ برقبة عليّ عليه السلام: «هذا أخي ووصيّ وخليفتي فيكم».

ذكر البغوي في تفسيره حيث قال:

روى محمّد بن إسحاق عن عبد الغفّار بن القاسم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب عن عبد الله بن عباس عن عليّ بن أبي طالب قال: «لمّا نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ دعاني رسول الله ﷺ فقال: "يا عليّ إنّ الله يأمُرُني أن أُنذِر عشيرتي الأقربين فضِقتُ بذلك ذرعاً وعرفتُ أنّي متى أُباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمتّ عليها حتّى جاءني جبريل، فقال لي: يا محمّد إلاّ تفعل ما تُؤمَرْ يُعذّبك ربُّك، فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عساً من لبن، ثمّ اجمع لي بني عبد المطّلب حتّى أُبلّغهم ما أُمرت به». قال عليٌّ رضي الله عنه: ففعلتُ ما أمرني به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، ثمّ دعوتهم له، وهم يومئذٍ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامُه أبو طالب، وحمزة والعباس وأبو لهب، فلمّا اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعتُه، فجئتُ به، فلمّا وضعتُه تناول رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم جذبةً من اللّحم، فشقّها بأسنانه ثمّ ألقاها في نواحي الصحفة، ثمّ قال: «خذوا باسم الله» فأكلَ القومُ حتّى ما لهم بشيءٍ حاجة، وأيم الله إن كان الرجلُ الواحد منهم ليأكل مثلَ ما قدّمت لجميعهم، ثمّ قال: «إسق القوم»، فجئتُهُم بذلك العسّ، فشربوا حتّى رووا جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثلَه. فلمّا أراد رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يُكلّمهم بدرهُ أبو لهب فقال: سحركُم صاحبُكم، فتفرّق القومُ ولم يكلّمهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم. فقال: يا عليّ إنّ هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القوم فتفرّق القومُ قبل أن أُكلّمهم، فأعدّ لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثمّ اجمعهم، ففعلتُ ثمّ جمعتهُم فدعاني بالطعام فقرّبته، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا وشربوا ثمّ تكلّم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: «يا بني عبد المطلب إنّي قد جئتُكُم بخيري الدنيا والآخرة. وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيُّكم يؤازرني على أمري هذا؟ ويكون أخي ووصيّ وخليفتي فيكم». فأحجم القوم عنها جميعاً، فقلتُ: وأنا أحدثهم سنّاً أنا يا نبيّ الله أكون وزيرَك عليه. قال: فأخذ برقبتي ثمّ قال: «إنّ هذا أخي ووصيّ وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا»، فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لعليٍّ وتطيع[1].

١. تفسير البغوي، في تفسيره لسورة الشعراءص١٣٢. وتاريخ الطبري ج٢/ ص٣١٩.٣٢١. والكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري ج١/ ص٥٨٦.، دار الكتب العلمية، بيروت.

روى أحمد في مسنده:

حدّثنا شريك عن الأعمش عن المنهال عن عباد بن عبد الله الأسدي عن عليّ عليه السلام قال: لمّا نزلت هذه الآية ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ قال: جمع النبيُّ أهل بيته، فاجتمع ثلاثون، فأكلوا وشربوا، قال:فقال لهم: «من يضمن عنّي دَيني ومواعيدي ويكون معي في الجنّة ويكون خليفتي في أهلي؟» فقال رجلٌ لم يسمّه شريك: يا رسول الله، أنت كنتَ بحراً، من يقوم بهذا؟ قال: ثمّ قال الآخر، قال: فعرض ذلك على أهل بيته، فقال عليٌّ عليه السلام: أنا[1].

فكان هذا أوّل يوم عيّن فيه النبيُّ صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام خليفةً للمسلمين.

وبهذا يثبت كون عليٍّ عليه السلام خليفة رسول الله وأخاه ووصيّه.

٢- قوله تعالى: ﴿إنّما أنت مُنذِرٌ ولكُلّ قوم هاد﴾[2].

والمقصود مِن المنذر في هذه الآية: النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، ومِن الهادي: عليٌّ عليه السلام كما صرّح بذلك جمعٌ من العلماء[3].

فقد روى الحاكم في مستدركه بسنده عن عبّاد بن عبد الله عن عليّ عليه السلام: ﴿... إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، قال عليٌّ عليه السلام: «رسول الله صلى الله عليه وآله المُنذِر، وأنا الهادي»[4].

ومن الواضح أنّ المولى عزّ وجلّ أنزل القرآن هدايةً للمتّقين.

قال تعالى: ﴿ذلك الكتابُ لا ريبَ فيه هُدىً للمُتّقين﴾[5].

فالغرض من إنزال القرآن للناس هو الهداية، والمعيار في كرامة الإنسان عند الله هو التقوى.

قال تعالى: ﴿إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[6].

فالأكرم عند الله تعالى هو التقيّ وليس من فتح البُلدان أكثر أو سبى عددا أكبر من النساء..

---

١. مسند أحمد بن حنبل بتحقيق أحمد محمّد شاكر ج١/ ص٥٤٥. قال: إسناده حسن. وقال الهيثمي ج٩/ ص١١٣ إسناده جيد. وانظر كنز العمال للمتّقي الهندي ج١٣/ ص١١٤.

٢. سورة الرعد: ٧.

٣. شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ج١/ ص٢٩٣ ٣٠٣ حديث: [٣٩٨ ٤١٦]. وتفسير الطبري ج١٣/ ص١٠٨. وتفسير ابن كثير ج٢/ ص٥٠٢. وتفسير الشوكاني ج٣/ ص٧٠. وتفسير الفخر الرازي ج٥/ ص٢٧١ دار الطباعة العامرة بمصر. وترجمة الإمام عليّ بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج٢/ ص٤١٥ حديث: [٩١٣ و ٩١٤ و ٩١٥ و ٩١٦]. والفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي ص ١٠٧. والمستدرك للحاكم ج٣/ ص١٢٩ ١٣٠.

٤. المستدرك على الصحيحين: ج٣/ ص١٢٩. قال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد.

٥. سورة البقرة: ٢.

٦. سورة الحجرات: ٣.

وبما أنّ عليّاً عليه السلام هو الهادي، والهداية تكون للمتّقين، فوجب كون عليّ عليه السلام أتقاهم وبالتالي هو أكرمهم عند الله.

وبما أنّ الغرض من نزول القرآن هو هداية الناس، فوجب علينا التمسّك بمن يكون لنا هادياً، ألا وهو أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام.

وإلى هنا نكتفي بهذا القدر من الآيات القرآنية الدالّة على إمامة عليٍّ عليه السلام، وسننتقل بحول الله تعالى إلى الإستدلال بالسنّة الشريفة على ذلك ومن الله نسأل العون والتوفيق وهو على كلّ شيء قدير.

***



خلافة عليّ عليه السلام في السنّة

حديث المنزلة

وهو الحديث المرويّ في الصّحاح والمسانيد. وقد رواه أكثر من ثلاثين صحابيّاً وأكثر من خمسين محدّثا، وإليك جملة منهم:

البخاري: أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل المتوفّى سنة ٢٥٦، في كتابه صحيح البخاري قال:

حدّثنا شعبة عن سعد قال: سمعت إبراهيم بن سعد عن أبيه قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى»[١].

وأخرجه أيضاً في موضع آخر من صحيحه:

عن مصعب بن سعد عن أبيه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج إلى تبوك واستخلف عليّاً، فقال: أتخلّفني في الصبيان والنساء؟، قال: «ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه ليس بعدي نبيّ»[٢].

روى مسلم في صحيحه:

روي عن سعيد بن المسيّب عن سعد بن أبي وقّاص أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي»[٣].

---

١. صحيح البخاري ج٥/ ص٨١، حديث ٢٢٥، طبعة دار القلم بيروت.

٢. صحيح البخاري ج٦/ ص٣.

٣. صحيح مسلم ج٤/ ص١٨٧٠، حديث ٢٤٠٤، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت. ومسند أحمد بن

وروى الحاكم الحسكاني عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿يا أيّها الذين أمنوا﴾ يعني صدّقوا بالتوحيد، ﴿أطيعوا الله﴾ يعني في فرائضه، ﴿وأطيعوا الرسول﴾ يعني في سنَّته، ﴿وأولي الأمر منكم﴾[1] قال: نزلت في أمير المؤمنين حين خلّفه رسول الله ﷺ بالمدينة، فقال: أتُخلّفني على النساء والصبيان؟ فقال: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى حين قال له: ﴿... أخلُفنِي فِي قَومِي وَأَصلِحْ...﴾[2]».[3]

فهذا الحديث يُثبت أنّ لعليّ عليه السلام كلَّ ما كان لهارون من موسى إلاّ النبوّة.

أمّا دلالات حديث المنزلة:

فمن أجل أن نتبيّن الخصائص التي تثبت للإمام عليّ عليه السلام في هذا الحديث لابدّ لنا من معرفة خصائص هارون ومنزلته من موسى، وهذه الخصائص نصّ على بعضها الذكرُ الحكيم على لسان سيّدنا موسى وهو يدعو ربّه لأخيه، بينما يُستنتج بعضُها الآخر من طبيعة مكانة هارون من موسى وعلاقته به.

قال الله تعالى: ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي* هارون أخي* أشدُد به أَزري* وأَشركهُ في أمري* كي نسبّحك كثيًرا* ونذكرك كثيًرا* إنّك كنتَ بنا بصيرًا﴾[4].

فاستجاب الله دعائه، فقال:

﴿قال قد أوتيتَ سُؤلكَ يا موسى﴾[5].

وقال أيضاً:

﴿وجعلنا معهُ أخاهُ هارونَ وزيرا﴾[6].

وقد كان هارون نبيّاً مع أخيه موسى إذ أوحى الله إليهما بقوله: ﴿إذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تَنيا في ذكري﴾[7].

وكان هارون أفضل أمّة موسى عليهما السلام، إذ ليس في أمّته أحدٌ بلغ هذه المرتبة (النبوّة)، ولم يحظَ أحدٌ منهم بما حظي به من منزلة عنده، فهو أحبّهم إليه، وأقربهم إلى قلبه.

حنبل ج٣/ ص٣٢. وانظر صحيح سنن التّرمذي ج٥/ ص٦٤٠ ـ ٦٤١، حديث ٣٧٣٠ و ٣٧٣١، طبعة دار الكتاب العربي بيروت.

١. سورة النساء: ٥٩.

٢. سورة الأعراف: ٤٢.

٣. شواهد التنزيل ج١/ ص١٤٩، طبعة منشورات الأعلمي، بيروت.

٤. سورة طه: ٢٩ ٣٥.

٥. سورة طه: ٣٦.

٦. سورة الفرقان: ٣٥.

٧. سورة طه:٤٢.

كما كان هارون وزيراً لموسى يسانده ويشاركه في جميع شؤون رسالته، ويشدّ أزره كما أنبأ الذكر الحكيم عن ذلك. وهو خليفته عند غيابه، قال تعالى:

﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتّبع سبيلَ المفسدين﴾[1].

ومن البديهي القول بأنّ الخلافة هذه ليست مقتصرةً على غيابه عند ذهابه للمناجاة فقط، بل هو خليفته كلّما غاب عن قومه، ولأيّ سبب كان غيابه، لأنه كان شريكاً له في أمره، وكان نبياً مُرسلاً معه، كما نصّ الذكر الحكيم. وكما يُقال من أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وكان أعلمَ أمّة موسى برسالته وما تضمّنته من أحكام وأسرار، لأنّه كان شريكاً له في أداء الرسالة وتبليغها.

وكان موسى وهارون عليهما السلام أخويْن ينحدران من أبٍ واحدٍ، وأمّ واحدةٍ.

ومَن تأمّل حديث المنزلة يتّضح له أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله لم يستثن من خصائص هارون شيئاً سوى النبوّة، ولو كان غيرها من الخصائص لا يثبت للإمام عليّ عليه السلام لاستثناه، وبما أنّه لم يفعل ذلك فإنّ جميع خصائص هارون الأخرى تثبت لعليّ عليه السلام، أمّا أخوّة النسب فهي مستثناة أصلاً ولا حاجة إلى استثنائها لوضوحها. مع أن عليّاً عليه السلام أخو النبي صلى الله عليه وآله كما أخبر الرسول بذلك.

وبهذا يثبت أنّ الإمام عليّاً عليه السلام هو أفضل أمّة محمّدٍ بعد نبيّنا المصطفى صلى الله عليه وآله، ومن تتبّع ما جاء في الذكر الحكيم، ورُوي من السنّة النبويّة الشريفة ممّا أثبته وأكّد صحتّه المفسّرون والحفّاظ ورواه المحدّثون من فضائل ومناقب لم يبلغها غيره، يتّضح له وبدون أدنى شكّ بأنّه أفضل هذه الأمّة بعد نبيّها صلى الله عليه وآله.

ونكتفي بالإستدلال على تقدّمه في الفضل بما جاء في آية المباهلة حيث قال تعالى:

﴿فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فَقُل تعالوا نَدعُ أبناءَنا وأبناءَكُم ونساءَنا ونساءَكُم وأنفسَنا وأنفسَكم ثمّ نَبتَهِل فنجعل لعنةَ الله على الكاذبين﴾[2].

جاء في كتاب معرفة علوم الحديث:

عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله عز وجل: قل تعالوا ندعوا أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم...إلى قوله:...الكاذبين، نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله، وعليٌّ نفسُه، ونساءنا ونساءكم في فاطمة، وأبناءنا وأبناءكم في حسن وحسين، والدعاء على الكاذبين نزلت في العاقب والسيد وعبد المسيح وأصحابهم.

ثم قال: وقد تواترت الأخبار في التفاسير عن عبد الله ابن عباس وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وآله

---

١. سورة الأعراف: ١٤٨.

٢. سورة آل عمران: ٦١.

أخذ يوم المباهلة بيد علي وحسن وحسين وجعلوا فاطمة وراءهم ثم قال: هؤلاء أبناءنا وأنفسنا ونساءنا فهلمّوا أنفسكم وأبناءكم ونساءكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين[1].

وقد ذكر ابن كثير في تفسيره لهذه الآية:

قال جابر: ﴿أنفسنا وانفسكم﴾: رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب، ﴿وأبناءنا﴾ الحسن والحسين، ﴿ونساءنا﴾ فاطمة[2].

فقد أجمع المفسّرون من الفريقين، وأجمع الرواة أنّ النبيّ ﷺ أحضر للمباهلة من الأبناء: الحسن والحسين، وأحضر من النساء إبنته الزهراء عليها السلام، وأحضر معه الإمام علياً عليه وعليهم السلام. فكان المقصود بالأنفس هو عليٌّ سلام الله عليه.

وبما أن النبي ﷺ أفضل الخلق، فوجب كون نفسه أفضل الخلق مطلقاً بعده.

فلو قال قائل: إنّ رسول الله خلّف علياً عليه السلام في المدينة حين ذهابه ﷺ إلى غزوة تبوك، بالتالي فإنّ خلافة عليّ عليه السلام صحّت في تلك الفترة وفي المدينة فقط ولم تكن خلافة عامة حتّى بعد وفاته.

نقول:

أولاً: لم يرد هذا الحديث حين غزوة تبوك فقط، بل قد ذكره رسول الله ﷺ في عدّة ظروف ومناسبات منها[3]:

يوم بدر ويوم المآخاة وفي غدير خم وفتح خيبر وغيرها.

ثانياً: إنّ في الحديث الشريف قرينةً متّصلةً على أنّ المراد من كلام النبيّ هو الخلافة المطلقة لعليّ عليه السلام من بعده، وهذه القرينة هي قوله: «إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي»، فقد أثبت النبيُّ لعليّ عليه السلام كلّ ما ثبت لهارون من موسى إلاّ النبوّة، فإنّها مستثناة، وبالتالي فإنّ كلّ الصفات عدا النبوّة التي كانت لهارون ثبتت لعليّ عليه السلام. ولو كان قصد النبي هنا الإستخلاف إلى حين رجوعه من تبوك فقط لم يكن لكلامه أيّ معنى حينما قال: « إلا أنه لا نبيّ بعدي».

ومن هنا يمكن القول بأنّ علياً عليه السلام كان أخاً ووزيراً وشريكاً وخليفةً للنبيّ المصطفى ﷺ.

والثابت أيضاً أنّ هارون كان أعلم أهل زمانه بعد موسى عليهما السلام، وكذلك الإمام عليٌّ عليه السلام.

بالتالي ثبتت عندنا خلافة عليّ عليه السلام بعد النبيّ الأكرم بهذا النص الجلّي الواضح.

ثمّ كيف يُعقل أنّ النّبي صلّى الله عليه وآله يستخلف شخصاً بمجرّد خروجه من المدينة لأيّام معدودة، ولا يستخلف حين يرحل نهائياً من هذه الدنيا؟

١. معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري ص٥٠.

٢. تفسير ابن كثير ج٢/ ص٥٥. وانظر فتح القدير للشوكاني ج١/ ص٥٧٤.

٣. مناقب عليّ بن أبي طالب ص ١٥١. و الطبقات الكبرى ج٣/ ص٢٤. وصحيح البخاري ج٦/ ص٣٠٩.

لا يؤدّي عنّي إلاّ أنا أو علي

وملخّصه أنّ رسول الله ﷺ بعث ببراءةٍ إلى أهل مكّة مع أبي بكر، ثمّ أتبعه بعليّ عليه السلام فقال له: خذ الكتاب فامضِ به إلى أهل مكّة، قال: فلحقه فأخذ الكتاب منه، فانصرف أبو بكر، وهو كئيب، فقال لرسول الله ﷺ: أَنَزَلَ فيَّ شيء؟، قال: لا إلاّ أنّي أُمرتُ أن أُبَلِّغه أنا أو رجلٌ من أهل بيتي[1].

فإذا لم يكن أبو بكر أهلاً حتّى في إبلاغ سورة براءة، فكيف يكون أهلاً للخلافة وقيادة الأمة؟؟؟

روى ابن ماجة في سننه:

قال رسول الله ﷺ: «عليٌّ منّي وأنا منه، ولا يُؤدّي عنّي إلاّ عليّ»[2].

إنّ النبيّ ﷺ لم يُقيّد في هذا الحديث، وإنّما أطلق في قوله: «لا يُؤدّي عنّي إلاّ عليّ»، ولم يقل مثلاً: «يُؤدي عنّي في مجال السياسة أو التبليغ أو الحرب أو.....». فهذا يعني أنّ عليّاً عليه السلام يُؤدّي عن رسول الله كلّ شيء إلا ما استثني كالنبوة، ومن هذه الأشياء الخلافة.

لذلك صحّ كون عليّ الفاروق عليه السلام خليفة رسول الله الشرعي.

جاء في جامع الأحاديث:

قال النبيّ ﷺ: «سيكون من بعدي فِتنةٌ، فإذا كان ذلك فالزَموا عليَّ بن أبي طالب، فإنّه الفاروق بين الحقّ والباطل»[3].

فثبت بهذا الحديث كون عليّ عليه السلام خليفة رسول الله ﷺ.

حديث خاصف النّعل

روى أبو يعلى الموصلي في مسنده:

عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إنّ منكم من يُقاتلُ على تأويل القرآن كما قاتَلْتُ على تنزيله»، فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: «لا»، قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: «لا، ولكنّه خاصفُ النَّعل»،

---

١. سنن النسائي،تهذيب خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ص٤٨ – ٤٩.

٢. صحيح سنن ابن ماجة، المجلّد الأول ص٥٨. قال الألباني: هذا حديثٌ حسن. وانظر سنن الترمذي.كتاب المناقب.ص٥٢٢. حديث ٣٧١٩ قال: هذا حديثٌ حسن صحيح غريب. وانظر تاريخ دمشق لابن عساكر ج١٢/ ص١٥٠ ورجاله ثقات. وأحمد في مسنده ج٤/ ص١٦٥.

٣. الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٤/ ١٧٠. وأسد الغابة لابن الأثير ٦/ ٢٧٠. ومجمع الزوائد ٩/ ١٠٢. والإستيعاب لابن عبد البر ٤/ ١٧٠. جامع الأحاديث لجلال الدين السيوطي ج٦/ ص٣٠.

وكان أعطى علياً نَعلَهُ يَخْصِفُها[1].[2]

وهاهو أبو بكر وعمر قد عَلِما أنّ الخلافة ليست من حقّهما، فكيف غصبا حقّاً ليس لهما؟ خاصّة وأنّهما قد سمعا من النبيّ مباشرة أنّ خاصف النّعل(علياًعليه السلام) هو الخليفة الشرعي من بعده.

ثمّ إن كان عليٌّعليه السلام هو من يقاتل على تأويل القرآن، فهذا يعني أنّه عالِمٌ بكلّ مافيه، وأنّ غيره لم يكن كذلك. بالتالي فكلُّ من حارب علياًعليه السلام يكون قد حارب القرآن، ومن حارب القرآن فقد حارب الله تعالى.

والحمد لله على نعمة التمسّك بالثقلين اللذَيْن من تمسّك بهما لن يضلّ أبداً.

من كُنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاه

هذا الحديث رواه جمهرة كبيرة من المحدّثين والمؤرّخين وبعدّة ألفاظ، وبأسانيد مختلفة.

وملخصّه أنه حين أتمّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله حجّة الوداع، خرج من مكّة متّجهاً نحو المدينة ومعه تلك الوفود التي لم تشهد مكّةُ نظيراً لها آنذاك، ولمّا وصل إلى مكان قريب من منطقة الجُحفة يقال له: (غديرُ خم) وهو على مفترق طرق، وقبل أن يتفرّق الناس كلٌّ إلى بلده الذي جاء منه، نزلصلى الله عليه وآله في ذلك المكان من الصحراء بعد أن أنزل اللهُ عليه قولَه تعالى: ﴿يا أيّها الرسولُ بلّغْ ما أُنزل إليك من ربّك وإن لم تفعلْ فما بلّغت رسالتَه واللهُ يعصمك من الناس﴾. فخطب فيهم خطبته المعروفة بخطبة الغدير ثمّ رفع يد عليٍّعليه السلام حتّى بان إبطاهُما، ثمّ قال:» من كُنتُ مولاه فعليٌّ مولاه». وقد قال النبيُّ هذا الحديث في أكثر من موضع وبألفاظ مختلفة.

رواه التّرمذي في سننه بسنده عن شعبة عن سلمة بن كهيل قال: سمعت أبا الطفيل يحدّث عن أبي سريحة - أو زيد بن أرقم، شكّ شعبة - عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «مَنْ كُنْتُ مَولاهُ فَعَلِيٌّ مولاهُ»[3].

---

١. خَصَفَ النَّعلَ: خَرَزَها وأَصلحَها.

٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥/ ٦٣٩ قال الألباني: صحيح. ومجمع الزوائد ٥/ ٣٣٨ قال الهيثمي: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح. وإتحاف الخيرة المهرة للبوصيري ٧/ ١٨٧. والمستدرك على الصحيحن ٢/ ١٤٩ قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وصحيح ابن حبّان ١٥/ ٣٧١. وسنن الترمذي ٢/ ٢٩٨ قال: حديث حسن صحيح. وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص٨. ومسند أحمد ٣/ ٨٢ قال شعيب الأرنؤوط: صحيح. ومسند البزار ١/ ١٦٥. ومصنّف ابن أبي شيبة ٧/ ٤٩٧. ومسند أبي يعلى الموصلي بتحقيق حسين سليم أسد ج٢/ ص٣٤٢. قال: إسناده صحيح.

٣. صحيح سنن الترمذي مج٣/ ص٥٢٢ قال الألباني: صحيح وصحّحه أيضا شعيب الأرنؤوط. والمستدرك على الصحيحين ٣/ ١٠٩ قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. وصحيح سنن ابن ماجة مج١/ ص٥٦

وروى أحمد في مسنده:

عن بُرَيْدَة قال: غزوتُ مع عليّ اليمنَ، فرأيتُ منهُ جَفوةً، فلمّا قدمتُ على رسول الله ﷺ ذكرتُ علياً فَتَنَقّصتُه، فرأيتُ وجهَ رسول الله يَتَغيّر، فقال: «يا بُريدة، ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قلتُ: بلى يا رسول الله. قال: «مَن كنتُ مولاه فَعليٌّ مولاهُ»[1].

وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال:

لمّا رجع رسول الله ﷺ من حجّة الوداع، ونزل غدير خم، أمر بدوحاتٍ فأُقمن، فقال: كأنّي دُعيتُ فأجبت، إنّي قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله تعالى، وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض، ثمّ قال: إنّ الله عزّ وجلّ مولاي، وأنا مولى كلّ مؤمن، ثمّ أخذ بيد عليٍّ عليه السلام فقال: «من كُنتُ مولاهُ، فهذا وَلِيُّهُ، اللهم والِ من والاه، وعاد من عاداه»[2].

أمّا نصّ خطبة الغدير فطويل، وقد ذكره بعض محدّثي ومؤرخي أهل السنّة، وسوف نقتصر على محلّ الشاهد.

ذكر ابن عساكر في تاريخه:

لمّا قفل رسول الله عن حجّة الوداع قام فيهم خطيباً إلى أن قال: «ألستُم تشهدون أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ جنّته حقٌّ، وناره حقٌّ، وأنّ الموت حقٌّ وأنّ البعث بعد الموت حقٌّ، وأنّ الساعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور؟»، قالوا: بلى نشهد بذلك، قال: «اللهم اشهد». ثمّ قال: «أيّها الناس إنّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وإنّي أولى بهم من أنفسهم، فَمن كُنتُ مَولاهُ فهذا مَولاهُ، اللهم وال من والاه وعادِ من عاداه»[3].

قال الألباني: صحيح. ومسند أحمد ٢/ ١٤١ قال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح. والبداية والنهاية ٧/ ٦٦٨ قال ابن كثير: قال شيخنا الذهبي: حديث صحيح. والسنن الكبرى للنسائي [٨٤٦٤]. وهو حديث متواتر كما اعترف بذلك جملة من العلماء منهم الألباني في سلسلته الصحيحة مج٤/ ص٣٤٣. والمحدّث إسماعيل بن محمد العجلوني الجرّاحي في كشف الخفاء حيث قال: حديث متواتر أو مشهور ٢/ ٣٦١. والذهبي في سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٣٥ قال: متواتر. والأمير الصنعاني في توضيح الأفكار ١/ ٢٤٣ قال: وقد عدّه أئمة من المتواتر.

١. مسند أحمد بن حنبل بتحقيق شعيب الأرنؤوط ج٣٨/ ص٣٢، قال: إسناده صحيحٌ على شرط الشيخين. وانظر سنن ابن ماجة ج١/ ص٤٥. وسنن الترمذي ج٥/ ص٦٣٤، قال: هذا حديثٌ حسن صحيح. وانظر كتاب الشريعة للآجري، قال زيد بن أرقم: «مابقي في الدوحات رجلٌ واحدٌ إلاّ قد سمعه بأذنيه ورآه بعينه». المجلد الرابع، حديث رقم ١٥٢٣. قال: إسناده صحيح.

٢. المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣/ ص١٠٩. قال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص. وانظر البداية والنهاية لابن كثير بتحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ج٧/ ص٦٦٨، قال: حديثٌ صحيح.

٣. تاريخ دمشق لابن عساكر ج٤٢/ ص٢٢٠.

قال ابن حجر العسقلاني:

وأمّا حديث «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه» فقد أخرجه التّرمذي والنسائي، وهو كثير الطرق جداً، وقد استوعبها ابنُ عقدة في كتابٍ مفرد، وكثيرٌ من أسانيدها صحاحٌ وحسان، وقد روينا عن الإمام أحمد قال: ما بلَغنا عن أحدٍ من الصحابة ما بلغَنا عن عليّ بن أبي طالب[1].

أمّا دلالة الحديث الشريف فإنّها تدلّ على أنّ الرسولﷺ كما أنّه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وهو سيّدهم ووليّ أمرهم المتصرّف في شؤونهم، فنفس هذه الأمور تثبت للإمام عليّ بن أبي طالبعليه السلام. إذ هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم وسيّدهم ووليّ أمرهم المتصرّف في شؤونهم. وهذا فرع كونه إمامهم وخليفتهم.

وقد يقال: إنّ كلمة (مولى) كما تفيد معنى السيّد المتصرّف في شؤون عبده تفيد أيضاً معنى المحبّ والناصر، فيكون معنى الحديث: (من كنتُ ناصره فإنّ عليّاً ناصره، أو من كان يحبّني فعليه أن يحبّ عليّاً)، فلا معنى لتخصيص اللفظ بالمعنى الأول.



والجواب: إنّ هذا يحتمله من قصر نظره على هذه الجملة: (من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه) فقط دون النظر إلى ما احتفّ بها من القرائن، فضلاً عن النظر في بقيّة الروايات الصحيحة المفسِّرة لمعناها، فالرواية السابقة فيها قرينة واضحة على أنّ الولاية هنا تعني الولاية على المؤمنين من أنفسهم، وهي تقديمهﷺ قوله: «إنّ الله مولاي وأنا وليُّ كلّ مؤمن» على قوله: «من كنت وليّه، فهذا وليّه» الذي يُبيّن أنّ المعنى المقصود هو: من كنتُ أولى به من نفسه فعليٌّ أولى به من نفسه.

والأمر أكثر وضوحاً في رواية أخرى صحيحة السند يتبيّن منها أنّ جملة: «فعلي مولاه» تعني أنّ عليّاًعليه السلام وليُّ أمره وأولى به من نفسه، وهذا في صحيح سنن ابن ماجة للألباني، حيث جاء:

عن البرّاء بن عازب قال: أقبلنا مع رسول الله في حجّة الوداع التي حجّ، فنزل في الطريق، فأمَر: الصلاةَ جامعةً، فأخذ بيد عليٍّعليه السلام، فقال: ألستُ بأولى المؤمنين من أنفسهم؟، قالوا: بلى، قال: ألستُ بأولى بكلّ مؤمن من نفسه؟، قالوا: بلى، قال: فهذا وليُّ من أنا مولاه. اللهم والِ مَن والاه وعادِ من عاداه»[2].

وهذا الحديث الصحيح دليلٌ قاطع على أنّ معنى كلمة (المولى) هنا تعني: (الأولى به من نفسه وسيّده المتصرّف في شؤونه)، كما هو شأن ولاية النبيّﷺ على المؤمنين، وقد أكّد

١. فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج٧/ ص٩٢.

٢. صحيح سنن ابن ماجة ج١/ ص٥٦. حديث رقم: ٩٤. وعلّق عليه الألباني بقوله: صحيح. وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ح١٧٥٠.

رسول اللهﷺ على هذا المعنى مرّتين بقوله: «ألستُ بأولى المؤمنين من أنفسهم؟، ألستُ أولى بكلّ مؤمنٍ من نفسه؟ فهذا وليُّ من أنا مولاه».

وروى الحاكم في المستدرك:

عن النبيّﷺ أنّه قال:»إنّي تاركٌ فيكم ما لن تضلّوا بعده، كتاب الله عزّ وجلّ»، ثمّ قام فأخذ بيد عليٍ رضي الله عنه فقال:»يا أيها الناس مَن أولى بكم مِن أنفسكم؟»، قالوا: اللهُ ورسولُه أعلم.قال: «من كُنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاه»[1].

إنّ لكلمة (مولى) معان عديدة[2]، منها المحبّ والعبد والمنعم والصاحب والناصر والمعتق والتابع والمالك والسيّد وهو كلّ من ولي أمراً. لكن لا يكون لهذا الحديث معنىً إذا حملنا كلمة (مولى) على المحبّ والناصر، خاصّة مع وجود قرائن متصلة ومنفصلة في المقام.

فكيف يُعقل للنبيّ وهو الحكيم، بل سيّد الحكماء أن يوقِف أصحابه في ذلك الهجير بعدما أمر السابقين بالرجوع والمتخلّفين باللّحاق، ليقول لهم في الأخير: أحبّوا علياً وأنصروه؟.

ثمّ هل كان الصحابة يجهلون وجوب حبّ عليّعليه السلام ونصرته قبل ذلك اليوم؟

أولم يكونوا قد سمعوا قول النبيّ لعليّعليه السلام أنّه لا يحبّك إلاّ مؤمنٌ ولا يبغضُك إلاّ منافق؟.

جاء في صحيح مسلم:

عن عليٍّ عليه السلام قال: «لقد عهد إليَّ النبيُّ أن لا يُحِبُّكَ إلاّ مُؤمنٌ ولا يبغضُكَ إلاّ مُنافق»[3].

أوليس رسول الله هو القائل:»من أحبّ علياً فقد أحبّني ومن أحبّني فقد أحبّ الله، ومن أبغضَ علياً فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغضَ الله»[4]؟.

بلى، ليس هناك من الصحابة من كان يجهل أن حُبّ عليّعليه السلام واجبٌ على كلّ مسلم ومسلمة، وأنّ كلّ من أبغضه فهو منافقٌ بدليل هذا الحديث الصحيح والصريح.

---

١. المستدرك على الصحيحين ج٣/ ص٦١٣.قال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وانظر إتحاف الخيرة المهرة للبوصيري المجلد السابع ص٢١٠، قال: رواه إسحاق بسند صحيح.

٢. معجم المعاني الجامع.

٣. ()أخرجه مسلم في صحيحه ج١/ ص ٦٠. والترمذي في صحيحه ج٥/ ص٣٠٦. وابن الأثير في جامع الأصول ج٨/ ص٦٥٦، قال: وأخرجه مسلم والترمذي والنسائي. وانظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج٤/ ص٢٧١. وأحمد بن حنبل في أكثر من موضع في مسنده ج١/ ص٨٤، ٩٥، ١٢٨، وفي فضائل الصحابةج٢/ ص٨٠٧. والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج٢/ ص٢٥٥.

٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، المجلّد الثالث ص٢٨٧. وأيضاً المعجم الكبير للطبراني ج٢٣/ ص٣٨١. وأيضاً أخرجه الحاكم في مستدركه ج٣/ ص١٣، وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين.

ومجرّد بغض عليّ عليه السلام يُصيِّر صاحبَه مُنافقاً، فما بالُنا بالذين حاربوه وقاتلوه وشتموه ولعنوه؟؟؟

روى ابن ماجة في سُننه:

عن سعد بن أبي وقّاص قال: قدم معاويةُ في بعض حجّاته فدخل عليه سعدٌ، فذكروا عليّاً فنالَ مِنهُ[1].

نعم هاهم الصحابة يسبّون عليّاً عليه السلام لا لشيءٍ إلاّ لأنّه قتل آباءَهم وإخوانَهم المشركين في بدر وأُحد.

فإذاً حاشاه النبيُّ صلى الله عليه وآله أن يوضّح الواضحات للمسلمين وخاصّة في ظرف كهذا، حيث أنّ الحُجّاج كانوا عائدين من موسم الحجّ في حالة تعب وإرهاق شديدين.

وقول النبيّ: «ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» لخير دليل على أنّ مراده من كلمة:»فعليٌّ مولاه» هو الخلافة وحقّ التصرّف في شؤون المسلمين وأنّه أولى بهم من أنفسهم، وإلاّ لما كان لكلام النبيّ: «ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟»أيّ معنى، لأنّ هذه الجملة لا علاقة لها بالمحبّة والنصرة، بل هي مرتبطة بإخباره أنّه من سوف يعيّنه الآن سيكون له نفس هذا الحقّ وهو كونه أولى الناس بهم من أنفسهم كما كان النبيّ صلّى الله عليه وآله تماماً.

ثمّ لو كانت كلمة (مولى) هنا بمعنى المحبّة والنصرة فلماذا لم يأمر النبيُّ الناسَ بمحبّة جميع الصحابة؟ ولماذا خصّها بعليٍّ عليه السلام؟

ولماذا لم يقل النبيُّ:»من كنتُ مولاهُ فهؤلاء الصحابةُ مواليه»؟

أوكان النبيُّ يرضى أن يحبّ المسلمون عليّاً عليه السلام ويبغضوا باقي الصحابة؟

وقول النبيّ: «ألستُم تشهدون أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ جنّته حقٌّ، وناره حقٌّ، وأنّ الموت حقٌّ وأنّ البعث بعد الموت حقٌّ، وأنّ الساعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث مَن في القبور؟». هذا كلّه لا يناسب مقام التذكير بمحبّة عليٍّ عليه السلام ونصرته. بل هو مقام التذكير بأصول الدين وعقائد المسلمين.

فلقد بدأ النبيُّ بتذكيرهم بأصول الدين من التوحيد والنبوّة والمعاد، ثمّ ختم كلامه ب: «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه»، وهذا ما يدلّ على وجوب الرّبط والعلاقة بين الكلامين، وإلاّ صار كلام النبيّ لغواً وعبثاً، (وحاشى سيّد الخلق ذلك).

ثم هل يمكن لإنسان عاقل أن يقول مثلاً: «أيّها الناس، إتقوا ربّكم، إن يوم الساعة يوم عظيم»، ثمّ يقول: «عليكم بالنوم باكراً»؟!!

---

١. صحيح سنن ابن ماجة المجلد الأول ص٥٨. قال الألباني: صحيح. ثمّ علّق عليه بقوله: نالَ منهُ: أيْ نال معاويةُ مِن عليٍّ وتكلّم فيه.

بالطبع لا يمكن صدور هذا الكلام من إنسان عادي، لأنّ ذلك سيجعله إمّا مجنوناً أو مُستهزِأً. والسبب في ذلك هو عدم وجود أيّ عُلقة وربطٍ بين معنى الجملة الأولى والجملة الثانية.

فإذا كان هذا الكلام لا يصدر من إنسان عادي فكيف يصدر من نبيٍّ من أنبياء الله؟، بل هو سيّد الأنبياء والعقلاء.

وهناك عدة أدلّة في القرآن والسنّة تفيد أن كلمة (المولى) تأتي كثيراً بمعنى (الأولى). وإليك بعضها:

ذكر الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾[1].

قال: أي أحقُّ بالمؤمنين من أَنفسهم، أن يَحكُم فيهم بما يشاء مِن حُكم، فَيجوزُ ذلك عليهم.

ثمّ قال: كما حدّثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال:قال ابن بريد: ﴿النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾، كما أنت أولى بعبدك، ما قضى فيهم من أمرٍ جازَ،كما كُلَّما قضيتَ على عبدك جازَ[2].







وقد قال ابن تيميّة: ليس هناك من كتب التفسير أصحّ من تفسير الطبري.

جاء في تفسير القرآن العظيم لابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿مأواكم النار هي مولاكم﴾:

قال: ﴿هي مولاكم﴾، أي أولى بكم من كلِّ منزل على كفركم وارتيابكم[3].

فقد وردت كلمة (المولى) هنا بمعنى (الأولى) وليس بمعنى المحبّة والنصرة.

وكذلك ذكر هذا المعنى البخاري في صحيحه:

عن النبيّ ﷺ قال: «ما مِن مؤمنٍ إلاّ وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة. إقرأوا إن شئتُم: ﴿النبيُّ أولى بالمؤمنين مِن أَنفُسهم﴾، فأيُّما مؤمنٍ ترك مالاً فلْيَرِثْهُ عَصَبَتُهُ مَن كانوا، فإن ترك دَيْناً أو ضَياعاً فَلْيأْتِني فأنا مَولاهُ»[4].

وأخرجه مسلم في صحيحه بلفظ (الوليّ):

عن النبيّ ﷺ قال: « أنا أولى الناس بالمؤمنين في كتاب الله عزّ وجلّ، فأيُّكم ما ترك دَيْناً أو ضيعةً فادعوني فأنا وَلِيُّهُ، وأَيُّكم ما ترك مالاً فليورث عصبته من كان»[5].

---

١. سورة الأحزاب: ٦.

٢. تفسير الطبري بتحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ج١٩/ ص١٥. وانظر تفسير البغوي ج٦/ ص٣١٨.

٣. تفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي المجلد الثالث عشر ص٤١٢.

٤. صحيح البخاري، كتاب التفسير في تفسير سورة الأحزاب ص ٢٠٦.

٥. صحيح مسلم، كتاب الفرائض ج٦/ ص٢٧٧.

وبما أنّ النبيّ ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم فكذلك عليٌّ عليه السلام.

إذاً تبيّن أنّ المقصود من المولى هنا هو الخلافة وليست المحبّة والنصرة. ولا معنى لأن يُذكّرهم النبيُّ بالتوحيد والنبوة والمعاد ثمّ يُعقّب كلامه بشيءٍ خارجٍ كلياً عن موضوع كلامه ويقول: أحبّوا علياً وانصروه.

فمن قال بعد هذا بأنّ كلمة (مولى) هنا يُقصد بها المحبّة والنصرة، فهو بهذا ينسب اللَّغْوِيَّةَ والهذيانَ لنبيّ الرحمة ﷺ.

ولسنا من القائلين بلغويّة كلام النبيّ وعبثيّته وبأنّه يهجر ويغلبه الوجع و..

فخلاصة الكلام أنّ النبيّ أولى بالتصرّف في المسلمين من أنفسهم، فيثبتُ ذلك أيضاً لعليٍّ عليه السلام من خلال هذا الحديث الصحيح والمتواتر.

وفي الأخير نقول بأنّ هذا ما أراده الله ورسوله، لكن الناس أرادوا غيره. فوقعوا فيما وقعوا فيه.

جاء في كتاب «الجامع لأحكام القرآن» في تفسير قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سائِلٌ بعذابٍ واقِعٍ﴾:

قيل: إنّ السائل هنا هو الحارث بن النعمان الفهري، وذلك أنّه لمّا بلغه قولُ النبيّ ﷺ في عليٍّ عليه السلام: «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه» ركب ناقته، فجاء حتّى أناخ راحلته بالأبطح، ثمّ قال: يا محمّد، أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنّك رسول الله، فقبلناه منك، وأن نصلّي خمساً، فقبلناه منك، ونزكّي أموالنا فقبلناه منك، وأن نصوم شهر رمضان في كلّ عام، فقبلناه منك، وأن نحجّ، فقبلناه منك، ثمّ لم ترض بهذا حتّى فضّلت ابنَ عمّك علينا؟ أفهذا شيءٌ منك أم من الله؟ فقال النبيُّ ﷺ: «والله الذي لا إله إلا هو، ماهو إلاّ من عند الله، فولّى الحارث وهو يقول: اللهمّ إن كان ما يقول محمّدٌ حقّاً، فأمطر علينا حجارةً من السماء، أو ائتنا بعذابٍ أليم. فوالله ما وصل إلى ناقته حتّى رماه الله بحجرٍ، فوقع على دماغه فخرج من دُبُره فقتله، فنزلت: ﴿سَأَلَ سائِلٌ بعذابٍ واقِعٍ﴾[1].

مبايعة عمر بن الخطّاب لعليٍّ عليه السلام

ذكر الفخر الرازي في تفسيرقوله تعالى: ﴿يا أيّها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك﴾، قال: الوجه العاشر: نزلت الآيةُ في فضل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ولمّا نزلت هذه الآية أخذ رسولُ الله بيد عليٍّ وقال: "من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه"، فلقيه عمر رضي الله عنه فقال: "هنيئاً لك ياابن أبي طالب، أصبَحتَ مَولايَ ومَولى كُلِّ مُؤمنٍ ومُؤمنة". وهو قول ابن عباس والبرّاء بن عازب ومحمّد بن عليّ[2].

---

١. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي بتحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ج٢١/ ص٢١٩.

٢. تفسير الفخر الرازي ج١٢/ ص٥٣. وانظر كتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل بإسناد حسن لغيره ج٢/

وجاء في البداية والنهاية:

عن أبي هريرة قال: من صام يوم ثماني عشرة من ذي الحجّة كُتب له صيامُ ستّين شهراً، وهو يوم غدير خُم، لمّا أخذ النبيُّ بيد عليّ بن أبي طالب فقال:»ألستُ وليَّ المؤمنين؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «من كُنتُ مولاهُ فَعليٌّ مولاه»، فقال عمرُ بن الخطّاب: بَخٍ بخٍ لك ياابن أبي طالب،أصبحتَ مولايَ ومولى كُلِّ مُسلم. فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿اليوم أَكمَلتُ لكُم دينَكم﴾[1].

روى الثعلبي في تفسيره للآية: ﴿يا أيّها الرسولُ بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك﴾. قال: لمّا نزلت هذه الآية أخذ النبيُّ عليه السلام بيد عليٍّ فقال:»من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه»، إلى أن قال: «هذا مولى من أنا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال: فلقيه عمرُ فقال: هنيئاً لك ياابن أبي طالب أصبحتَ وأمسيْتَ مَولى كُلِّ مؤمنٍ ومؤمنة[2].

روى أحمد في مسنده:

عن البرّاء بن عازب قال: كُنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في سفرٍ فنزلنا بغدير خم فنودي فينا الصلاة جامعة وكسح لرسول الله ´ تحت شجرتين فصلّى الظهر وأخذ بيد عليٍّ رضي الله تعالى عنه فقال: «ألستُم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: «ألستُم تعلمون أنّي أولى بكُلِّ مؤمنٍ من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد عليٍّ فقال: «مَن كُنتُ مَولاهُ فَعَلِيٌّ مولاهُ اللهم والِ مَن والاه وعاد من عاداه» قال: فلقيه عمرُ بعد ذلك فقال له: «هنيئاً لك ياابن أبي طالب أصبَحتَ وأَمسَيتَ مولى كُلِّ مؤمنٍ ومُؤمنة»[3].

فماذا تعني تهنئة عمر لعليّ عليه السلام إذا كانت(المولى) بمعنى المحبّة والنصرة؟

وماذا يعني قول عمر لعليّ عليه السلام: «أصبحتَ وأمسيتَ مولى كُلِّ مؤمنٍ ومؤمنة»؟

فعلى من قال بأنّ المراد من المولى هنا هو المحبّة والنصرة، فقد وضع نفسه بين أمرين اثنين لا ثالث لهما، وهذا حصرٌ عقليٌّ:

فإمّا أن يقول بأنّ عمر لم يكُن يُحبُّ علياً عليه السلام قبل هذا اليوم، لأنّ كلمة (أَصبحْتَ) و(أَمسيْتَ) تعني أنّك لم تكن كذلك في الماضي. بالتالي فهو ينسب النفاقَ لعمر من حيث لا يشعر، وذلك لأن عمر كان يعرف عليا عليه السلام، فلماذا لم يكن يحبّه قبل ذلك اليوم؟ والمعلوم أنّ كلَّ من أبغض علياً عليه السلام فهو منافق بصريح الحديث الشريف المروي عن عليّ عليه السلام حينما

ص٧٥٥.

١. البداية والنهاية لابن كثير ج١١/ ص٧٤.

٢. تفسير الثعلبي ج٤/ ص٩٢.

٣. مسند أحمد بن حنبل بتحقيق حمزة أحمد الزين ج١٣/ ص١٨٥ ١٨٦. قال: إسناده صحيح. وانظر ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى لمحبّ الدين الطبري، بتحقيق أكرم البوشي ص ١٢٥، قال: هذا حديثٌ صحيح. ومحبّ الدين الطبري تُوفّي سنة ٦٩٤.

قال: «والذي فلق الحبّةَ وبرأ النّسمة إنّه لعهدُ النبيّ الأميّ إليَّ أن لا يحبّني إلاّ مؤمنٌ ولا يَبغضُني إلاّ منافق»[1].

وإمّا أن يعترف أنّ المقصود من المولى هنا هو الخلافة والإمامة ولذلك هنّئه عمر بهذه الصيغة.

إستشهاد الإمام عليّ عليه السلام بحديث: "من كنت مولاه"

إنّ خير دليل على أنّ المراد من المولى هنا هو الخلافة لا غير، هو ما استشهد به أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام على الناس يوم بويع للمرّة الثانية أي بعد مقتل عثمان وكان عليه السلام كثيراً ما يُذكِّرهم بهذا الحديث حتّى يُلزمهم به ويُبيّن لهم أحقّيته في الخلافة، وأنّ الذين كانوا قبله قد غصبوها منه. فقد اسستشهد به الإمام عليه السلام في يوم الجمَل وفي مسجد الرحبة كما سيأتي ذكره.

جاء في أنساب الأشراف في ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام بإسناده عنه، قال: قال عليٌّ عليه السلام على المنبر: «نَشدتُ اللهَ رَجُلاً سمع رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم: «اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه إلاّ قام فَشَهِد» وتحت المنبر أنسُ بن مالك والبرّاء بن عازب وجرير بن عبد الله فأعادها، فلم يُجبْهُ أحدٌ!! فقال: «اللهم مَن كَتَمَ هذه الشهادةَ وهو يعرفُها فلا تُخرجْهُ من الدّنيا حتّى تجعل به آيةً يُعرَفُ بها».

قال: فَبَرِصَ[2] أنسٌ، وعَمِيَ البرّاء، ورجع جرير أعرابيّاً بعد هجرته[3].

وقد ذكره الفخر الرازي في كتابه نفحات الأزهار حيث قال:

إنّ علياً عليه السلام ذكره في الشورى، عندما حاول ذكرَ فضائله، ولم يُنكره أحدٌ، فعَدَمُ إنكارهم لذلك مع توفّر الدواعي على القدح، فيما يفتخر به الإنسان على غيره دليل صحّته[4].

وقال الخوارزمي الحنفي في مناقبه:

إنّ أبا الطفيل عامر بن واثلة قال: كُنتُ على الباب يوم الشورى مع عليٍّ عليه السلام، وسمعته يقول لهم: « فأَنشدُكُم الله، هل فيكم أحدٌ قال له رسول الله': «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه؟»[5].

وقد نصّ أحمد بن حنبل على أنّ عدد الشهود يوم الرّحبة كان ثلاثين صحابيّاً،

---

١. صحيح مسلم.كتاب الإيمان.رقم الحديث١١٣.
٢. البَرَصُ: مرضٌ غيرُ مُعْدٍ يصيب جلد الإنسان.
٣. أنساب الأشراف للبلاذري، رقم ١٦٩.
٤. نفحات الأزهار ج٩/ ص٣٦.
٥. المناقب: ص ٣١٣ ح ٣١٤.

وأخرجه الحافظ الهيثمي في مجمعه[1] وصحّحه، وتجده في تذكرة سبط ابن الجوزي[2]. وتاريخ الخلفاء للسيوطي[3].

وروى أحمد في مسنده:

حدّثنا محمد بن جعفر، حدّثنا شعبة، عن أبي إسحاق قال: سمعت سعيد بن وهب قال: نَشَدَ عليٌّ الناسَ، فقام خمسةٌ أو ستّةٌ من أصحاب النبيّ ﷺ فشهدوا أنّ رسول الله قال: «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه»[4].

وروى أيضاً:

جمع عليٌّ رضي الله عنه الناسَ في الرّحبة ثمّ قال لهم: أنشدُ اللهَ كلَّ امرئٍ مسلمٍ سمع رسولَ الله يقول يوم غدير خمّ ما سمع لمّا قام، فقام ثلاثون من الناس. وقال أبو نعيم: فقام ناسٌ كثيرٌ فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس: «أتعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟، قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «من كنتُ مولاه فهذا مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه»[5].

وجاء أيضاً:

حدّثني زياد بن أبي زياد، سمعت عليّ بن أبي طالب ينشد الناس، فقال: أنشد اللهَ رجلاً مُسلماً سمع رسولَ الله يقول يوم غدير خم ما قال. فقام اثنا عشر بدريّاً فشهدوا[6].

جاء في سلسلة الأحاديث الصحيحة:

عن أبي أيوب الأنصاري، يرويه رباح بن الحارث قال: جاء رهطٌ إلى عليٍّ بالرّحبة، فقالوا: السلام عليك يا مولانا، قال: كيف أكون مولاكم، وأنتم قومٌ عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله يوم غدير خم يقول: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه». قال رباح: فلمّا مضوا تبعتُهم



١. مجمع الزوائد ج٩/ ص١٠٤.
٢. تذكرة الخواص ص ٢٩.
٣. تاريخ الخلفاء ص ١٥٨.
٤. مسند أحمد ج٣٨/ ص١٩٣.
٥. مسند أحمد بن حنبل بتحقيق شعيب الأرنؤوط. ج٣٢/ ص٥٦. قال: إسناده صحيح. وانظر كتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج٢/ ص٦٨٢. وقال: إسناده صحيح. وأيضا كشف الأستار عن زوائد البزّار للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ج٣/ ص١٩١، قال: رواه البزّار، ورجاله رجال الصحيح.
٦. مسند أحمد بن حنبل بتحقيق شعيب الأرنؤوط ج٢/ ص٩٤. قال: صحيح لغيره. وأورده الهيثمي في المجمع ج٩/ ص١٠٦ وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات، وانظر المستدرك على الصحيحين ج٣/ ص١٠٩ قال: صحيحٌ على شرط الشيخين، ولم يتعقّبه الذهبي بإقرارٍ ولا إنكارٍ خلافاً لعادته، إذ لم يستطع أن يجد علّةً في إسناده. ومتن الحديث صحيحٌ مشهور كما تقدّم.

فسألتُ: من هؤلاء؟ قالوا: نَفَرٌ من الأنصار فيهم أبو أيّوب الأنصاري[1].

فلو كانت المولى هنا بمعنى المحبّة والنصرة، لم يكن لعليٍّ عليه السلام أن يستشهد بالحديث في هذا المقام، لأنّ موضوع المحبة والنصرة يختلف تماماً عن موضوع الإمامة والخلافة.

ولو كانت المولى بمعنى المحبّة والنصرة لقام الصحابة والتابعون وقالوا لعليٍّ عليه السلام في الرّحبة: ما علاقة هذا الحديث في أمر الخلافة؟.

أو لكانوا قد قالوا له: نحن نحبُّك مُذْ عرفناك، فما علاقة هذا الحديث بموضوع الخلافة؟.

لكن هذا كلُّه لم يحصل، بل حصل العكس تماماً. إذ أنّ كثيراً من الصحابة والتابعين قاموا وشهدوا له بذلك، وهذا ما يدلّ على أنّ المولى هنا بمعنى الخلافة والأولى بالتصرّف. ولا علاقة لها بالمحبّة والنصرة.

إلاّ إذا كان هناك من ينسب الهجر والهذيان لعليٍّ عليه السلام والصحابة الذين قاموا وشهدوا، فيقول بأنّهم أصبحوا يستشهدون بأشياء خارجة عن محلّ البحث والنزاع.

وبهذا ثبت كون عليٍّ عليه السلام إمامَ المسلمين بعد النبيّ صلى الله عليه وآله.



أنت وليُّ كلّ مؤمنٍ بعدي

الرسول صلى الله عليه وآله لم يكتف بذكر حديث المنزلة. فكان كثيراً ما يُذكّر أصحابه بولاية عليٍّ عليه السلام، وأنّه خليفته من بعده، وذلك في مواضع كثيرة وبألفاظ شتّى، حتّى لا يبقى لدى المسلمين أدنى شكّ في أن الخليفة من بعده عليٌّ عليه السلام.

روى التّرمذي في سننه بسنده عن عمران بن حصين قال:

بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، جيشاً واستعمل عليهم عليَّ بن أبي طالب عليه السلام، فمضى في السريّة فأصاب جاريةً، فأنكروا عليه، وتعاقد أربعةٌ من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقالوا: إذا لقينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، أخبرناه بما صنع عليٌّ عليه السلام، وكان المسلمون إذا رجعوا من السفر بدأوا برسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فسلّموا عليه، ثمّ انصرفوا إلى رحالهم، فلمّا قدمت السريّة سلّموا على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فقام أحدُ الأربعة فقال: يا رسول الله، ألَمْ ترَ إلى عليّ بن أبي طالب صنع كذا وكذا؟ فأعرض عنه النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم، ثمّ قام الثاني فقال مثل مقالته، فأعرض عنه، ثمّ قام الثالث فقال مثل مقالته، فأعرض عنه، ثمّ قام الرابع فقال مثل ما قالوا، فأقبل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، والغضب يُعرف في وجهه، فقال:»ما تريدون من عليّ؟ ما تريدون من عليّ؟ ما تريدون من عليّ؟ إنّ عليّاً

١. سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني. المجلّد الرابع ص٣٤٠.قال: هذا إسنادٌ جيّد رجالُه ثقات.

منّي، وأنا منه، وهو وَلِيُّ كُلِّ مُؤمنٍ بعدي»[1].

إنّ أولئك الذين قالوا في حديث المنزلة بأنّه كيف يكون عليٌّ عليه السلام خليفةً في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله. هاهو النبيّ يُبيّن لهم هنا أنّ علياً عليه السلام خليفتهم وأولى بهم من أنفسهم بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله.

فمن ذا الذي يستطيع القول بأنّ المقصود من الوليّ هنا هو المحبّة والنصرة؟

ثمّ لماذا يأمرهم النبيُّ صلى الله عليه وآله بمحبّة عليٍّ عليه السلام من بعده؟وهل يعني هذا أنّه جوّزَ لهم بغضَه في حياته؟ وهم الذين يعلمون أنّ بغض عليٍّ عليه السلام نفاق؟.

ولماذا لم يُعمِّمْها على جميع الصحابة، وخصّها بعليٍّ عليه السلام؟

أكان يُجَوّزُ للمسلمين بغضَ باقي الصحابة؟

ثمّ إنّ كلمة (بعدي) هنا لخير دليل على أنّ المقصود منها هو الخلافة والحكم، وإلاّ لما كان للحديث معنى.

جاء في تاريخ بغداد:

عن عليّ بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "سألتُ اللهَ فيك خمساً فأعطاني أربعاً ومنعني واحدةً، سألته فأعطاني فيك أنّك أوّلُ من تنشقّ الأرضُ عنه يوم القيامة، وأنت معي، معك لواء الحمد، وأنت تحمله، وأعطاني أنّك وليُّ المؤمنين من بعدي"[2].





وأخرج الألباني في سلسلته الصحيحة:

أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليٍّ عليه السلام: «أنتَ وليُّ كُلِّ مُؤمنٍ بعدي». قال:صحيحٌ. وقد أخرجه الحاكم في مستدركه ووافقه الذهبي وهو كما قالا. ثمّ قال(أي الألباني): فمن العجيب حقّاً أن يتجرأ شيخُ الإسلام ابن تيميّة على إنكار هذا الحديث وتكذيبه في منهاج السنّة ج٤/ص١٠٤، إلى أن قال: فلا أدري بعد ذلك وجهَ تكذيبه للحديث، إلاّ التسرُّع والمبالغة في الردّ على الشيعة[3].

---

١. صحيح سنن الترّمذي ج٢/ ص٢٩٧،قال الألباني: صحيح، وانظر مسند أحمد بن حنبل ج٤/ ص٤٣٧. وصحيح ابن حبّان بتحقيق شعيب الأرنؤوط، المجلّد الخامس عشر ص٣٧٤،قال: إسناده قويٌّ. وانظر المعجم الكبير للطبراني ج٢٢/ ص١٣٥. وخزانة الأدب لعبد القادر بن عمر البغدادي بتحقيق عبد السلام محمد هارون ج٦/ ص٧١. ومسند أبي داود الطيالسي ج٢/ ص١٦٩ قال:حديث حسن. وتهذيب خصائص الإمام عليٍّ عليه السلام للنسائي بتحقيق أبي إسحاق الحويني، رقم الحديث:٨٤،قال: إسناده صحيح. والمصنّف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة ج٦/ ص٣٧٢. والسنن الكبرى للنسائي ج٧/ ص٤٤١. وكتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج٢/ ص٦٨٤ بتحقيق وصيّ الله بن محمّد عباس، قال: إسناده حسن. وكتاب السنّة لأبي بكر بن أبي عاصم بتحقيق الألباني ج٢/ ص٥٦٥ قال: إسناده حسن. والمستدرك على الصحيحين ج٣/ ص١٤٣ بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، قال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ووافقه الذهبي في التلخيص.

٢. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج٥/ ص١٠٠.

٣. سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، المجلّد الخامس ص٢٦٤. وانظر إتحاف الخيرة المهرة للبوصيري ج٩/

بل نقول: إنّ ابن تيميّة لم يردّ على الشيعة فحسب، بل ردّ على رسول الله ﷺ، لأنّ هذا الحديث صحيحٌ عند جميع المسلمين ولا يمكن لأحدٍ ردّه أوإنكاره، ولكن لأنّ ابن تيميّة شرب بغض عليّ عليه السلام وأهل بيت النبيّ، نراه دائماً يحاول تضعيف الأحاديث الواردة في فضائل أهل البيت عليهم السلام. ولعمري كأنّه لم يقرأ الحديث الصحيح عن عليّ عليه السلام أنّه:"لا يبغضُني إلاّ منافق". أو حديث: "فلو أنّ رجلاً صَفَنَ[1] بين الرُّكن والمقام فصلّى وصام ثمّ لقى الله وهو مبغضٌ لأهل بيت محمّد دخل النار"[2]، أو حديث النبيّ إلى عليّ عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين: "أنا حربٌ لمن حاربَكُم وسِلمٌ لمن سالَمَكُم"[3].

كما جاء في البداية والنهاية أنّ النبيّ ﷺ قال لعليّ عليه السلام: "أنتَ وَلِيّي في كُلِّ مُؤمنٍ بعدي"[4].

وروى الحاكم في مستدركه: أنّ النبيّ ﷺ قال لعليّ عليه السلام: "أنتَ وَلِيّي في الدُّنيا والآخرة"[5].

وقد قال النبيّ ﷺ لعلي عليه السلام:" يا علي أنت سيّدٌ في الدنيا سيّدٌ في الآخرة، حبيبُك حبيبي وحبيبي حبيبُ الله، وعدوُّك عدوّي وعدوّي عدوُّ الله، والويلُ لمن أبغضك بعدي"[6].

فلو كان الوليّ هنا بمعنى المحبّة والنصرة، لما قال النبيّ ﷺ كلمة (بعدي). لأنّ هذه الأخيرة خير دليل على أنّ المراد منها الخلافة والإمامة. لأنّه لا يُعقل أن يقول النبيّ ﷺ: أحبّوا عليّاً بعدي. أو على الأقل كان ينبغي على النبيّ ﷺ مثلاً أن يقول: الصحابة أولياؤُكم بعدي. فلماذا خصّ الولاية بعليّ عليه السلام دون غيره؟

روى البخاري في صحيحه:

قال عمرُ بن الخطاب: "ثمّ تُوفّي النبيُّ ﷺ، فقال أبو بكر: أنا وَلِيُّ رسول الله ﷺ". إلى

ص٢٤٥، قال: رواه أبو داود الطيالسي بسند صحيح.

١. صَفَنَ الرجلُ: صفَّ قَدميْه.

٢. المستدرك على الصحيحين ج٣/ ص١٤٩. قال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ على شرط مسلم.

٣. المستدرك على الصحيحين ج٣/ ص١٤٩. قال: هذا حديثٌ حسنٌ.

٤. مسند أبي يعلى ١/ ٢٩٣ قال: رجاله رجال الصحيح. وصحيح ابن حبّان ١٥/ ٣٤٧ قال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي. والأحاديث المختارة ١٣/ ٣٠ وقد التزم المؤلّف بتخريج الصحيح فقط في كتابه. وخصائص الإمام علي للنسائي ص٧٧ قال أبو إسحاق الحويني: إسناده صحيح. وسبل الهدى والرشاد ١١/ ٢٩٦ قال: صحيح. وسير أعلام النبلاء ٨/ ١٩٩ قال نذير حمدان: إسناده قوي. والبداية والنهاية لابن كثير الدمشقي ج١١/ ص٤٥. وهو حديث متواتر لأنه مرويّ عن ستة من الصحابة، وعند ابن حزم أن رواية أربعة من الصحابة تفيد التواتر، وعند الطحاوي أن خمسة منهم يوجب ذلك.

٥. المستدرك على الصحيحين ج٣/ ص١٤٣. قال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التلخيص: صحيح.

٦. المستدرك على الصحيحين ج٣/ ص١٢٨. قال: صحيح على شرط الشيخين. وانظر فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج٢/ ص٧٩٦ تحقيق وصيّ الله بن محمد عباس، قال: رجال الإسناد ثقات.

أن قال عمر: "ثمّ تَوفّى اللهُ أبا بكرٍ، فقُلْتُ: "أنا وَلِيُّ رسول الله وأبي بكر"[1].

فلماذا باءُ البخاري تَجُرُّ وباءُ التّرمذي والنسائي وغيرهم لا تَجُرُّ؟

ولماذا تكون كلمة الوليّ في أبي بكر وعمر بمعنى الخلافة. وتكون في عليٍّ عليه السلام بمعنى المحبّة والنصرة؟.

وبهذا الحديث الصحيح والمتواتر ثبتت إمامة عليٍّ عليه السلام. والحمد لله ربّ العالمين.

لا ينبغي أن أذهب إلاّ وأنت خليفتي

لقد صرّح النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله مراراً وتكراراً بخلافة عليٍّ عليه السلام، وهاهو الآن يُصرّح مرّةً أخرى وبلفظ لا يدع مجالاً للشكّ.

جاء في كتاب السنّة:

حدّثنا محمّدُ بن المثنّى، حدّثنا يحيى بن حمّاد، حدّثنا أبو عوانة عن يحيى بن سليم أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عبّاس قال: قال رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم:»لأبعثنَّ رجُلاً يُحبُّهُ اللّهُ ورَسُولُهُ، لا يُخزِيهِ اللّهُ أبدًا«، قال: فاستشرفَ لها مَنِ استَشرَفَ، قال: فقال:»أين عليٌّ«؟ قال: فدعاهُ وهو أرمدُ ما يكاد أن يُبصر، فنَفَثَ في عينَيه ثمّ هزَّ الرّايةَ ثلاثًا فدفعَها إليه فجاء بصَفِيَّةَ بِنتِ حُيَيٍّ، وبعث أبا بكر بسورة التّوبة فبعث علياً خَلفه فأخذَها مِنهُ وقال:»لا يَذهبُ بها إلاّ رجُلٌ هو مِنّي وأنا منه«، وقال النَّبِيّ صلى الله عليه وآله لبني عمِّه:»أيُّكم يُواليِني في الدُّنيا والآخرَة«؟ فأبَوا، فقال عليٌّ عليه السلام: أنا أُواليكَ في الدُّنيا والآخرَة، فقال:»أنتَ وَلِيّي في الدُّنيا والآخرة«. قال: ودعا رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم الحسنَ والحُسَينَ وعليًّا وفاطمةَ ومدَّ عليهم ثَوبًا ثمّ قال:»اللّهُمّ هؤُلاءِ أهلُ بَيتِي وخاصَّتي، فأذهِبْ عنهُمُ الرّجسَ وطَهّرهُم تطهيرًا«. قال: وخرج النّاس في غزوة تبُوك فقال عليٌّ عليه السلام: أخرُجُ معك، قال: لا، قال: فبكى، قال:»أفلا تَرضَى أن تَكونَ مِنّي بمَنزِلَةِ هارونَ من موسى إلاّ أنَّكَ لَستَ بِنَبِيٍّ وأنتَ خَلِيفَتِي في كُلِّ مُؤمِنٍ مِن بعدِي«. قال: وسُدَّتْ أبوَابُ المَسجدِ غَيرَ بابِ عَلِيٍّ عليه السلام، فكان يدخلُ المسجِدَ وهو جُنُبٌ وهو طريقُهُ لَيس لَهُ طريقٌ غيرُه. قال: وقال:»مَنْ كُنتُ وَلِيَّهُ فَعَلِيٌّ وَلِيُّهُ«[2].

---

١. صحيح البخاري، دار ابن كثير، كتاب المغازي ص١٤٨٠. حديث [٣٨٠٩]. وصحيح مسلم، دار طيبة. كتاب الجهاد والسير، الباب الخامس عشر ص٨٤٠، حديث [١٧٥٦].

٢. أخرجه ابن أبي عاصم في كتابه «السنّة» بتحقيق باسم بن فيصل الجوابرة ج١/ ص٨٠٠. قال: إسناده حسن. وأيضاً بتحقيق الألباني صفحة ٥٦٥ قال: إسناده حسن. وأخرجه الحاكم النيسابوري في مستدركه ج٣/ ص١٤٣ قال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة، ووافقه الذهبي في التلخيص. وانظر كتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل بتحقيق وصيّ الله بن محمد عبّاس ج٢/ ص٦٨٤ قال: إسناده حسن. وأنظر مسند أحمد ج٥/ ص٢٥ بتحقيق أحمد شاكر، قال: إسناده صحيح.

فهذا الحديث صريحٌ في تعيين عليّ عليه السلام خليفةً من بعده، فكلمة « أنت خليفتي» صريحة بالخلافة، ولا يمكن لشخصٍ أن يقول بأنّ المقصود منها هو المحبّة والنصرة، وكلمة «بعدي» هي الأخرى صريحةٌ أيضاً في أنّ المراد هو الخلافة لا غير، ولو كان قصد الرسول استخلافَ عليّ عليه السلام فقط في غزوة تبوك لما ذكر كلمة «بعدي» لأنّ هذه الأخيرة قرينةٌ واضحة في أنّ مراده كان الخلافة من بعده.

ثمّ هل يُعقل أن يُعيّن النبيُّ صلى الله عليه وآله شخصاً يخلفه مدّة غيابه عن المدينة شهراً أو شهرين، ولا يُعيّن من يخلفه من بعده حين الرحيل الأبدي من هذه الدنيا؟

وإلى هنا نكون قد قدّمنا أحاديث الخلافة بمختلف ألفاظها حتّى لا يبقى مجالٌ للشكّ في نفوس القُرّاء الكرام، فأتينا بكلمة المولى والوليّ والخليفة توضيحاً للمسألة وزيادة بيان.

والحمد لله رب العالمين

عليٌّ وَصيّي ووارِثي

ذكر ابن عساكر في تاريخه:

حدّثنا محمد بن حُمَيد، حدّثنا عليّ بن مجاهد، عن عليّ بن إسحاق، عن شريك بن عبد الله النخعي، عن أبي ربيعة الأيادي، عن ابن بُريدة، عن أبيه أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «إنّ لِكُلِّ نبيٍّ وَصِياً ووارثاً، وإنّ علياً وَصِيّي ووارِثي»[٣].

قول الإمام الحسين عليه السلام لعمر: إنزل عن منبر أبي

أهل السنّة يعتقدون بعدالة جميع الصحابة حتّى أولئك الذين شربوا الخمر في الإسلام وقتلوا الصحابة ولعنوا بعضهم البعض وسرقوا و.....

إذن كلُّ هؤلاء الصحابة عدول، وبالتالي فقولهم حجّة، فما بالنا إذا كان القائل هو سبط الرسول وابن فاطمة البتول وعليّ أمير المؤمنين، الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيرا؟ إنّه سيّد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام.

فإذا كنّا نأخذ بأقوال عموم الصحابة (حتّى أولئك الذين ثبت فسقهم ونفاقهم في القرآن والسنّة) فالأَوْلى أن نأخذ بقول من طهّره الله في القرآن وطهّره النبيُّ في حديث الثقلين الذي مرّ ذكره آنفاً، وقد استدللنا به على عصمة أهل البيت عليهم السلام، والإمام الحسين عليه السلام من أهل البيت.

جاء في سير أعلام النبلاء:

حدّثنا يحيى بن سعيد الأنصاري، عن عُبَيد بن حُنين، عن الحسين بن علي، قال:

---

٣. تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، دار الكتب العلميّة، بيروت، ج٤٢/ ص٣٩٢.

صعدت المنبر إلى عمر، فقلتُ: إنزل عن منبر أبي، واذهب إلى منبر أبيك. فقال عمر: إنّ أبي لم يكن له منبر، فأقعدني معه، فلمّا نزل، قال: إي بُنيّ، من علّمك هذا؟ قلتُ: ما علّمنيه أحد. قال: إي بُنيّ، وهل أنبتَ على رُؤوسنا الشَعرَ إلاّ اللهُ ثمّ أنتم؟ ووضع يدَه على رأسه وقال: إي بُنيّ، لو جعلتَ تأتينا وتغشانا[1].

فالسند صحيحٌ، والقائل هو الإمام الحسينعليه السلام، وهذه شهادةٌ منه في غصب عمر حقَّ أبيه أمير المؤمنين عليّعليه السلام، ونرى في نفس الوقت أنّ عمر لم يُنكر على الإمام الحسين قولَه، بل اعترف بذلك وأقرّ، والإقرارُ سيّد الأدلّة.

فلا يبقى مجالٌ للشكّ في أنّ الخلافة بعد الرسولصلى الله عليه وآله كانت لعليّعليه السلام.

جاء في كتاب " أنساب الأشراف":

حدّثني روح بن عبد المؤمن، عن أبي عوانة، عن خالد الحذاء عن عبد الرحمن بن أبي بكرة:

إنّ علياً أتاهم عائداً فقال: ما لقي أحدٌ من هذه الأمّة ما لقيت، تُوفّي رسولُ الله وأنا أحقُّ الناس بهذا الأمر[2].

وآخر سؤال نطرحه هنا هو:

هل يجوز تقدّم المفضول على الفاضل؟

وهنا احتمالان لا ثالث لهما.

فإن قالوا: نعم يجوز.

قلنا: هذه مخالفة صريحة لقول النبيصلى الله عليه وآله:»من تقدّم على قوم من المسلمين يرى أنّ فيهم من هو أفضل منه، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين»[3].

والحديث متواتر في كتب السنة كما صرّح بذلك الباقلاني.

جاء في البداية والنهاية أنّ أبا بكر لمّا بويع في السقيفة تكلّم فقال:

أمّا بعد، أيّها الناس فإنّي قد وُلّيت عليكم ولست بخيركم... [4].

ولا يقول قائل إنّ كلام أبي بكر هذا كان من باب التواضع، لأنّ التواضع شيء والإقرار والإعتراف أمام الناس شيء لآخر.

---

١. سير أعلام النبلاء للذهبي بتحقيق شعيب الأرنؤوط ج٣/ ص٢٨٥ قال: إسناده صحيح. وأخرجه أيضاً ابنُ حجر العسقلاني الشافعي في كتابه «تهذيب التهذيب» بسند صحيح ج١/ ص٤٢٦. وأيضا السيوطي في تاريخه بسند صحيح ص ١١٦.

٢. أنساب الأشراف للبلاذري ص ٩٠٤. والبلاذري توفّي ٢٧٩.

٣. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلاني ص١٩٠.

٤. البداية والنهاية لابن كثير، تحقيق محمد حسّان عبيد ج٧/ ص٦. قال: إسناده صحيح. دار ابن كثير. دمشق بيروت.

فالتواضع هو أن يقف المسلم بين يدي الله عز وجل في صلاته أو قيامه الليلَ، ويتضرّع إليه سبحانه ويذكر ذنوبه ومعاصيه ويستسمح الله ويستغفره.

بينما الإقرار والإعتراف هو أن يقف الرجل أمامَ الناس ويقول مثلاً: إنّي أجهل الأمر الكذائي، أو أنا سريع الغضب أو كثير الظلم...الخ.

فالتواضع يكون أمام الله تعالى. بينما الإقرار يكون أمام الناس، كحال المجرم مثلا حينما يقف أمام المحكمة القضائية.

ولذلك يقول ابن حزم الأندلسي:

قد صحّ أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه خطب الناس حين ولّي بعد موت رسول اللهﷺ فقال: أيّها الناس إنّي ولّيتكم ولست بخيركم، فقد صحّ عنه رضي الله عنه أنه أعلن بحضرة جميع الصحابة رضي الله عنهم أنه ليس بخيرهم، ولم ينكر هذا القول منهم أحد، فدلّ على متابعتهم له[1].

أمّا إن قالوا: لا يجوز تقدّم المفضول على الفاضل نقول:

لقد ثبت بالأدلة القطعية اليقينيّة أنّه لم يُأتَ لصحابيٍ من فضائل مثلما أوتي لعليّ بن أبي طالبعليه السلام.

روى الحاكم في مستدركه بسنده عن محمد بن منصور الطوسي يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما جاء لأحد من أصحاب رسول اللهﷺ وسلّم من الفضائل ما جاء لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه[2].

إذن فعليٌّعليه السلام هو أكثر الصحابة فضائلَ فوجب كونه خليفة رسول اللهﷺ بحديث النبيّ صلّى الله وعليه وآله.

ثمّ إنّ علياًعليه السلام نفس رسول الله، والمسلَّم أنّ النبيﷺ أفضل الخلق مطلقاً، فوجب كون نفسه الأفضل بعده مطلقاً.

قال النبيﷺ: «الحَسنُ والحُسينُ سيّدا شباب أهل الجنة وأبوهُما خَيرٌ منهما»[3].

والمعلوم أنّ كلّ أهل الجنة شباب، والحسنُ والحُسينُ سيّدا شبابها، إذن هما أفضل مَن فيها. ومادام أنّ عليّاًعليه السلام خيرٌ منهُما، فهو خيرٌ مِن سيّدي شباب أهل الجنة، فوجب كونه الأفضل مطلقاً بعد النبيﷺ.

والحمد لله ربّ العالمين

***

---

١. الفصل في الملل والأهواء والنّحل لابن حزم الظاهري الأندلسي، تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة ج٤/ ص٢٠٩.

٢. المستدرك على الصحيحين ج٣/ ص١٢٣. من مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مما لم يخرجاه.

٣. صحيح الجامع الصغير وزيادته لناصر الدين الألباني، المجلّد الأول ص٦٠٧.

وإلى هنا نكون قد أثبتنا إمامة وخلافة عليّ عليه السلام من العقل والقرآن والسنّة. والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى أهل بيته الطيّبين الطاهرين.

وآخر ما يمكننا قوله هنا، إنّ الأمّة لو اتّبعت الثقلين لما افترق المسلمون إلى طوائف وفرق ومذاهب، ولما وصلنا إلى هذه المرحلة التّي أصبح فيها المسلمُ يقتل أخاه المسلم، ولَعاشَ المسلمون عيشاً رغداً في أمن وسلام، ولهنِئنا بطيب الحياة والسعادة والمحبّة والأخوّة، لأنّ النبيّ الذي لا ينطق عن الهوى كان قد وعدنا في حديث الثقلين أنّه لو تمسّكنا بالقرآن وأهل البيت سوف لن نضلّ إلى يوم القيامة.

ومن هنا أنصح كلّ إنسان مسلم أن يبتعد عن التعصّب الأعمى الذي هو سبب دخول النار والعياذ بالله، وأنصحه بمراجعة نفسه وعقيدته قبل أن يأتي يومٌ لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم.

كما علينا جميعاً توخّي الحذر تجاه من يحاول تقسيم ديننا وأوطاننا واللّعب على الفتنة الطائفيّة التي لا تخدم الإسلام والمسلمين، بل تُرجعهم إلى عصر ماقبل ظهور الإسلام. وتخدم في المقابل البلدان المستعمرة لخيراتنا وأراضينا وعلى رأسها الشيطان الأكبر أمريكا وإسرائيل ومن سار على نهجهم وأكل من سؤرهم.



ونسأل الله عزّ وجلّ أن يحفظ أوطاننا، ويُوَحِّدَ كلمتنا، ويجمع شملنا، وأن يرزقنا شفاعة محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

ولا فرق بين سنيّ وإباضي وشيعي ومالكي وصوفيّ وأشعريّ ومعتزليّ......

قال الإمام عليٌّ عليه السلام في وصيّته لمالك الأشتر: "الناسُ صِنفان، إمّا أَخٌ لك في الدين، أو نظيرٌ لك في الخلق".

فما بالنا لو كان الطرف الآخرُ أخاً لنا في الدين ونظيراً لنا في الخلق؟

قال تعالى: ﴿إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.

والحمد لله ربّ العالمين.

***



مصادر المراجع

١. أسباب النزول للواحدي النيسابوري المتوفّى ٤٦٨، عالم الكتب بيروت.

٢. روح المعاني للآلوسي المتوفّى ١٢٧٠، طبعة دار الفكر بيروت.

٣. السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعيّة لابن تيمية المتوفّى ٧٢٨، تحقيق علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد.

٤. صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري المتوّى ٢٥٦، طبعة دار الفكر.

٥. صحيح البخاري، المكتبة السلفية، القاهرة.

٦. كتاب الفقيه والمتفقّه للخطيب البغدادي المتوفّى ٤٦٢، تحقيق عادل يوسف العزازي، دار ابن الجوزي.

٧. المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري المتوفّى ٤٠٥، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت.

٨. مسند أحمد بن حنبل المتوفّى ٢٤١، تحقيق حمزة أحمد الزين، دار الحديث القاهرة.

٩. منهاج السنة النبوية لابن تيمية المتوفّى ٧٢٨، تحقيق محمد رشاد سالم، طبعة ١٤٠٦.

١٠. الولاية على النفس للدكتور حسن الشاذلي، القاهرة، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، الطبعة الأولى ١٣٩٩.

١١. تاريخ دمشق لابن عساكر المتوفّى ٥٧١، طبعة دار الفكر بيروت.

١٢. الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري المتوفّى ٦٣٠، طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

١٣. مسند أحمد بن حنبل المتوفّى ٢٤١، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.

***